

الأعمال  
الإبداعية

# مكتبة الأسرة

## مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

### قلبي ليس مني جيبى

احسان عبد القدوس



الهيئة العامة  
لكتاب



# قلبي ليس في جيبى

إحسان عبد القدوس

## الحلقة الأولى

كان الناس يتلقون رؤية سارة كأنهم ينظرون إلى تحفة تبههم .. إن سمرها الداكن .. وشعرها الأسود الذى يتدلى حتى كتفها .. وانسامتها .. نمة التى تكشف عن صف من اللؤلؤ الأبيض اللامع معلق بين شففتها .. ثم نيمها الرفيع الطويل الذى يتمايل فى مرونة طبيعية كأنه لا يركز على أى مجموعة من العظام .. كل ذلك كان يثير الانبهار بهل .. وهو غالبا انبهار مهذب رؤوف كأن كل من يراها يحرص على سلامة هذه التحفة فلا يحاول أن يمد يده إليها أو ينحدف عليها حتى لا يشوهها ويفقدها روعة جمالها ..

وكانت سارة نفسها منذ بدأت تعى وهى تحس بروعتها وقوة اجتذابها لكل نعيم من حولها .. وكانت معتزة بسمارها الداكن وتحس به أنها أجمل من أى فتاة بيضاء أو فاتحة السمار .. إنها فخورة بسمارها الداكن كأنها تنبأه به قبل أن تنبأه بأى لمحة من ملامح جمالها .. وكانت تقف أمام المرأة وتبحلق فى صف اللؤلؤ الذى تكشف عنه شفاتها وهى فخورة به .. ولولا سمارها الداكن لما برز كل هذا الجمال لأستانها البيضاء .. ثم تتطلع فى المرأة إلى كل كيانها لتطمئن إلى أنها لم تفقد شيئا ولم يصب جمالها أى خدش ثم تنطلق .. كانت تنطلق دائما وراء ذكائها .. والذكاء يحدد لها كل حظوة تخطوها وكل كلمة تنطق بها .. بل يرسم لها مدى اتساع انسامتها .. إنها فى منتهى ذكاء الذى تحتاج إليه فتاة فى مثل عمرها .. وقد كانت تعيش مع أمها وبحوثها الأصغر منها فى شقة متواضعة بإحدى الحواري المتفرعة من شارع نهرم .. وقد توفى والدها منذ سنوات وتركهم وهم ليسوا أغنياء ولكنهم يستطيعون الاستمرار بالحياة فى أدنى مستويات الاستغناء .. ومنذ تفتح وعيها وهى ترى أفق الحياة البعيدة عنها .. أفق منتهى الرخاء ومنتهى العز والثراء ..

وتحلم بأن تصل بنفسها إلى هذا الأفق .. ولكنها حتى بعد أن تعدت صباه لم تكن تفكر في أن تتزوج رجلاً يوفر لها هذا الرخاء .. إن ذكائها منحصر في أن تصل بنفسها إلى مستوى هذا الأفق البعيد .. وقد بدأ يتقدم إليها من يريد الزواج وكانت ترفض دائماً مهما ألحت عليها أمها .. كما أنها تعرضت كثيراً لمحاولات الشبان الاستيلاء عليها ، وكانت تستطيع دائماً أن تقاوم وتهرب مهما ارتفعت قوة الإغراء .. وربما كانت ابتسامتها المبهرة النظيفة تدفع هؤلاء الشبان إلى تحمل مسئولية الحرص على سلامة هذه التحفة .. ولذلك ظلت محتفظة بصداقة الجميع دون أن تعرض لأى خدش ..

وكان المجال الأوسع الذى تبحث فيه عن الآفاق البعيدة قد بدأ بالمدرسة .. لقد استطاعت أن تكون دائماً شخصية بارزة في كل مدرسة تضمها .. وكانت تهتم بمظهرها وزينها واختيار الكلام والتصرف حتى كانت دائماً تصل إلى القمة بين الطالبات .. وصديقاتها من العائلات الراقية يرفعنها إلى هذا المجتمع العالى الذى تحلم به ..

وكانت قد أنهت من الدراسة الثانوية متفوقة .. واستطاعت أن تصل إلى الالتحاق بالجامعة الأمريكية .. وربما اختارت الجامعة الأمريكية لأن أحلامها وصلت إلى تصور السفر إلى أمريكا بعد أن تفوق في الجامعة الأمريكية .. أى تسافر في بعثة دراسية تغنيها عن تحمل النفقات .. وقد تجد في أمريكا طريقاً أسهل للوصول إلى الآفاق البعيدة .. وكانت لا تزال في العام الأول من الجامعة الأمريكية عندما التقت بالسيدة هدى هانم السحيلي ..

وكانت إحدى زميلاتها في الكلية قد دعتها إلى حفل استقبال في بيتها .. وهناك التقت بهدى هانم .. ولم تكن تعرفها ولكنها كانت تسمع عنها .. تسمع أنها سيدة ثرية جداً وزوجها كان أحد الباشوات ولكنها ظلت محتفظة بشخصيتها وقوة ثرائها بعد أن ضاع زوجها حتى أنها افتتحت محل بوتيك لبيع المستودات التى تحتاج إليها النساء .. ولم تقم هذا البوتيك فى شارع

الشواربى كيفة البونيكات التى افتتحت أيامها ولكنها أقامت في داخل الفندق الكبير .. ورغم السيطرة العنيفة التى كانت تفرضها الحكومة على مثل هذه المحال إلا أن هدى هانم استطاعت أن تتعامل مع المسئولين عن هذه السيطرة وتحفظ بقدرتها على تحقيق أرباح ضخمة .. بل كأن يقال عنها كثير من الحكايات عن علاقاتها بهؤلاء المسئولين رغم أنها لم تكن شابة ولا فى منتهى الجمال .. ولكنها كانت قادرة على تحقيق مبدأ .. خذ وهات .. مع أى إنسان ..

ولاحظت سارة أن هدى هانم لا تسقط عينيها عنها وبين شفتيها ابتسامة كأنها تدعوها بها إليها .. ولا تحاول سارة تلبية الدعوة وإن كانت تبادل معها الابتسامة كلما اصطدمت عيناها بها .. إن سارة لا تحس بحاجتها إلى هذه السيدة ولا تتردد ما يمكن أن تكون هذه السيدة تريد منها بهذه الابتسامة التى تسلطها عليها .. إلى أن اتفقت هدى بنفسها وجلست بجانب سارة وأعدت تحدث وتقول لها إنها شديتها بجمالها وخفة دمها وتمت أن تكون ابنتها .. وسارة تستمع إليها بابتسامتها وهى تركز كل ذكائها فى انتظار أن تكشف ماذا تريد هذه السيدة منها .. إلى أن قالت لها هدى هانم وهى ترداد منها اقربا وكأنها تهمس :

— لقد قررت أن أتعتمد عليك فى عمل مهم ..

وقالت سارة فى دهشة :

— أى عمل ؟

وقالت هدى وهى تضغط على ذراعيها كأنها تشدها إلى سر خطير :

— لتعملى معى فى البوتيك ..

وقالت سارة بدهشة المفاجأة :

— ماذا أعمل .. إنى لم أعمل أبداً فى بوتيك .. ولا أعرف شيئاً عن هذا

العمل ..

وقالت هدى هانم وهي تنظر إليها كأنها لا تزال مبهورة بها :  
— ستعرفين كل شيء .. ولكننا لن نستطيع أن نتكلم هنا .. هل يمكن أن  
نأتي لزيارتى ..

وقالت سارة مقاطعة :

— أذكرك في البوتيك ..

وقالت هدى بسرعة :

— لا .. في بيتي .. هل يمكن أن تعطيني بأن أراك في بيتي ؟ ..

وقالت سارة :

— متى ؟ ..

وقالت هدى هانم بسرعة :

— لو استطعت لأخفئك معي الليلة .. ولكن لنلق غدًا ..

واتفقتا على لقاء الغد .. وسارة سارحة لا تستطيع أن تصل بذكائها إلى  
قرار .. لا تستطيع أن ترحب بهذه المفاجأة ولا تستطيع أن ترفضها .. وقد  
ابتعدت عنها هدى هانم كأنها تصعد ألسنتها إليها وهي بجانب سارة ..  
وفضت سارة بقية السهرة بين المدعوين وهي لا تستطيع أن تتخذ قراراً فيما  
عرض عليها .. وعادت إلى بيتها وهي لا تزال حائرة .. ولكن لما نظرت نفسها  
في هذه الحيرة .. إنها لم تعرف بعد شيئاً عن العمل المعروض عليها ..

وفي اليوم التالي كانت مع هدى هانم وتركها تتحدث طويلاً عما تعرضه  
عليها .. إنها تريد أن تكون بائعة في البوتيك .. وليس معها إلا فتاة أخرى لن  
تكون رئيسة عليها ولكنها مجرد مساعدة .. وحتى إذا لم تشرح سارة بوجود  
هذه الأخرى فإنها تستطيع أن تستغنى عنها .. وهي نفسها أي هدى هانم تتردد  
على البوتيك كل يوم ولكنها لا تبقى طول اليوم فإن مسئولياتها تفرض عليها أن  
تتفعل خارج المحل .. أي أن سارة ستكون المسئولة وحدها عن إدارة  
البوتيك ..

وقاطعتها سارة قائلة وهي سارحة في أفكارها كأنها تخاطب نفسها :  
— ولكني لا أعرف كيف أبيع .. إلى لم أبيع أي شيء في حياتي ..  
وقالت هدى هانم :

— ليس المهم هو عملية البيع نفسها .. المهم هو كيفية استقبال الزبون  
والترحيب به واكتساب صداقته وثقته .. وأنا واثقة أنك ستكونين عبقريّة في  
اكتساب الزبائن .. أما عملية البيع نفسها فهي سهلة .. وتحديد السعر الذي  
يبيع به يعتمد على قيمة شخصيتك لا على قيمة ما تبيعه .. وأنا منذ كنت  
اقتنعت بأن شخصيتك لها قيمة كبيرة .. قيمة التكلفة العالية ..

وقالت سارة وهي لا تزال سارحة كأنها تخاطب نفسها :

— إلى طالبة في الجامعة الأمريكية ..

وقالت هدى هانم في إلحاح :

— سنجدن وسيلة تجمعين بها بين عملك ودراسك .. وسأخصص لك  
ثمانين جنياً في الشهر مرتباً لك ..

واتسمت عينا سارة كأنها فوجئت .. لقد عاشت العمر كله دون أن يصل إلى  
بديها مثل هذا المبلغ الكبير .. ثمانون جنياً .. إنها تعلم أن خرجي الجامعة لا تصل  
مرتباتهم إلى أكثر من ثلاثين جنياً .. أو أربعين .. وهي لم تخرج من الجامعة بعد  
وتعيش على جنبيات قليلة تستدراها من أمها وإن كانت بذكائها تعودت أن تستغل  
هذه الجنبيات لتفعل مظهرها بما يساوي أكثر منها .. وعقدت المفاجأة لسانها ولم  
تنطق بكلمة .. وربما فسرت هدى هانم سكوتها على أن المبلغ لا يرضيها فقالت  
بسرعة :

— ليكن المرتب مائة لثمانين .. وهذا علاوة على نسبة واحد في المائة من كل  
مبلغ تبيعين به .. وأنت وشطارتك .. قد تصلين إلى ألف جنيه في الشهر ..  
وأحب أن أقول لك إنني لم أدفع أبداً مرتباً أكثر من ستين جنياً ولكنك توحين إلى  
بأهل كبر ..

وزادت عننا سارة اتساعاً بالدعشة .. مائة جنيه .. ألف .. إن أحلامها لم ترتفع بها أبداً إلى هذا الحد .. فلماذا تتردد .. لماذا لا تحرب على الأقل .. إنه طريق فتح أمامها الآفاق البعيدة .. وضغطت على كل أعصابها حتى استردت هدوء واستقرار ذكائها وقالت وهي تعتمد أن تبدو كأنها لم تدعش :

— موافقة .. لنجرب ..

وقالت هدى هام في فرحة :

— لنبدأ من الغد .. غدا سأراك في البوتيك الساعة العاشرة ..

وقالت سارة وهي تقاوم فرحتها حتى تبدو هادئة :

— غداً ..

وهي أن تقوم لتصرف ولكن هدى هام أجلسها وكأنها قد أصبح لها حق إصدار الأوامر إليها بعد أن أصبحت موظفة لديها .. وأخذت تحدثها عن كل ما يعرضه البوتيك للبيع .. وتشرح لها تفاصيل مستويات الأسعار ونوع الخدمات .. وتحدثت طويلاً .. وسارة تستوعب كل ما تسمعه كأنها تحفظ درساً جديداً لتلقاه .. وبعد أن انتهت هدى من كلامها قامت ودخلت لم عادت تحمل ثوبين قدمتهما إلى سارة قائلة :

— هذه فساتين لتظهرى بها في البوتيك ..

وفردت سارة الثوبين .. إنها قطعة صناعة أجنبية .. وقلبيها أمام عينها .. ثم قالت وقد استجمعت كل قوة شخصيتها .. قوة الفتاة التي تعرف أنها تحفة :

— هل هما مما يباع في البوتيك ؟ ..

وقالت هدى ضاحكة :

— فعلاً .. إنك شاطرة .. تعرفين من أين يصل إليك أى شيء ..

وقالت سارة وهي جادة :

— أرجو أن تتركي لى حق اختيار ما أظهر به .. حتى ألبس ما يتفق مع ذوق .. وذوق يعبر عن شخصيتي .. وغدا سأختار من البوتيك الثوب الذى

أرتديه وأظهر به ..

وبلقت فيها هدى هام بعينين ثائرتين .. كأنها فوجئت بشيء لم تقدره في هذه الفتاة .. إنها جريئة تحاول أن تفرض إرادتها وتستقل بنفسها .. ولكن هدى كتمت سخطها بسرعة وقالت مسجلة :

— كما تريد .. سأتركك لما يختاره ذوقك .. ويبدو حتى الآن أنه ذوق جميل ..

\*\*\*

وفي اليوم التالي كانت سارة مع هدى هام داخل البوتيك وقد تفرغت بكل طاقتها هذه التجربة الجديدة .. التجربة التي تخرج منها بمائة جنيه في الشهر على الأقل .. وخلال يومين كانت قد ألفت بكل ما يباع .. الفساتين .. الجولانلات .. والجولوب .. والبنطلونات .. ولوازم الأطفال .. ولوازم التجميل .. وزجاجات العطر .. والتحف .. و .. و .. وكانت تستوعب تفاصيل كل نوع مما يباع .. إنها كلها بضائع مستوردة .. وأغلبها مستورد من محلات مارك أند سبنسر في لندن .. إنه اسم يجذب كل زبائن القاهرة ..

وبدأت تستقبل الزبائن وتعامل معهم .. وكانت مقنعة بالمبدأ الذى وضعته لها هدى هام وهو أن التجارة لا تقوم على قيمة البضائع ولكنها تقوم على قوة شخصية البائع .. فكانت تقدم للزبون أقوى ما في شخصيتها .. الابتسامة التي تكشف عن صف اللؤلؤ الذى يلمع داخل لونها الأحمر الداكن .. والصوت الهادئ الناعم كأنه صوت فناة خجول تردده كلماتها .. والترحيب الذى يبدأ بتقديم فنجان القهوة بمجرد ظهور الزبون وأغلبية الزبائن دائماً من النساء .. وكن يتعلقن بها منذ أول لقاء ويبدو أن لونها الأحمر الغامق كان يحميها من أن تغار منها بقية النساء فالغيرة لا تشد إلا بين نساء اللون الواحد أو اللون المتقارب .. والفرادها عنهم بهذا السمار الغامق الداكن يرحمها من الغيرة .. فستطيع أن تستغل الزبونة في دفع أعلى الأسعار ..

وكان من النادر أن يدخل البوتيك أحد من الرجال .. وكل منهم يهر بالتحفة  
الغالية التي تلقى بها عيناه .. وهي تلقى انبهاره بابتسامتها التي تكشف عن صف  
الؤلؤ .. وتحمل هادئة كل محاولاته معها وإن كانت تستغل هذه المحاولات في  
أن تباع .. ولكن رؤوف عزمى تمادى في محاولاته .. إنه معروف بأنه من كبار  
رجال الأعمال ومن المقربين جدا إلى المسؤولين ورغم أهميته فقد أصبح يتردد على  
البوتيك كل يوم .. ويفرد جالسا مع سارة كأنه لقاء خاص .. وفي يوم دخل  
إليها وهو يقول قبل أن يجلس قبالتها :

— ما رأيك .. هل أشتري ثوبا أم شيئا آخر ؟ ..

وقالت من خلال صف الؤلؤ :

— لقد وصلتنا فساتين رائعة ..

وقال ضاحكا :

— هل من رأيك أن أشتري فستانا .. إذن اختارى واحدا ..

قالت في رفق :

— أنت الذى تختار ..

وقال وهو يلتفتها بعينه :

— لا .. إلى أريد أن تختارى أنت ..

قالت منهشة :

— والمقاس ..

وقال بسرعة :

— مقاسك أنت ..

واستسلمت سارة وانتقت ثوبا عرضه عليه فقال :

— هل يعجبك هذا الفستان ..

قالت في مرح :

— جدا .. ولكنه غالى .. خمسمائة وثلاثون جنيا ..

وفي صمت تخنن رؤوف إلى الكيس ودفع المبلغ ثم عاد بالإبصار إلى سارة

وأمسك بالثوب ثم أعاده إليها قائلا وشفته تقتربان منها كأنه يهم بأن يقبلها :

— لقد اشتريته لك .. هدية الموعد الذى سيجمعنا خارج هذا المحل ..

وأمسكت سارة بالثوب وهي حائرة هل تقبل أو ترفض وقالت :

— سبق أن قلت لحضرتك إن أمى لا ترحمنى ولا تسمح لى بأن أخرج من المحل  
إلا إلى البيت ..

وقال وهو يلتفتها بعينه :

— إلى فى انتظار أن تفتح أمك لى ..

ثم تركها وخرج متعجلا .. لا شك أن وراءه كثيرا من المسؤوليات ..

ورفعت سارة الثوب وأعادت تعليقه بين المبيعات .. وروت هدى هام

صاحبة البوتيك ما حدث وقالت لها إنها ستبيع هذا الثوب ومن حقها أن تأخذ

لنفسها الثمن الذى دفعه رؤوف عزمى .. وأجهزتها هدى هام فى حزم :

— عشرون فى المائة فقط مما دفعه ..

وصاحت سارة فى عصبية :

— مستحيل .. لقد أصبح ثوبى أنا ..

وقالت هدى كأنها تخرسها :

— لولا هذا البوتيك لما جاءك هذا الثوب .. ولا التفتت بمن اشتره لك .. وأنا

صاحبة البوتيك وأنفق عليه الكثير حتى أحفظ بهذا النوع من الزبائن ومن بينهم

رؤوف عزمى ..

وطال النقاش بينهما حتى اتفقت على أن يكون لسارة خمسون فى المائة من ثمن

الثوب على أن تخصم من ثمن سبعة مرة ثانية لا مما دفع فيه فعلا ..

واستسلمت سارة مضطرة .. إنها لا تزال فى البداية التي تفرض عليها

الاستسلام ..

وقد استمر رؤوف فى محاولاته أباما وهي دائما تستطيع أن تقنعه بزيادة من

الانتظار .. إلى أن يس من الاستيلاء عليها .. وبناء يقلل من تردده على المحل ..

ولكنها بذكائها استطاعت أن تظل محتفظة بصدقه وهدوته دون أن يحاول إجبارها على الاستسلام له .. ولم يكن رؤوف هو الوحيد بين الرجال الذين دخلوا إليها واتبروا بها .. كلهم يحاولون .. وكلهم تستطيع أن تحتفظ بهوتهم دون أن يصلوا إلى شيء منها .. والغريب أن كل المحاولات للاستيلاء عليها لم تصل أبدا إلى أن يعرض عليها أحدهم الزواج .. كل منهم يريد أن يتذوقها بلا زواج .. أهل الزواج أيضا ليس سهلا إلا بين أصحاب اللون الواحد .. والزواج بين اللون العامق والفاتح يعتبر حالة شاذة نادرة بل يعتبر نوعا من الشذوذ الجنسي .. ولونها الأسمر الفاتح الداكن يبعد عنها توافد اللون الفاتح على الزواج رغم انهيارها بها .. إن الانهيار لا يكفي وحده للزواج .. وهي نفسها لا تريد ولا حتى تفكر في الزواج .. إنها لم تصل بعد إلى نهاية الآفاق الواسعة التي تفتح أمامها ..

وكان هناك رجل آخر أوصتها هدى هائم نفسها بالاهتمام به ورعايته .. هذا النوع من الرعاية الذي يقوم على ما تتضمنه الانسامة التي توجه إليه .. إنه عيد الموجود البسيوي مأمور الضرائب .. وهو يظهر في البوتيك في الشهر مرة على الأقل ويدخل إلى المكتب ويراجع الدفاتر ويجانبه هدى هائم .. ولا شك أن بينهما سرا فالكلام دائما في همس .. وشيء ما يتم في كل جلسة .. وينصرف البسيوي وهو منتفخ الأوداج ووجهه مكسو بعظمة كبار الموظفين .. وقد انهبر البسيوي أيضا بصف اللؤلؤ الذي عديبه إليه سارة بانسامة حتى إنه بدأ يتردد على المحل أكثر من مرة في الشهر .. ووصل إلى أن طلب أن يجلس بجانبه وهو يراجع الدفاتر .. وادعى أنها صريحة معه في كشف أسرار السوق .. ثم كان أحيانا يقوم إليها ويطلب منها أن تلف معه على المضائع المعروضة ليفدر قيمتها بالنسبة للأوراق التي تقدم إليه .. وهدى تشير إليها بأن تستجيب له .. وهو يعتمد أن يلتصق بها وهي بجانبه .. وقد يمد يده ويتحسسها تحسسات خفية .. وسارة تستطيع دائما أن تصدح محاولاته بشخصيتها وانسامة .. وفي مرة قال لها وهو يراجع الدفاتر :

— هل أسجل قيمة الدخل بمليون أم بألف ؟—

وفهمت أنه يغريها بتخفيض قيمة الضرائب التي يفرضها على المحل .. وقالت ضاحكة :

— أنا مفلسة .. لا مليون ولا ألف .. عليك أن تسأل صاحبة البوتيك .. وقال ولعابه سائح على شفتيه :

— لقد أصبحت أنت المالكة .. تملكين المصير حتى مصير صاحبة البوتيك .. وقالت ضاحكة :

— إذا كنت أنا المالكة فلا مليون ولا ألف .. ولا مليون .. وقال ولعابه يسقط أمامه :

— سأؤجل الحساب إلى أن نلتقي خارج البوتيك .. متى نلتقي ؟— وقالت وهي تبعد عنها عبه قفزاً وإن كانت تدعى الحفر :

— هل تريد لقاء أمي ..

وقال في حلقه وهو يتلع لعابه :

— لا .. لا .. لن يؤجل الحساب ..

وكان كل لقاء بينهما ينتهي بانفراد عبد الموجود البسيوي بهدى هائم في جلسة كأنها جلسة سرية ويخرج وهو منتفخ الأوداج .. وكانت سارة تحس بأنها تكشف عالما كانت تجهله يجلسها مع عبد الموجود البسيوي .. عالم الضرائب التي يدفعها التجار .. كيف تترب من دفع الضريبة .. وإذا دفعت فهي تدفع للحكومة بعد أن تدفع لمأمور الضرائب نفسه .. فكيف وكم تدفع ؟— وأصبحت تتابع كل تصرفات هدى هائم في مواجهة التعامل مع الضرائب .. بل كانت تستدرج عبد الموجود البسيوي نفسه لشرح لها تفاصيل عمليات جمع الضرائب المفروضة دون أن تشعره بأنها تتعمد السؤال ..

إنها تريد أن تعرف وتعلم كل شيء .. ولا يزال أمامها الكثير مما لا تعرف ولم تتعلمه .. ولكنها تقدم بمحاولات سريعة لإثبات شخصيتها في عالم البوتيكا التي يدير معظمها النساء .. حتى أصبح الزبائن يأتون إليها لا إلى هدى صاحبة



البوتيك .. وقد حصلت في الشهر الأول منذ التحقت بالعمل على عشرين جنيا علاوة على مرتبها بنسبة الواحد في المائة المقررة لها من ثمن كل ما يبيعه .. وفي الشهر الثاني وصلت النسبة إلى خمسين جنيا .. وفي الشهر الثالث إلى ثمانين .. أي مائة وثمانين جنيا توضع في يدها في شهر واحد .. وكانت خلال ذلك تحاول أن تجمع بين عملها في البوتيك ودراستها في الجامعة الأمريكية .. تذهب إلى الجامعة لتبقى دقائق تجمع خلالها من صديقاتها المذكرات والكيب الخاصة بالمواد التي يدرسونها وتحاول في المساء أن تستوعب هذه المواد استعدادا للامتحان .. ولكنها ضاقت بهذه المحاولة .. ثم ما جدوى استمرار تلقي العلم في الجامعة الأمريكية .. إن العلوم التي تلقاها في البوتيك تفيض عليها بالمكاسب وتفتح أمامها الطريق السهل نحو الآفاق الواسعة .. وانقطعت عن التردد على الجامعة .. لم تعد طالبة .. وإن كانت ظلت محتفظة بصداقة الزميلات اللاتي كن معها وتستغل هذه الصداقة في أن يبيع لمن أو تعتمد عليهن في جذب الزبائن الجدد .. وفوجئت بعد أن مضت عليها الشهور الثلاثة وهي تعمل في البوتيك بهدى هائم وقد قررت أن تصحبها معها إلى لندن ..

وسارة تعلم أن هدى تسافر إلى لندن كل عام أكثر من مرة .. وتغيب أسبوعا أو أسبوعين ثم تعود وتصل وراعاها إلى البوتيك حقائب كثيرة زاخرة ببضائع جديدة تعرض في البوتيك كأنها صرخات تبيل كل النساء .. إن كل ما يبيعه البوتيك مستورد من لندن ومعظمه يحمل علامة محلات مارك أند سبنسر التي أصبحت علامة الاستسلام الكامل لكل الزبائن في مصر .. وكانت سارة تحاول دائما أن تكشف أسرار وتفصيل التعامل مع لندن .. كيف تشتري البضائع هناك وكيف تدخل مصر ..؟ ولم تكن سارة قادرة على اكتشاف أي شيء .. إن هدى هائم تحرم سؤالها عن مصدر هذه البضائع .. بل إنها تصر على أنها لا تسافر إلى لندن إلا لعرض نفسها على الطبيب الذي يعالجه .. وغم أنها لا يبدو عليها أنها في حاجة إلى أي علاج .. وقد سافرت مرة بعد أن أصبحت سارة تعمل في

البوتيك ولكنها لم تدعها للسفر معها .. ربما لم تكن قد وثقت فيها وطمأنت إليها بعد .. أما اليوم فهي واثقة مطمئنة إليها كل الثقة والاطمئنان .. إن سارة مع احتفاظها بشخصيتها المستقلة استطاعت بذلك أنها أن تحاصر هدى بالصداقة والحب ..

وفي يوم قاجأتها هدى هائم بأن تستعد للسفر إلى لندن .

وقالت سارة وهي تشهق من المفاجأة :

— ولمن ترك البوتيك إذا سافرت معك ..

وقالت هدى في لهجة صاحبة المحل :

— لن تغيب أكثر من أسبوع .. ونستطيع أن نترك البوتيك في إجازة خصوصا أننا لسنا في موسم من مواسم البيع .. وغدا سأرسلك لاستخراج جواز السفر ثم إلى السفارة البريطانية للحصول على الفيزا .. وقد أبلغتهم عنك وستجدن كل شيء سهلا .. والسفر يوم الأحد القادم .. وعينا سارة مقترحتان في ذهول ..

من مقاعد الدرجة الأولى .. وسكت دون أن تسأل أى سؤال إلى أن تستطيع أن تكشف السر ..

ثم بمجرد أن وصلنا إلى لندن .. وما كدنا نخرج من المطار .. حتى استأذن النساء الثلاث وركبن وحدهن السيارة المخصصة لحمل الركاب .. واختفن .. ولا تدري سارة إلى أين ذهبن واختفن .. وهى وهدى هانم ركبنا سيارة أجرة سارت طويلا إلى أن دخلت بهما إلى لندن وأنزلتهما عند فندق نيرشل .. إنه فندق فخم .. رائع فى هيوته .. وقد استقبلت هدى هانم منذ ظهورها على باب الفندق بترحاب كبير وبكل مظاهر الاحترام مما يؤكد أنها زبنة قديمة لهذا الفندق .

ووجدت سارة نفسها تقيم مع هدى هانم فى غرفة واحدة . من الفندق .. إلى هذا الحد أصبحت هدى هانم متعلقة بها .. إلى حد أن تتحمل إقامتها معها فى غرفة واحدة ~~معدولا~~ شك أن سارة أيضا متعلقة بهدى وترحب بالإقامة معها وتتحمل كل ما يجمع الحياة الخاصة لأمريتين .. ولكنه الذكاء الذى يدفعها إلى كل هذا التعلق بها وليست العاطفة .. بل إن عواطفها كانت تدفعها أحيانا إلى التفرز من طبيعة الحياة الخاصة لهدى ولكنها تستطيع أن تقاوم هذا التفرز وتحمله وتخفيه وراء صف اللؤلؤ الذى تكشف عنه إبتسامها ..

ومنذ أن استقرنا فى لندن صحبتها هدى هانم فى الصباح ودعبتا إلى محلى « مارك أند سبنسر » .. إنه محل واسع كأنه حى من أحياء لندن .. ومزدحم كأنه شوارع .. وأخذت هدى تطوف بهما بين المعروضات النسائية التى يمكن أن تباع فى بوتيك القاهرة .. وتذكر هدى لم تكن تدقق فى فرز الاصناف أو تسأل عن الأثمان .. كانت تطوف كأنها تجمع رؤية عامة لما يباع وعما يمكن أن تشتريه .. ثم فاجأتهما بعد أن أطلت فى ساعتهما بأن خرجت بها من المحل وقالت لها إنها مضطرة أن تتركها وتذهب لزيارة صديقة مقبمة فى لندن .. وستركها تتناول غداءها وحدها إما فى الفندق أو فى أى مكان تمر

## الحلقة الثانية

، فوجئت سارة مرة ثانية بأنها ليست وحدها التى تصحب هدى هانم إلى لندن .. إن ثلاث نساء أخريات يصحبنها .. ثلاث لسن من عمر واحد ولا من طابع واحد .. كل منهن لها عمرها وطابعها ولونها أيضا .. وإن كن الثلاث فى مستوى مهذب ومحترم .. ولم تكن سارة قد التقت بإحدهن داخل البوتيك .. ولكنها سبق أن رأت كل واحدة منهن بالمصادفة خلال الزيارات المتبادلة التى كانت تقوم بها إلى هدى هانم فى بيتها .. وكانت تقدم كل واحدة لها على أنها من بنات العائلة .. وقد التقت بهذه المفاجأة فى المطار حيث كان النساء الثلاث فى انتظارهما .. وقالت سارة فى دهشة :

— هل يسافرن معنا ..

وقالت هدى فى لهجة سريعة باترة :

— إني فى حاجة إليهن ..

ولم ترد كلمة واحدة .. وكانت هذه هى عادة هدى هانم .. تصارح سارة بالواقع دون أن تفسره لها .. فلم تفسر لها معنى حاجتها إلى هؤلاء الثلاث .. ربما كانت تترك لها أن تكشف بنفسها أسباب هذه الحاجة .. أو ما ستكون عليه مهمة هاتيك الثلاث .. وقد تعودت سارة فعلا منذ بدأت تعمل مع هدى .. تحاول أن تكشف بنفسها أسرار كل ما يحيط بها من تصرفات هدى هانم .. وكان ذلكاؤها يصل غالبا وقورا إلى اكتشاف السر ولكنها أحيانا كانت تعجز عن الاكتشاف وتخطئ بأفكارها مدة طويلة إلى أن تصل إليه .

وبمجرد وصولهن إلى الطائرة .. اكتشفت سارة أن النساء الثلاث يحملن تذاكر فى الدرجة السياحية .. بينما هى وهدى هانم لهما مقعدان محجوزان

به .. وهى لا تخاف عليها أن تنوء بين شوارع لندن .. يكفى أن تنادى سيارة أخرى وتطلب أن تحملها إلى فندق تشرشل .. ثم أخرجت من حقيبتها ورقة بمشربى جنبا استراليا وضعتها في يد سارة .. وابتعدت عنها بسرعة وألقت بمسها في إحدى سيارات الأجرة ..

وروقت سارة مذهولة .. إنها وحدها في شوارع لندن ولأول مرة في حياتها .. ولكنها لا تخاف ولن تنوء .. إنها قادرة على أن تلقى بنفسها في المخمول .. خصوصا إذا كان مجهولا مغريا يملأ رأسها بالخيال .. كالخيال الذى تنوءه شوارع لندن .. وهى واثقة من نفسها .. إنها سمعت وقرأت عن لندن الكثير من قبل أن تغد نفسها فيها .. ثم إنها تجيد الكلام باللغة الإنجليزية ولن تعجز عن التفاهم مع أى مخلوق غير بها .. وغريبة .. إن العيون التى تتعلق بها في شوارع لندن أكثر من العيون التى تتعلق بها في شوارع القاهرة .. بل إنها تتعرض لمحاولات أكثر جرأة مما تعرض لها في شوارع القاهرة .. لقد أقدم أكثر من رجل مرت به على محاولة التقاطها والتحدث معها .. وهى لا تقاوم هذه المحاولة إلا بكلمة واحدة .. آسفة .. يبتعد الرجل عنها مودعا بعينه المبهوتين .. يبدو أن اللون الأسمر الداكن أقوى جدبا للون الأبيض الإنجليزي .. والشعر الأشقر الفاقع أضعف في مقاومة الشعر الأسود .. وعقد التؤلؤ الذى تكشف عنه اجسامها يهيج شوارع لندن أكثر مما يهيج شوارع القاهرة .. وأحسنت وهى تحرك خطواتها في شوارع لندن أنها محبة عالمية وليست مجرد تحفة مصرية محلية ..

وكانت تتوقف أمام الخيال الصغيره التى تعرض المطالب النسائية .. وتبهر بما ترى وتدخل وتقب وتساءل .. ثم وجدت نفسها أمام محله كبير ضخم .. عرفت أنه محله « هارود » .. إن ما يعرضه حتى في « القترينات » المنصهر على الشارع أحمل وأرق عشرات المرات من كل ما شهدته من معروضات محلات « مارك أند سبسر » .. إن النساء في مصر يعشن جاهلات بمدى ما تطورت إليه الأرباء والمطالب النسائية .. إن حيالهن لا يتجاوز حيال الطبقة العاملة أو الطبقة

الاهم .. في لندن .. ودخلت المحل تطوف بكل عثراته وأركانته وهى ترداد انبهارا ودهولا .. لماذا لا تحمل كل هذا الجمال إلى القاهرة ..

وكانت الساعة قد وصلت إلى الرابعة عندما قررت أن تعود إلى الفندق .. وركبت سيارة أجرة وقرأت العداد بعد أن وصلت وأعطت السائق قيمة المبلغ الذى قرأت أرقامه فصبرخ السائق في وجهها صرخة عاتية وهم أن يترك جلسته ويذهب عليها .. لولا أنها تذكرت بسرعة أنه يجب أن تدفع « البقيش » ولم يكن تعلم قيمة هذا البقيش .. ولكنها بسرعة شددت جنبا استراليا .. من الى الذى كان قد أعاده لها السائق وأعطته له .. وهذا السائق وتحرك بالسيارة وشتماء ملوثان كأنه يصق على وجهها فون أن يحترم صب التؤلؤ الذى تكشف عنه شفتاه ..

وما كادت تفتح باب الغرفة في الفندق حتى فوجئت بهدى هاتم أمامها .. وقالت لها في هدوء :  
— لقد تأخرت ..

وقالت سارة في اندياع :  
— لقد كنت أجن بما كنت أشاهده من معروضات لندن .. وكان يمكن أن يربطى جنونى بما أشاهده فلا أترك الشوارع أبدا .. إن كل ما أراه يثيرنى لأرى أكثر .. لولا لآنى بدأت أحس بالجوع ..  
وقالت هدى هاتم وهى تنسم شفقة :

— إن الغداء والعشاء لهم مواعيد ثابتة في هذا الفندق .. ولن تستطيعي أن تسألي عذاك الآن .. ضاع ميعاده .. ولكن يمكنك أن تطلبى مجرد ساندوتش ..

ولم يكن يهم سارة اختيار ما تأكل وقالت وهى لا تزال مدعجة عما شاهدته في الدكاكين :

— لماذا لا تشتري من مجلات هارودز ما تبيعه في القاهرة .. إن ما يعرضه

بساوى عشرات المرات ما تعرضه محلات مارك آند سينسر .

وفاطمتها هدى في هدوء :

— يجب أن تسأل عن الأسعار قبل أن تختارى ما تشتريه .. ونحن نشترى لبيع .. وأنا أعرف كل ما تعرضه لندن وأعرف الأسعار .. والمحل الوحيد الذى يعرض بأسعار يمكن أن تنبى بها في القاهرة هو محل مارك آند سينسر . وسكنت سارة وهي تنهد كأنها تنحسر على نصيب نساء مصر .. ولكنها مع سكوتها كانت بدكائها تتلقى درسا جديدا .. وهو الدرس الذى يفرض حساب الأسعار قبل حساب قيمة البضاعة ..

وقضت الأيام بعد ذلك وهي تصحب هدى هام كل يوم إلى « مارك آند سينسر » .. ولم تمد هدى تطوف بالمروضات ولكنها كانت تدخل مباشرة إلى مكتب لأحد كبار موظفي المحل .. لعله المسئول عن التجارة الخارجية .. وتستقبل بفرح كبير كأنها من كبار المستوردين .. ويبدأ الموظف الكبير يعرض عليها وهي جالسة أمامه تماذج من الفساتين ومن لفات القماش ومن كل ما تطلبه أو ما لا تطلبه .. وفي الوقت نفسه يعرض عليها منشورات تحمل صورة لما يباع أو يعرض عليها قصاصات مجالده من أصناف البضائع .. والعالمون بالمحل « الخدول » و« حارجون » وهم يحملون ما يعرض على هدى هام .. وهي تسأل سارة عن رأيها في كل ما يعرض .. ولكنها لا تستجيب دائما لهذا الرأي .. وقراراتها تصدر مباشرة .. ترفع الثوب المعروض أمام عينيها ثم قد تلتقيه جانباً أو تقول في هدوء .. عشرون من هذا الثوب .. أو خمسون من هذه اللقات .. أو مائة من هذه الجوارب .. والموظف الكبير يسجل أمامه كل مطالب هدى هام .

ولم يمت الشراء في جلسة واحدة بل قضيت أياما وهما تترددان على نفس الموظف الكبير وتنقل بين المعروضات وقد أمسكت سارة بقطعة من المعروضات ودرأت البطاقة الملصقة بها والتي تسجل ثمنها .. ثم سألت هدى وهي تعرض عليها هذه القطعة .

— يكمن سبب هذه القطعة في القاهرة ؟

ولم تنظر هدى إلى البطاقة ولكنها قالت مبسمة كأنها تنفى درسا على سارة : — احدى الثمن المسجل على البطاقة في ثلاثة .. الثالث هو ثمن السدى سدده .. والثالث هو مصاريف النقل إلى القاهرة .. والثالث الباقي هو ما يعود إليها من ربح .. فإذا كان الثمن الذى تشتري به هو خمسة جنيهات يصل في القاهرة إلى خمسة عشر جنيا .. ولكنها حببات استرلينية والجنبة الاسترلبي ساوى ثلاثة جنيهات مصرية .. فإذا كنا ندفع في لندن خمسين جنبا استراليا فلما نبيع في القاهرة بمائة وخمسين جنبا مصرية .

واستوعبت سارة الدرس بسرعة وقالت ضاحكة :

— إننا نرفع الجنيه الإسترليني إلى أكثر من ثلاثة أضعاف .. إلى أن نستطيع أن نبيع ما اشترياه بخمسة جنيهات إسترلينية بخمسمائة جنيه مصرية .. وقالت هدى وهي تقبل سارة بعينيها :

— كل واحد وشطارته .. وات شاطرة ..

وكانت هدى هام تبدو وهي تصحب سارة معها كأنها تتعاقب وتباهى بها . كأنها ملكة تسير في ركابها جارية غامقة السمار اشتريتها من سوق الجوارى بسعر النخبة العالية .. وكانت تعتمد دفعها إلى التودد إلى كل من تحتاج إليه أو تنفى به في لندن .. وتخرج من محل مارك آند سينسر وتطوف معها الشوارع متعاقبة بها .. وتدخل بها مختلف المحال التجارية دون أن تشتري إنما للمجرد العرجة .. ثم تتناول معها الغداء كل يوم في مطعم جديد .. وتصحبها في المساء إلى ملهى راق أو لمشاهدة فيلم أو مسرحية أو لتناول العشاء في أحد المدايق الراقية .. إلا في الأيام التي كانت تنافس سارة بأنها مضطرة لأن تتركها وحدها لتناول الغداء أو العشاء مع صديقات من المصريات المقيمات في لندن .. وتدعى أنها دعوات رسمية تقبله لا تنصع لسارة .. وكان هذا يحدث كل يومين أو ثلاثة .. وسارة متأكدة أن هناك سرا وراء هذه

الدعوات . وذكأوها جميعا في محاولة اكتشاف هذا السر .. ولكنها لم تكتشفه بعد .. وكان هدى كانت تخول أن ترجعها من عاولة اكتشاف هذا السر .. فكانت بعد أن تعود إليها من هذه الدعوات الغامضة تتعمد تدليلها أكثر .. وقد عادت إليها يوما وأخذت تطوف معها على دكاكين لندن .. ودخلنا محلا صغيرا ولكنه يبدو راقيا .. وأخذنا نقبلان في الأقناب المعروضة .. ووقع في يد سارة ثوب رفعت أمام عينيها وصاحت وهي في متنى الأنهار :

— إنه رائع .. لماذا لا تشتري منه لنبيعه في مصر ..

وقالت هدى وهي تحضنها باهتمامها :

— هل يعحك ..

وعادت سارة تصيح :

— جذا .. جذا .. ولن نجد ما يوازى روعته في محلات مارك آنذ

ميسر

وقالت هدى في هدوء :

— ادخل وجرى مقاسه على نفسك ..

ودخلت سارة وقامت الثوب وأجرت لها العاملات بسرعة تصليحات

سيطة ليتفق مع ثوابها .. وخرجت به إلى هدى هائم وهي تقول :

— لترك لإعداد المقاس لتجربها نحن لمن تشتريه في القاهرة ..

وقالت هدى هائم في هدوء :

— إنه لن يباع .. إنه لك وحده ..

وصمحت هدى هائم على إعداد الثوب على مقاس سارة .. ودمعت الثمن

العالي .. وقبلت سارة الهدية وهي تعاني الحسرة كأنها تغض بها على نفسها .. إنها

تريد أن تعرض مثل هذا الثوب على كل نساء القاهرة .. وترجع من ورائه كثيرا ..

ولكنها غص أيضا بمدى تدليل هدى هائم لها وعمرها بالهدايا .. ولم يكن هذا

الثوب هو الهدية الوحيدة .. لقد اشترت لها كثيرا من الهدايا وإن كانت من

المعروضات العادية في السوق ولا يتميز عنها إلا هذا الثوب ..

ووصلت هدى هائم إلى الاكتفاء بما اختارته لتشتريه ونبيعه في مصر .

وأحدث تراجع الموظف المختص فيما يجب أن تدفعه .. استدفع الكثير .. ويرمها

اركت سارة وحدها بعد أن اتفقت معها على أن تعود للقائها في نفس المحل في

الساعة الثالثة بعد الظهر .. وغابت .. واحتضت .. ثم عادت إليها للموعد المحدد

وجلسا أمام الموظف الكبير المختص .. ثم ضحت حقيبتها وأخرجت شيكا يحمل

اسم أحد البنوك الإنجليزية تاوله للموظف ..

واستطاعت سارة أن تلتقط رقم المبلغ الذي يحمله الشيك .. إنه خمسة

وعشرون ألف جنيه إسترليني .. إنه مبلغ ضخم .. من أين أتت هدى هائم بهذا

المبلغ .. هل تحفظ بأموال مصرية في بنك إنجليزي ولكن مضت عليها خمسة

أيام في لندن ولم تخرج على أي بنك .. أم أن هناك شخصا مجهولا أو هيئة مجهولة

تقوم بشمول عمليات هدى هائم .

وقامت هدى هائم بسرعة بعد أن أخذت إيصالا بما دفعته .. وتركت البضائع

التي اشترتها في المحل إلى أن تأتي لتجملها وبعد أن يكون المحل نفسه قد اطمأن إلى

سلامة الشيك الذي تركته له .. ثم أخذت سارة لتطوف بها في الشوارع كعادتها

قبل تناول الغداء .. وقالت لها وهما بخطوان أمام معروضات الدكاكين :

— لقد أصبحت معروفة في لندن .. وهناك شخص مهم يريد أن يراك .. وقد

دعانا الليلة على العشاء .. وأريدك أن تنحني جذا باكتساب صلابة وثقة هذا

الرجل .. والبسي الليلة الثوب الجديد الذي اشترته لك ..

ولم تقاها سارة بما تطلبه منها هدى .. إنها دائما تعدها مقدما للغداء الناس ..

وقالت في بساطة :

— حاضر ..

وفي الساعة الثامنة مساء صحبتها إلى فندق كلاريدج .. وكلاهما في متنى

الأمانة .. وسارة تسمع كأنها تحوض في بحر من العيون المشبعة وبعتر رائحة

مضو به حرف أن عرق في هذا البحر .. إلى أن تصلبت وهدى تقدمها إلى الرجل الذي مدم للقائهما .. إنه الرجل الذي كانت ترى صورته وتسمع عنه في القاهرة منذ سبوت دون أن تعرفه .. إنه البكباشي عزت محروس الذي كان من أقوى الشخصيات التي تتولى الحكم أيام عبد الناصر .. وقد احتفى من قبل أن يحتفى عبد الناصر .. وسمعت أنه أصبح يقيم في لندن بعد أن حمل معه ملايين من الجنيهات .. لم تكن جنيتها بل كانت دولارات ..

وحلست سارة على مائدة العشاء وهي مذهولة .. وتغتر في اختيار كل كلمة نطق بها .. ولكن البكباشي عزت يبدو عليه أنه رجل جاد .. إن كل حديثه يدور حول مشروعات وأعمال تجارية ويسرد دائما مستوى الأسعار كأنه من رجال الأعمال العالمين ولم يكلم بكلمة واحدة .. لم تبد منه أي حركة أو أي كلمة يخص بها سارة أو تكشف عن محاولة الاستيلاء عليها كما تعودت من كل الرجال .. وعندما انتهى العشاء وقام البكباشي عزت محروس مودعا قال لها وهو يضافحها :

— لقد وثقت بك كما تثق بك هدى هام .. وسأراك كلما جاءت هدى هام إلى لندن ..

وحية سارة وهي لا تزال في دهولها .. إنها مذهولة باكتشاف السر الذي كانت تبحث عنه .. وهو أن البكباشي عزت محروس هو الذي يمول صفقات هدى هام .. يدفع ثمن ما تشتره من لندن على أساس أن تحفظ له بما دفعه في مصر .. لا شك أن هذا السر الأكبر لكل عمليات هدى هام ولكن ما هي تفاصيل هذه العملية التي تتم بين عزت وهدى .. كيف تحفظ له بأمواله في مصر .. وكيف يتم بينهما الحساب .. هذا ما يجب أن تجرى وراءه سارة حتى تكشفه .. ويكفى أنها قد عرفت الآن أن أي امرأة لا تستطيع أن تقيم بوتيكا يعرض مطالب النساء إلا إذا كان لها من يمولها لاستيراد هذه المطالب .. أي أنها لو أرادت أن تتحرر من ارتباطها بهدى هام وتقيم لنفسها « بوتيكا » خاصا بها فيجب أن تبحث أولا عن يمول لها عملية استيراد البضائع من الخارج .. وهي تمنى فعلا أن تتحرر من

هدى .. وأن تكون صاحبة بوتيك في القاهرة .. إنها بذلك تستطيع أن تحقق الملامح .. ولكنها يجب أن تصبر حتى تستكمل قدرتها على التححرر وعلى الانطلاق إلى الأفق الأبعد والأوسع ..

وقالت هدى كأنها تحاول أن تلهي نفسها عما يدور في فكرها :

— إن البكباشي عزت محروس شخصية رائعة .. إنه جاد ويتكلم كأستاذ .. ولطاعتها هدى كأنها تنهرها :

— لا نقول عنه البكباشي .. إنه لم يعد « بكباشي » ولا يجب أن يعرف عنه هذا اللقب .. إنه رجل الأعمال عزت بيه .. أو مستر عزت ..

لم أحدث محدثها عن المشاريع العالمية التي يقوم بها عزت محروس ... والتي تحمل كل الدول العربية تقريبا .. إنه الآن يتحمل مسئولية إمداد حكومة ليبيا بكل ما تحتاج استيراده .. وإن كان لا يخل على مصر ببعض عملياته رغم أنه لم يعد له أي علاقات مع المسئولين ..

وقالت سارة كأنها تطعن هدى :

— إنني أفتنى أن أعمل في خدمته ..

وقالت هدى في هدوء :

— لقد قال لك إنه أصبح يتق بك ويعطيك إليك ..

وقالت سارة وهي تغم أن تقبل يد هدى هام :

— الفضل لفتنك في والطفانك إلى ..

ووصلنا إلى غرفتهما بالفندق والساعة حوالي العاشرة مساء .. ورفعت هدى هرا سماعة التليفون وعرفت سارة أنها طلبت القاهرة .. وتحدثت طويلا بخاتبات خمس سارة أنها ليست صريحة .. ثم بعد أن أنهت محادثتها مع القاهرة .. سمعها سارة تحدث في التليفون أشخاصا آخرين .. وتقول في لهجة امرأة .. غدا في الساعة التاسعة صباحا أمام مارك أند سينسر والسفر يوم الثلاثاء .. ثم ابتعدت عن التليفون وقالت لسارة :

— إنا نستعد إلى مصر يوم الخميس .. أما الصديقات اللاتي جئن معنا فسيعدن الثلاثاء ..

ثم عادت هدى إلى التليفون تحجز مقاعد الطائرات ليومى الثلاثاء والخميس .. بعد أن قالت لسارة :

— عدا .. سيكون يوما شافا ..

وفي صباح العد كانت هدى وسارة أمام مدخل مارك أند سينسر ووجدتا في انتظارهما النساء الثلاث اللاتي جئن معهما من القاهرة .. وتبادلنا التحية معهن في لحظة فاترة باردة ثم تقدمتن هدى هانم إلى داخل المحل .. وصعدت بين إلى الموظف الكبير المختص الذى انتقل بهن إلى غرفة جانبية تجمعت فيها كل البضائع التى سبق أن اشترتها هدى .. وبجانبا عدد من الحقائب الكبيرة الفارغة .. وهى حقائب من صنف راقى محترم ..

وبدأت هدى بعسها تجمع البضائع وترتبها داخل الحقائب .. حقية بعد حقية .. ولا تكلف إلا مسارة بما تريد إعانتها فيه .. إلى أن انتهت من إعداد ست حقائب مردحة بالصائع .. ثم التفت إلى النساء الثلاث قائلة :

— كل مكن ستحمل حقيتين .. ولن يغيب عن بالى ما فى كل حقية .. ولا تنس كل مكن أن تحمل معها أيضا حقيقتها التى تجمع فيها أشياءها الخاصة ..

وكانت هدى قد تركت كمية من المشتريات خارج الحقائب فأخذت توزع بها على النساء الثلاث .. كل منهن قطعة واحدة .. قائلة :

— كل مكن تصع هذه القطعة فى حقيقتها الخاصة لتبدو أنها اشترتها لاستعمالها الخاص .. وإذا مرصت عليها ضريبة وهى فى جمرق القاهرة فلا تجادل وتدفع فوراً .. وإن كنت لا أعتقد أن أى واحدة مكن ستطالب بدفع أى ضريبة ...

وحذرن الحقائب الآن .. وسأكون معكن فى المطار الساعة السادسة فى صباح يوم الثلاثاء .. السادسة تماما ..

وخرجت كل امرأة من الثلاث ووراءها أحد العاملين فى المحل يعمل لها

حقيتين ..

وتفرغت هدى لجمع باقى المشتريات فى حقيتين أخريين .. وبعد أن انتهت بادت على العمال لحملوها للحقيتين إلى الخارج .. وقالت سارة كأنها تحتاج :

— لماذا لم تترك الصديقات الثلاث يحملن كل الحقائب معهن ..

وقالت هدى مبتسمة ابتسامة مجعدة من شدة ما بذلته من مجهود :

— ستحملين أنت هاتين الحقيتين يوم سفرنا .. فأنى سأضع فيها المصاغ الذى اشتريته وأحفظ به فى خزانة الخاصة بالفندق .. فأنى أفضل أن يكون

المصاغ معنا حتى أطمئن أكثر ..

وقالت سارة فى دهشة :

— ولماذا لا تحمل قطع المصاغ فى حقائب التى نعملها على أكفاننا .. حقائب

اليد .. فإن وزنها خفيف ..

وتكسرت صيحة هدى المتعبة وقالت :

— إنك مازلت فى متبى السناجحة .. فإن أول ما يفرم رجال الجمرق بتفنيشه

هى حقائب اليد الصغيرة .. وهى أسهل فى الكشف عن كل ما فيها .. لذلك

فمن الأفضل أن يوضع المصاغ والقطع الغالية فى الشنط الكبيرة مع الحرص على

إخفائها بين باقى ما فى الشنطة .. وإنى أذكر أنى فى مرة كنت قد اشترت من لندن

خاتمًا من الماس « سوليتير » وأخفيته وأنا أعود به إلى القاهرة داخل ثوب من

التياب التى جمعتها فى الحقية الكبيرة .. وكان مفتش الجمرق ثقيلًا متشدداً وأخذ

يقلب فى هذه الحقية وأمسك بهذا الثوب ولكنه لم يكشف فيه الخاتم السوليتير ..

ودفعت ضريبة على الثوب ولم أضع شيئاً على الخاتم ..

وسارة تستمع كهادتها وهى تستوعب بذكائها درساً جديداً ..

ووصلتا إلى غرفتهما بالفندق ومعهما الحقيتان .. ووقدت هدى هانم متعة

ومسرة بجانبا لا تحاول أن تتركها وهى متعة .. وظلت هدى راقدة طوال اليوم

التالى أيضاً ومسرة بجانبا أيضاً .. تعيد إليها حيويتها برواية الحكايات .. وترحف

يدها على حسنها تدلكها وتكيسها .. حتى بدأت تستعيد نشاطها وحيويتها ..  
وفي فجر يوم الثلاثاء ذهبت إلى المطار والتقتا بالصدقات الثلاث .. وهدى  
هام تحدى في الحقايب التي تحيط بهن .. كأنها تستطيع أن تفوس بينهن داخل  
كل شطة وتؤكد أنها لا تفقد شيئا .. أو أن إحداها قد فتحت في غيبتها ..  
ولمها كانت قد وصفت شارة خفية على كل حقيبة بحيث تعرف من تحمل كل  
مها .. فأبها وهي تراجع كل حقيبة لم تكن تغطي في التوجه بالكلام إلى من  
أعطتها لتحملها مع أن الحقايب كانت ملفاة بلا ترتيب بعضها في البعض ..  
وقالت هدى هام والنساء الثلاث يجتزن الحاجز إلى داخل المطار :

— كما هي العادة .. لا تدخلن مطار القاهرة وأنتن متلاصقات معا .. كل  
واحدة تبعد عن الأخرى وتدخل كأنها وحدها .. وسيكون في استقبالكم  
عادل شاهين وهو يعرفكن وأنتن تعرفنه ..

واحتفت النساء الثلاث بالصدقات داخل المطار .. وعادته هدى وسارة إلى  
لندن وجلستا في أحد المطاعم لتناول طعام الإفطار .. وقالت سارة في تساؤل  
طبيعي كأن من حقها أن تسأل عن أي شيء :

— من هو عادل شاهين الذي قلت إنه سيكون في استقبال صديقاتنا ؟

ونظرت هدى إلى سارة كأنها تتأكد من الالطمان إليها وقالت :

— إنه مفتش في الجمره .. وهو صديق من أعز الأصدقاء ..

وسكنت سارة وقد فهمت درسا جديدا وصلت إليه ..

واستمرا في تناول الإفطار وسارة تعلم أنها انتهت من الشراء ولم تعودا في  
حاجة إلى التردد على محلات مارك أند سنسر .. فأبى سأخذها هدى اليوم ..  
هل ستعودان إلى الطراف بالمحال التجارية .. ولكن سارة تريد أن تعود إلى محل  
بالذات .. المحل الذي بهرتا معروضاته حتى كادت تجن به .. وقالت في لهجة  
استجداء وهي تغيث على هدى كأنها تم أن تقلبها :

— إنى أريد أن أذهب إلى محلات هارودز مرة ثانية .. حتى أمتنع بالجئون الذي

أصابي عندما شاهدت معروضاته أول مرة ..

وقالت هدى وهي تحتضن سارة بانسانتها :

— سأذهب معك .. لتجدي أنى معروفة ومهمة لدى كل محلات لندن حتى

ولو لم أشتري منها ..

وأخذتها هدى إلى محل هارودز .. المحل الأرستقراطي الفخم .. واستقبلت

بمجرد أن دخلت بترحاب واهتمام .. ولم تطف بسارة بين المعروضات طويلا

وصمدت إلى مكتب في الدور العلوى .. وقالت بمجرد أن دخلت :

— هاللو مايكل ..

وكان أول ما التقت به عينا مايكل هو وجه سارة قفز من جلسته وهو يصيح

كأنه يصرخ :

— هاللو ..

ومديده يلتقط يد سارة قبل أن يصافح هدى .. وقالت هدى بعد أن انتهت إليها

والقى عليها كلمتين وعاد كله إلى سارة :

— إنها صديقتي وتعمل معي ..

وصاح مايكل :

— إنها تحفة ..

واطلقت ابتسامة سارة حتى آخرها .. لم تستطع أن تحفظ ابتسامتها صغيرة

كما تعودت أن تواجه ابهار من تلتقي بهم من الرجال .. إنها تحس بأن مايكل

نحسية تجذب ابتسامتها حتى آخرها .. وقال وعيناه لا ترحمهما :

— أين كنت .. إنى أحس بأنى وكل من في هارودز كنا في انتظارك منذ

سوات ..

وقالت سارة من خلال صف اللؤلؤ الذي لا تزال تكشف عه بانسانتها :

— أنا أيضا كنت في انتظار أن أزرع هارودز .. ولم أكن أعرف أنى

سافجا ..



وقال مايكل وشفتاه تطلقان القبلات إليها وعيناه تتحسنان كل خط من وجهها :

— أى مفاجأة .. ؟

وقالت وهى تضحك :

— أنت .. إلى أحس بك كمفاجأة ..

وعلا صوت هدى هائم كأنها تنهزها قائلة :

— كفى هذا الكلام السخيف .. إلى أريد أن أرى بعض المعروضات ..

وبدأت هدى تطلب .. ومايكل يتصل بالإدارة لتحمل إليه ما تريده هدى ولكنه يرفض ما يصل إليه على سارة لا على هدى .. وكل كلامه يوجهه إلى سارة حتى ردا على أسئلة هدى .. كأنه لا يحس بوجودها .. وكان كل ما يسمعه هدى هو أن تسأل عن الأسعار .. بمحسنة استرلينى .. ألف استرلينى .. بمحسنة آلاف استرلينى .. وترفع صوته بهذه الأرقام كأنها تتعمد أن تقذف بها في أذن سارة .. لا شيء في مستوى أسعار محل مارك أند سينسر .. لا شيء يمكن أن تحصله سوى القاهرة .. وقد بدأت تضيق بتركيز مايكل لكل اهتمامه على سارة .. لا شك أنه موظف مدلل حتى يستهين بتقاليد معاملة الزبائن .. وقد انطلق مايكل قائلا فجأة وهو يوجه كلامه إلى الاثنين وإن كانت عيناه لا تزالان مركزتين على وجه سارة وصف اللؤلؤ الذى يتسم به :

— إن الساعة الثانية عشرة .. هل يمكن أن تشرقا في تناول الغداء معى إلى أن نعود إلى مكتبى .. ؟

وهبت هدى هائم وافعة وهى تقول في حدة كأنها تقذف بكلماتها في وجهه :

— لا .. متشكرين وآسفين .. فإننا مرتبطتان بموعد الغداء ..

وشدت سارة وراءها كأنها تحملها من على الأرض .. وصاح مايكل وراعاها وهما خارجتان :

— ما هو العنوان .. ؟

وصاحت هدى دون أن تلتفت إليه :

— سعفرفه عندما نحتاج إليك ..

وركبنا سيارة أجرة لتحملهما إلى الفندق وهدى تردد :

— إنه محنون .. لم أكن أعرف أن مايكل محنون إلى هذا الحد ..

وسارة صامتة .. واجسامتها لا تزال تكشف عن صف اللؤلؤ بين شفتيها .. لها لا تمتد أن مايكل محنون .. ولكنه منطلق .. صريح في انطلاقه .. ودمه لطيف إلى حد أن من السهل أن تقع فيه ..

لست سارة يومها وهى لا تستطيع أن تكف عن استعادتها لصورة مايكل المضحكة وكلماته التى يبدو أنه لا يجارها مراعاة لمن يسمعها ..

وفي نفس المساء اتصلت هدى هائم بالقاهرة بالتليفون .. وسمعت سارة الكلمات التى تنقصها الصراحة حتى تفهمها .. وبعد أن أنهت محادثتها التفت إلى سارة وقالت لها وهى تنفث كلماتها في ضيق :

— لن نعود إلى مصر يوم الخميس ... سنعود السبت ..

وانطلقت سارة متسائلة في دهشة :

— لماذا ؟

وحدت هدى وهى تطلق أنفاسها زافرة كأنها تتخلص من ثقل على صدرها :

— لقد أصبح من حقت أن تعرف كل شيء .. إلى لا أستطيع أن أجتاز جمر القاهرة إلا وأنا مطمئنة .. ولا يطمئنى إلا لأن يكون عادل شامعين هو الذى يتلقى

المخالفات ويتعامل معى .. وقد تغير موعد توباعيته في جمر المطار من الخميس إلى السبت .. وقد طمأننى أنه استقبل صديقاتنا الثلاث اليوم ..

وسكنت سارة مستسلمة ولكنها أحست كأنها طارت من الفرحة .. لقد أصبح أمامها ثلاثة أيام تقضيها في لندن .. وهى تريد أن تعود وترى مايكل ..

سرى مايكل ..

( تلى ليس في جيبى )

الحاشى عرت المحروس الذى أصبحت سارة متأكدة بأنه هو الذى يحول  
العمليات التجارية التى تقوم بها هدى فى لندن .. وفى هذه المرة رددت  
هى هانم اسمه صراحة .. ربما بعد أن عرفت سارة به فى لقاء تناول المشاء ..  
وربما لأن كليهما .. أى هدى وعزت المحروس .. قررا أن يستعينا بمساره فى  
أهله مطالب عمليتهما ..

وهى الساعة الحادية عشرة أصبحت سارة وحدها .. وتلكأت فى شوارع  
لندن .. حتى الساعة الثانية عشرة إلا الربع .. ودخلت محل هارودز .. وصعدت  
إلى مكتب مايكل .. وبمجرد أن أبلغته السكرتيرة باسم الزائرة فتح الباب  
بفسه .. ورأته أمامها يشدها إلى داخل مكتبه وهو يقول بفرحة صاحبة وعيها  
للهمال كان ملامح وجهها :

— لقد كنتى بأس من وقتك ..

وفات وصف اللؤلؤ يلعب فى صحابة نوبها الأسمر الداكن :

— هل مازلت مصرا على دعوتى للغداء ..

وصاح ضاحكا :

— طيبا .. وأتمنى أن يستمد الغداء حتى الإفطار ..

كان حول مكتبه مجموعة من الأفراد .. بعض الرئائس .. وأجلسها على  
معدن مزو .. قائلا :

— خمس دقائق فقط ..

وعاد إلى الرئائس .. وجلست تحملق فيه من بعيد .. إنه ليس مجرد رجل  
وسيم وسامة الرجال .. إنه جميل جمالا يمكن أن يعثر به الرجال والنساء ..  
وشعره الأشقر يتدلى فوق جبينه ويغطي من الخلف كل قفاه .. ولونه أبيض  
فاتح كاللون النهار المشرق وتطلق على وحتيه حمرة كأنها ترسم له وردتس .  
تواحه ربيع كتوامها وربما أرفع وهو طويل وهى ليست قصيرة ولكنها تصور  
أهـ محتاجة لأن ترفع دراعيهما حتى أحدهما لتضع كفيها على كتفيه .. وهو

## الحلقة الثالثة

وظلت سارة تفكر فى كيف تنقع هدى هانم بأن تذهب إلى محلات  
هارودز مرة أخرى لترى مايكل .. بل إنها تريد أن تذهب إلى هناك وحدها ..  
وهى تشعر بأن كل آمالها قد أصبحت متعلقة بمايكل .. وليس معنى ذلك أنها  
أحسه من أول نظرة .. إن ما يمكن أن يعتبر حبا بين رجل وامرأة لا يخطر على  
بالها ولا يحرك عواطفها أبدا .. وهى قد تعودت على أن يتبهر الرجال برقها  
فلم يفاجئها مايكل بانتهاره .. ولكن انتهاره حرك ذكاءها إلى أمل جديد من  
آمالها البعيدة .. فهو موظف كبير فى محلات هارودز يتولى شئون التجارة  
الخارجية والتعامل مع مستوردي البضائع لبيعها فى الخارج .. ولو استطاعت  
أن تكتسبه فإنها يمكن أن تستعمله فى الوصول إلى شراء بضائع من محلات  
هارودز تباعها لحسابها فى القاهرة . وتستطيع بذلك أن تفتح السوق الغالية  
للبضائع العالية .. وهى السوق التى لا تعرف هدى هانم بوجودها فى مصر  
وتصر على شراء البضائع الرخيصة من محلات مارك أند سينتر .. وهى  
جاهلة .. إن القاهرة لا تزال تجمع أصحاب الملايين رغم كل القيود المفروضة  
على أرزاق الناس .. وتستطيع أن تصل إلى زبائن من أصحاب الملايين .. وكل  
زبون يساوى عشرة من الزبائن الذين يتعاملون مع بوتيك هدى هانم .. إلى أن  
تصح الأخرى صاحبة ملايين .

وفى صباح اليوم التالى أخذت سارة تبلل كل ما تستطيعه فى التردد إلى  
هدى هانم وتدليلها والانحداف عليها حتى تصل إلى إقاعها بأن تتركها اليوم  
وحدها ساعات .. ولكن هدى هانم أغتها عن الاستمرار فى مجهودها عندما  
قالت لها إنها ستتركها اليوم لتناول الغداء مع السيد عزت المحروس ..

بقوامه الرفيع الطويل يتمايل حتى في جلسته كأنه يحس نفسه من مقروط نص الأعلی على نصفه الأسفل .. وهو يتحدث إلى الزبائن بصدا رفيع وابتسام دائمة .. ولا تدرى هل هذه الأجسام تعبر عن فرحته بحضورها إليه أم أن هذا هو طبيعته .. على كل حال فهو يبدو حتى من بعيد كأنه رجل شاذ .. ويحبها شذوذه .. إنها في حاجة إليه ..

ومضت الدقائق الخمس .. والتقطته وهو يعتذر للزبائن قبل أن يحتل له .. كأنه يطردهم .. وقفز إليها صائحا في لهجة ضاحكة — كلى لك .. وسأحاول أن تكوني كلك لي ..

وخرج بها من غرفة المكتب وصعدا إلى الدور العلوى من المحل ودخلا إلى صالة واسعة فخشة معدة ليتناول فيها طعام الغداء .. وانزوبا حول مائدة صغيرة بجانب نافذة واسعة تطل على صورة لندن كلها .. وقالت بسرعة كأنها تعتمد أن تكون هي التي تبدأ بالكلام حتى تسيطر على الجلسة :

— من أنت ؟

وقال ضاحكا :

— لا أدري من أنا .. واسمى المكتوب هو مايكل شتوارث رمنجتون وقد وجدت نفسي منذ البداية أعمل في محلات هارودز .. لا لأنى اخترت ولكن لأنى أعيش في مجتمع هارودز .. وأحب عملى ولكى أحس أحيانا أنى أريد أن أطير إلى السماء .. أو أهبط في أعماق الأرض .. أريد أن أعيش حياة أخرى ..

وظلت تسأله وتجره للحديث عن عائلته وأمه وأبيه حتى سألته عن أصدقائه .. وقال ضاحكا :

— نحن ثلاثة لا نفرق .. وإذا أردت أن تعرفنى فيجب أن تعرفنا نحن الثلاثة .. ثم كأنه تبه إلى أنه يجيب على أسئلتها دون أن يبدأ هو بالسؤال .. فقاطعها قائلا :

من أنت .. من أنت ؟

وروت له حياتها رواية مختصرة منذ وعت الحياة بعد وفاة والدها وعلقب مع أسها وإخوتها .. أخان وأخ .. وهي تحاول أن تكون شحمة لهم بالحياة .. وكيف التحقت بالجامعة الأمريكية في القاهرة على أمل أن تسافر إلى أمريكا وقد تقيم هناك .. إلى أن التقت صدقة بهدى هانم وتعرفت لأول معها في بوتيك بيع احتياجات النساء واطمئنا قائلا :

— إنك تحدثين الإنجليزية بطلاقة حتى يحيل إلى أنك تعيش مع ..

فأجابته هانم علينا كثيرا .. وقالت من خلال ابتسامتها :

— إنى مغرمة باللغة الإنجليزية منذ صباى .. ولم أقض في الجامعة الأمريكية سوى عام واحد ، ورغم ذلك فإنى أجيد الحديث بالإنجليزية .. ولم أتمتع بالإنجليزية إلا في لندن .. وهذه أول مرة أدخل فيها لندن .. وأجمل ما في لندن هي محلات هارودز ..

وقال ضاحكا وهو يمد يده إلى يدها :

— وطبعا أجمل ما في هارودز هو أنا ..

وقالت كأنها تقبله بابتسامتها بعد أن أبعدت يدها عن يده :

— سأكون صريحة معك .. لقد ذهلت بما رأيته في هارودز من معروضات ولمست أن أحمل بعضها معى إلى القاهرة لأعرضها هناك .. ولكن هدى هانم هي صاحبة البوتيك وأنا لست أكثر من موظفة فيه وهي ترفض أن تحمل شيئا معها من هارودز لحسابي الخاص .. ولكنى لا أحرى كيف .. هل تستطيع أن تلتصقى وتأخذ يدى نحو تحقيق آمالى ..

وقال مايكل في بساطة :

— بكفى أن يكون لك رصيد في بنك إنجليزى يضمملك لدى إدارة محلات

هارودز ..

وقالت ساخرة من نفسها :  
ليس لدى أى وصيد فى أى بنك إنجليزى .. وحى ما أملكه فى بنوك  
القاهرة لا يكفى لأى طمان ..

وابتهج عها مايكل مستنابا على ظهر مقعده .. وتعقدت عيناه كأنه اكتشف  
أما تريد أن تستعله .. وقال بصوته الرفيع فى لهجة أكثر جدية وإن كانت الجساسة  
لا تزال بين شفتيه :

— إلى لا أستطيع أن أضحك لك لدى الإدارة .. إن إمكاناتى لا تكفى لقبول أى  
ضمان منى ..

وتنهت سارة فى حيرة وقالت ورأسها يسقط على صدرها :  
— أى لا أمل ..

وسكت مايكل لحظة ثم عادت عيناه تلحمان ويعود ويقرب بهما من سارة  
قائلا :

— هناك طريق آخر .. فإنك تستطيعين أن تكونى سمسارة لمخلات  
هارود .. أى تجلبى المشترين إليها .. ولندن مزدحمة بالمشتريين العرب .. بل  
أصبح العرب هم أهم المشترين .. إنهم يشترون بملايين الجنيهات .. وكل مشتر  
تأتين به يكون لك الحق فى أن تأخذين من الإدارة عشرة فى المائة من قيمة المبلغ  
الذى اشترى به .. وفى شهور قليلة تجمعين ما يكفى لضمان ما تأخذينه أنت  
للالتيجار به فى القاهرة .. وإنى أستطيع أن أسجل اسمك لدى الإدارة كسمسارة ..  
وسارة تكاد تشفق أمام عالم جديد تفاجأ به ولم تكن تعرفه ولكنها عادت  
وابتلعت شهقتها وقالت فى بأس :

— هذا معناه أن أبقي عقيمة فى لندن ..

وقال مايكل كأنه يتعجب :

— ولماذا لا تقيمين فى لندن ..

وردت سارة وهى تضحك ساخرة من نفسها :

— عجب .. إنى أولا مرقطة بالقاهرة .. ثانيا لا أملك ما أعتمد عليه لـ

والجيد خبر أن منها أكثر وتسبحان على وجهها فى رفق :  
— أستطيع أن أوفر لك إقامة فى لندن .. وأستكمل لك كل أوراق  
مرد قائمك

ولالت فى ذهنة :

— كيف ؟

قال وهو قد وصل يده إلى يدها ويضبط عليها

— بأن تخرج ..

دارت سارة فى جلسنها واتعت عينها حتى آخرها وتركزت يدها  
وكأنها لا تحس باليد التى عليها .. وقالت كأنها فرحة  
— ماذا نقول ؟

قال كأنه يعرف بصوته لرفع لها :

— إنى أعرض عليك الزواج .. ولا شك أنك اتعتت بأنى لى بك رغم أنه لم  
يمس على لقائنا إلا ساعات .. ونستطيع أن نبدأ فى اتخاذ الإجراءات من الآن ..  
إن كلا منا يكمل الآخر .. أبهى وأسر .. وعرفى وإنجليزى .. وواقع  
وحيال .. وكلانا تائه فى هذه الحياة يبحث عن مكان يأوى إليه .

واستردت سارة هلوه شخصيتها وهى تنظر إليه كأنها تعيد تحصه .. إنه أول  
من يطلب منها الزواج بمجرد رؤياها .. ولا يكفى بمجرد اشتباها .. ولم  
عده أن تكشف مدى تعلقها بشكله .. ورضائها عن هذا الشئذ الذى يبدو  
به يكفى أنه يطلب منها الزواج .. وقالت وهى تحس بأصابعها يده التى  
لا تزال ممسكة بيدها

— إنها مفاجأة لم تخطر على بالى .. وأعتقد أنى فى حاجة أن أفكر قبل أن  
أؤس .. إن كل حياتى فى القاهرة فكيف أسحبها من هناك .. ثم إنى فى حاجة إلى

مدة قد تكون شهرا حتى أتأكد من أنك لا تعرض الزواج كمجرد نزوة طارئة وليست بناء ثابتا ..

وهم مايكل أن يتكلم ولكن كأنه أفاق على شيء قد نسيه وأطل في ساعته .. لقد وصلت الساعة إلى الثالثة .. لقد أهمل موعد استئناف عمله .. وقال وهو يتسم كأنه يخفف من لوم نفسه :

— لقد أهملت العودة إلى العمل .. سأعترف وأختبر نفسي في إجازة ونقضى بقية اليوم معا ..

وقام ليحدث في التليفون ..

وسارة أيضا كانت كأنها أفاق وتذكرت هدى هام .. لقد تأخرت عليها .. ثم كيف نقضى بقية اليوم مع مايكل .. فماذا تقول لهدى .. واستجمعت كل ذكائها واستغرقت فيه .. ثم قامت إلى التليفون تحدثت هدى هام في الصلوك وقالت لها وهي تقتعل لهجة مريحة :

— لقد التقيت صديقة بشرين صديقتي التي كانت زميلتي في الجامعة الأمريكية .. وهي تصر على أن أبقى معها حتى تناول العشاء .. أرجو أن تسمح لي .. إلى فرحة جدا ببقاء صديقتي ..

وقالت لها هدى في صوت جاف :

— هل أصدقك ؟ ..

وقالت سارة في صوت مفتعل الضحك :

— وحتى لم تصديقتي يا هدى هام ؟ ..

وقالت هدى في استسلام :

— إلى أحسن كائن من الصعب تصديقك هذه المرة .. ولكني سأستسلم لك بشرط ألا تتأخرى ..

وقالت سارة وهي لا تزال تفصل انطلاقتها :

— إلى لا أستطيع أن أتأخر عنك ..

وعادت إلى مايكل وهي تقول لنفسها إنها يجب أن تستمر في المغامرة ما دامت للمغامرة قد وصلت إلى أن عرض عليها الزواج ..

وقال لها مايكل وقد عادت إليه :

— لنقضى ساعة في هاندي بارك إلى أن نحين الساعة التي ألتقي فيها بأصدقائي لألهمهم إليك .. وتعرفهم وتعرفني ..

وخرج بها إلى حديقة هاندي بارك .. وقضيا ساعتين فوق الحشائش وبين الأشجار وألقيا بنفسهما فوق مقعدين يستأجراتهما .. وسارة لا تحب ولا تسأله عن الزواج .. ولكنها لا تكف عن الحديث والسؤال عن عمل مسارة الزبائن في هلات لندن .. إنه عمل لم تكن تعرفه ولم يخطر على بالها أبدا .. ومايكل نفسه لا يعود إلى الحديث عن الزواج .. ولكن كل ما فيه يفيض بالسعادة وهي بهابه .. لعمل الزواج بين الإنجليز هو مجرد عملية تدفع إليها الحاجة .. حاجة لفروس وحاجة العريس .. وهو في حاجة إليها ويريد أن تبقى بجانبه في لندن ولم يجد ما يكفل لها حق الإقامة معه من ناحية الإجراءات الرسمية إلا أن هجرها .. إن الزواج بين الإنجليز ليس له معنى ولا أهداف ولا ضجة الزواج في مصر .. إنه رواج لا يقيم حياة جديدة ولكنها مجرد إجراء لاجتياز حالة يمر بها الرجل والمرأة .. بل إن الزواج لا يضيف أي شيء جديد عليهما .. فكل شيء مباح بلا زواج .. ولكن قد تحمل المرأة وتحس أنها تريد أن تكون أما .. وقد بهجروب الرجل معها ويحس هو الآخر بأنه يريد أن يكون أباً .. فيتزوجان من أجل استقبال المولود لبناء حياة جديدة .. وهو قد عرض عليها الزواج فقط ليتقيا بهابه في لندن .. فهل هي تريد أن تبقى في لندن .. إنها حتى الآن لا تستطيع أن تقرر ما تريد ..

وكانت الساعة قد بلغت السادسة عندما قرر أن يصحبها إلى أصدقائه .. إليهم يملكون كل يوم في السادسة ليجتمعهم الكأس .. ولم تتردد سارة .. لا يمكن أن يكون مايكل يحاول أن يشدها إلى مكان يحتل بها فيه ليستولى عليها .. إنها منذ

التقت به ورغم إطلاقه لعواطفه إلا أنه لم يحاول أى شئ .. حتى مجرد قبلة .. كأنه تنقصه دوافع غريزة الرجولة رغم أنه يغازلها .. أو لعله رجل لا يتحرك نحو امرأة إلا باتفاق الطرفين وإرادتهما المشتركة .. ماذا يريد كل منهما .. وقد يكون هو يريد كلهما .. ولكنها لم تتجاوب معه وبدت تشعره بأنها تريد .. فليستظر إلى أن تريد .. وعلى كل حال فقد قدرت منذ البداية أنه لا شك رجل شاذ .. ودخل بها إلى شقة في إحدى العمارات .. وعندها تحرك كان في تعجب بين أصدقائه الثلاثة .. إن كلا منهم يكاد يكون صورة من الآخر .. كل منهم ليس مجرد رجل وسيم ولكنه رجل جميل هذا النوع من الجمال الناعم الذى يمكن أن يتمتع النساء .. وكل منهم يفيض ليونة وميوعة .. وكل منهم معه امرأة غريبة عن المجموع الإنجليزي .. إحداهن عرفت أنها من أندونيسيا .. والثانية باهانية .. والثالثة .. زنجية ربما كانت أفريقية أو أمريكية .. ولعل مايكل وقع بين يديها لأنها هى الأخرى غريبة عن المجموع الإنجليزي بسمارها الداكن .. إنها شلة كل أفرادها من الشواذ وكل ما يحيط بها شاذ .. وقد استقبلوها في بساطة وبلا اهتمام كأنهم لا يرون شيئا جديدا ..

والمرح الصانح منطلق مع الكئوس .. وبينهم من ينتطط راقصا .. وآخر يطلق صوته بالهواء .. والثالث ملقى في أحضان صديقه .. وسارة لم تقبل أن تشرب أى كأس .. إنها لا تشرب الخمر .. ولكنها لا تقاوم هذا المرح الذى يدور حولها ولا تحاول أن تظهر امتعاضها وتناهى بنفسها عنه .. ولكنها بدأت تصرخ وتبرج هى الأخرى .. رغم أنها تقتل هذا الصراخ والمرح وليست مطلقة كلها فيه . وقد قامت الفتاة الأندونيسية ورقصت رقصة من رقصاتها الوطنية وهم يهللون ويصفقون .. وما كادت تنتهى حتى قامت سارة ترقص هى الأخرى رقصة بلدية مصرية وهى تصفق بيديها كأنها تلقنهم نغمات الرقصة ليصفقوا معها .. وقد ازدادوا تلهيلا وهم يفرجون على فن جديد غريب عليهم .. وبعد أن انتهت من رقصتها قام مايكل بجزء مقلدا لها .. ولكن اهتزازاته كانت في

مهم الميوعة والخلاعة حتى لم تطبقها سارة وتستطيع أن تتحمل استمرارها فصاحت في وجهه كأنها تشتمه وتبره :

— لا ترقص هذه الرقصة إلا بعد أن تتعلم أصولها ..

وتوقف مايكل عن الاهتزاز فوراً وقال كأنه تلقى أمراً من أمه :

— حاضر ..

وكان قد عودها منذ التقت به أن يطيع ويستجيب لأوامرها .. حتى إنه وهما هاولان الغداء كان يسبقها في التهام الطعام فقالت له في لهجة كأنها لهجة أمره :

— إنك تمضغ الطعام بسرعة .. هذا مضر بصحتك .. امضغ على مهلك ..

وقال ساعتها في استسلام :

— حاضر ..

وبدا يبدأ فعلاً مضغ الطعام ولا يرفع شيئاً إلى شفتيه إلا مع سارة وهى ترفع بها الطعام إلى شفتها ..

لقد مر على سارة إحساس بأنها قوية بالنسبة لما يكل .. كأنها هى الرجل وهو المرأة ..

وفد وصلت الساعة إلى التاسعة وسارة لم تمكّر في العودة إلى هدى هام .. ولكن أحدهم صاح :

— هذا يكفى .. انتهت السهرة ..

إن الإنجليز لا يطلبون السهرات ..

أبهم حريصون على أن يناموا الليل ويمشوا النهار وليسوا كالحن في مصر نائم ليلهم ونعيش الليل ..

وقال مايكل وهما في سيارة أجرة توجه إلى الفندق حيث نقيم سارة :

— سأراك غدا ..

وقالت سارة وهى تتهد كأنها تعلن حسرتها :

— مستحيل أن تسمح لي هدى هام بهذه الحرية غداً أيضاً ..

وقال مايكل في رنة إلحاح :

— بعد عد ..

وقالت من حلال ابتسامه حزينة :

— بعد غد سأكون في القاهرة ..

واطلق مايكل كأنه مذعور :

— إذن كيف نلتقى .. ومتى أسمع رأيك في موضوع الزواج ؟

وقالت وهي تضمه بعينها :

— سنتصّر أكثر . واكتب لي واكتب لك .. وقد أعود إليك وقد تأتى إلى

مادنا نعيش في ذكريات لقاتنا ..

وأخرجت من حقيبتها ورقة وقلمًا وكتبت له عنوانها .. وهي تقول :

— اكتب لي عنوانك في خطابك الأول .. فأني لن أكتب لك إلا إذا كتبت

لي .

وكانت السيارة قد وقفت بهما أمام الفندق .. ومالت عليه وقبلته قبله سريعة

على وجهته التي تحمل احمرار الورود .. وقالت كأنها تأمر :

— لا تنزل من السيارة ..

وجرت داخل الفندق وصعدت إلى الغرفة واستقبلتها هدى هام صامتة وهي

مكرمة على المقعد كأن يرودها بفلقها .. وأخذت سارة تروي لها حكاية خيالية

طويلة كاذبة عما كانت فيه وما شاهدهت مع صديقتها التي كانت زميلة لها في

الجامعة الأمريكية .. ولا يبدو على هدى هام أنها تستمع .. فقط ظلت عينها

معلقتين بها كأنها لا تصدقها ولا تريد أن تكذبها .. وسارة مصممة على ألا تقول

لها شيئًا مما كانت فيه .. إنها لم تكن في خدمة هدى هام ولكنها كانت في خدمة

نفسها ..

ورقدت سارة في فراشها وكل ما في عقلها يدور بأفكارها وخواطرها .. ولم

يكن يحظر على فكرها شيء من موضوع الزواج بمايكل .. ولكن كل فكرها كان

محصرا في موضوع العمل كسمسار زبائن غلات هارودز .. إنها تتقاضى

مئلا نسبة من ثمن المبيعات التي تباعها في بوتيك هدى هام علاوة على راتبها

كموظفة .. ولكنها نسبة لا تتجاوز الواحد في المائة .. في حين أن مايكل قال لها

إن غلات هارودز تدفع سمسرة نسبة عشرة في المائة مما يباع .. ولن تكون موظفة

في هارودز .. إنها سمسار حرة يمكن أن تتعامل مع كل عملاء لندن وتقبض

عمولة على كل ما تباعه عن طريقها .. ولكن كيف تتعامل مع هذه الحال ..

وكيف تصل إلى الزبائن الذين يشترون .. وكيف تقيم في لندن .. إنها خواطر

تطلق من أفق بعيد .. بعيد جدا .. فهل تستطيع أن تصل إلى هذا الأفق .. وكانت

تفكر أمامها صورة مايكل .. وتبسم وهي تتند .. إنه شاذ .. في مستهى

الشلوذ .. ولكنها في حاجة إليه لو حاولت أن تحقق أحلامها وتصل إلى الأفق

البعيد ..

وفي صباح اليوم التالي تركت سارة هدى هام تعيد ترتيب الحقائب التي

سافران بها إلى مصر وقالت لها إنها ستظفها في الجو الفندق إلى أن تأتى إليها

لتناول الغداء وتطوفا بالشوارع كما هي العادة .. ودخلت سارة المصعد الذي

يرل بها إلى البهو .. ووجدت أمامها ثلاثا من النساء ومن الواضح أنهن

مربيات .. ولا شك أنهن في مستهى الرءاء ثراء البترول .. ويعبرن عنه بقطع الماس

التي يحملنها فوق أصابعهن وبكثرة الحلى الذى يتدل من رقابهن ويروق على

أفراجهن .. وهي تعرف أن الفندق يضم عددا كبيرا من الزلاء العرب .. رجالا

وساء وأطعالا .. ولكنها لم تكن تهتم بالتعرف إليهم .. فلم يكن هناك ما تسعى

إلى اكتسابه من وراءهم .. علاوة على أنها لا تطيق نقل النساء الغريبات وجهلهن

وطاهرهن الساذج بثرتهن .. ولكنها في هذا اليوم تحرك فيها الأمل الجديد ..

وأطلقت عليهن ابتسامتها الحلوة التي تروق بصف اللؤلؤ وقالت كأنها تقبل

الوجهات :

— صباح الخير ..

وكأنهن فرحن بلقاء امرأة تنطق بالعربية فانطلقن يرددن التحية فرحات ولم يتوقفن عن الكلام .. ودعتها كبراهن إلى الجلوس معهن في بهو الفندق لتناول فنجان قهوة عربية .. إن الفندق يقدم القهوة العربية خصيصا لمن .. وفرحت سارة بالدعوة وإن كانت قد لاحظت أنهن أجلسنها على طرف جانبي منهن وليس في الصدارة كما يفرض الترحيب بأى ضيف .. لعلهن تعودن على معاملة اللون الأحمر الداكن .. لونها .. معاملة الجوارى .. ولم يهن سارة حتى لو اعتبرنها جارية .. وانطلق الكلام بينهن وكله حول معروضات لندن ومشتريات لندن .. وسارة تصعد أن تقنعن بأنهن خير من بكل ما يباع بلندن .. وتردد عليهن أوصاف وأسماء لم يسمعن عنها من قبل .. إلى أن قالت كبراهن :

— إن ما يبحر هو ألى أبحث عن معطف من القراء .. وإلى الآن لم أجد ما يعجبني .. وصاحت سارة :

— إن أعلم أين تجدن أرق وأجمل أنواع القراء في لندن بل في العالم كله .. وقالت المرأة في لهفة :

— أين ؟

وقالت سارة مدفعة :

— في محلات هارودز .. إلى سأمر عليها الآن ومستعدة أن أكون معك .. وقالت السيدة في قرع كأنها طفلة وجدت لعبة جديدة :

— هيا بنا ..

ووقفن يتأهبن للخروج من الفندق .. وسارة تجد أنها يجب أن تحدث هدى هائم في التليفون قبل أن تخرج .. ولكنها فوجئت بهدى هائم وقد نزلت إليهن وأقبلت عليهن .. وقدمتها سارة إليهن مع التضميم الكبير في الصفات التي تقدمها بها .. وقد استقبلتها النساء العربيات فعلا باحترام كبير .. ربما لأن هدى ليست سمراء هذا السمار الداكن الذي يصعها للدين في مستوى الجوارى .. وقالت سارة لهدى إنها اتفقت معهن على أن تأخذهن إلى محلات هارودز ثم عرضت عليها

أن تأتي معها .. ولكن هدى هائم اعتذرت بأنها متعبة ومتيقى مستريحة إلى أن جاءها إليها .. وألقت نفسها على مقعد وهي تبصمهن بعينين متعلقتين كأنها تبحث عما هم سارة أن تفعله معهن أو بين ..

وكان في انتظارهن خارج الفندق سيارة مرسيدس فخمة دخلت إليها النساء ففرت سارة لتجلس بجانب السائق .. إنها تحس بأنها في مهمة تفرض عليها التواضع أمام الزبون ..

ول داخل هارودز صحبتهن فوراً إلى جناح بيع القراء وأخذن يقبلن طويلا الممرات وسارة تشرح لهن قيمة كل قطعة حتى لو اصطرت أن تدعى معرفتها بالأمم .. وهي تتكلم بالعربية .. والباعة الذين اردحوا حولهن لا يفهمون ما تقول حتى يصححوا من معلوماتها .. إلى أن رجعت مطعما من القراء وصاحت : هذا أروع ما شاهدته من قراء في حياتي .. إن كله من قراء الفيزيون أو الملك .. إنه كنز يرتفع ثمنه كل يوم عن الآخر .. وألست المعطف للسيدة العربية .. وصاحت :

— لقد ازداد روعة وهو عليك ..

وابهرت السيدة العربية بالمعطف أيضا .. ربما كان ابهرها بتأثير الإتناوع الذي تصبه عليها سارة .. وسألن عن الثمن .. أربعة آلاف استرليني .. ورحبت سارة الرقم إلى السيدة العربية .. وهي تقول لها إن هذا المعطف مساوى بعد شهر واحد خمسة آلاف .. وفي ساطلة ضحكت السيدة حقيبتها وأخرجت دفتر شيكات وتناولت سارة وهي تقول لها في فرحة :

— اكسى الشيك لأوقته ..

وأعدت سارة الشيك ووقته السيدة العربية وكأنها لا تهتم بما توقع عليه .. وصحبها سارة إلى الموظف المختص وأعطته الشيك ثم سألت السيدة عن اسمها ورقم غرفتها في الفندق وسجلت في ورقة أخرى تركتها للموظف .. وهي تقول :



— إياهم سرسلون إليك المعطف في الفندق .. أم تفضلين أن تأخذه معك ..  
وقالت السيدة في بساطة :

— ليرسلوه إلى ..

وقبل أن تتفقا .. كتبت سارة ورقة أخرى كتبت عليها اسمها وناولته  
للموظف وهي تقول هامة :

— هذا اسمي .. واحفظ به فقد أكون في حاجة إليك ..

والنساء يردن أن يظعن بياق أجنبية المثل بعد أن انتهين من شراء الفراء ..  
وقالت سارة إنها آسفة لأنها مضطرة أن تسأل عن صحة صديقتها التي تركتها في  
الفندق .. ثم استأذنت في الاعتماد عهن لتحدث صديقتها بالتليفون .. وابتعدت  
كأنها تجري وصعدت إلى مكتب مايكل .. وضحت الباب دون أن نعلم باستعلان  
السكرتيرة .. وقفز مايكل من بين زبائنه يستقبلها وهو يصبح في دهشة  
صاحكة :

— إن أجمل ما فيك هو المفاجآت ..

وقالت فوراً وهي تترك يديها بين يديه :

— لقد حققت أول عملية مع محلات هارودز .. لقد حثت بريدة عربية  
اشترت فراء بأربعة آلاف استرليني ..

وقال مايكل وهو يشدها كأنه يضمها :

— رائع ..

وقالت وأغاسها تهيج متلاحقة :

— كيف أحصل على نصيبي من العمولة ؟ ..

وقال مايكل وكأنه صدم بما لم يخطر على باله .. وقال في لهجة جادة وقد ترك

يديها وسحب يديه منها :

— ولكن الإدارة لم تتفق معك بعد ..

وقالت في حدة وعصبية :

— ولكني حققت عملية وأصبح لي نصيب فيها ..

وعادت الابتسامة إلى شفتي مايكل .. وعاد والتقط يدها والتفت إلى الزبائن  
مضامدا ثم خرج بها من المكتب ودخل بها إلى مكتب آخر .. وكان يقول إنه  
يعرف سارة وأنه هو الذي كلفها بأن تخدم المثل باجتناب المشتريين العرب ..  
ووصل موظفو الإدارة إلى حد أن صحبوا ليشهد البائع على أنها كانت مع  
المشتريين .. ثم إلى الموظف الذي أخذ الشيك ليجدوا اسمها معه .. وبعد كل ذلك  
صرخوا لها مبلغ أربع مائة جنيه استرليني .. نسبة نصيبها من صفقة البيع ..

وقال لها مايكل وهي تلم في يدها المبلغ الذي أصبح من نصيبها :

— لقد كانت أمتيتي أن أحار لك هدية .. ولكنك أنت التي وصلت إلى هذه  
الهدية ..

وصاحت سارة :

— إنها ليست هدية .. إنه حق في عملية قمت بها ..

ونظر إليها مايكل نظرة إعجاب بقدرتها على الوصول إلى حقها وقال :

— وهل سأراك الليلة ..

وقالت وهي تلتقط يده وتحضنها في يدها :

— سأنتظر خطابك .. وإلى مأكدة أني لن أستطيع الاستعاء عنك أبدا ..

وابتعدت عنه كأنها طائر يخفى بين الضباب .. وأخذت تبحث بين أجنحة  
المثل عن النساء العرييات إلى أن وجدتتين حائرات لا يستطيعن تحديد ما  
يشترين .. وكانت تستطيع أن تبقى معهن لتدفعهن إلى شراء أكثر لتأخذ نصيبا  
أكبر .. ولكن لا .. إن ما وصلت إليه يكفى في تجربتها الأولى .. وقالت لمن  
معندة إنها وجدت صديقتها التي حدثتها في التليفون متعبة ويجب أن تعود إليها ..  
فقررت النساء الثلاث أن يحدن معها إلى الفندق .. وأبلغها أنها أصبحت لا  
يطمئن إلى الشراء إلا وهي معهن .. ولكنها آسفة .. إنها ستعود إلى مصر في  
الصباح التالي .. وكتبت لمن وهن في السيارة اسمها .. وعنوانها في مصر وهي

ترحب استقبالي هناك أن يكتفينا بكل ما نريد .. وفي هذه المرة كانت تجلس بجانبه داخل السيارة .. ليس بجانب السائق .. لقد زالت الكلفة بينها وبينه .. وأسرتهن بصف الرر الذي تكشف عن ابتسامتها .. وبكلماتها المرحبة المقتنة التي يطقن بها دكاها ..

ه رقة عادت إلى اصدق متأخرة عن موعد الغداء .. ووجدت هدى هام في العرفة وقد تناولت عداها .. وكانت قد قررت أن تروى لها ما وصلت إليه .. إنه عمل وهي مشتركة معها حتى اليوم في كل أعمالها .. ومدت لها يدها بالجلبات التي اكتسبتها كمعولة .. وهي تقول :

— هذا حقلك وإن كان لي فيه نصيب ..

وهدى تنظر إليها نظرة يحترقها الشك والغيظ وقالت وهي تبتسم ابتسامة مرة مفتعلة :

— هذا حقلك وحدك ..

وصاحت سارة وهي صادقة في صحتها :

— مستحيل .. إلى أعمل وأتمرك معك في لندن .. بل إلى دخلت علات هارودر وكأني معروفة باسمك .. ثم إنك التي قدمتي إلى مايكل الذي ساعدني في هذه العملية ..

وقالت هدى ولهجتها ساخرة :

— اعتبري هذا المبلغ كأنه مكافأة لك على مصاحبتك لي ..

واسمى القاش الطويل بأن احتفظت سارة بالمبلغ كله .. وهي سعيدة فرحة به .. إنه أول مبلغ تكنسه باعتبارها على نفسها وحدها .. ووضعت الأربعمئة سريسي في حقيبة يدها .. إنها لن تنفق منها أي جنيه .. إنها تحمل فرحة الكسب الزل في عملية عالية تمت في لندن ..

وقالت وهي تخفي حقيقتها يدها إلى شغل فرحتها .. وتحبس بالكسب "الحسرة" كما سترك لندن غدا في طريق عودتها إلى القاهرة .. تحبس كأنه ستركها .. ثم الراسع لتعود إلى العالم الضيق ..

## الحلقة الرابعة

وفي فجر السبت كان كل شيء قد انتهت هدى هام من إعداده للسفر .. فثمان كبيرتان متفحخان بمشتريات لندن كانت هدى قد أبلغت سارة بأنها هي التي ستدخل بهما جمرق القاهرة .. وسارة تضيف إليهما حقيقتها الأصغر التي نصم ملابسها واحتياجاتها الخاصة وقد وضعت فيها ثوبها الجديد الذي كانت قد اشترته لها هدى .. كما وضعت فيها جهاز راديو صغيرا وجهازين كهربائيين لتصفيف الشعر .. ثم حقيبة يدها الصغيرة التي لا تزال تحتفظ فيها بمبلغ الأربعمئة استرليني الذي لا يزال يثير فيها الفرحة الكبيرة بعقربتها في الحمام الأسواني .. إنه أول مبلغ حصلت عليه من سوق لندن .. أما هدى هام فهي لم تدخل جمرق القاهرة إلا بحقيبة واحدة ليست متفتحة جمعت فيها بعض المشتريات الخفيفة العادية فإنها لن تعرض نفسها لأي احتمال يمكن أن يهر أي مشكلة في الجمرق وكان كل ما أعدته هو تخطيط وإعداد للمرور بالجمرق دون أي مشكلة ..

و كانت سارة قد اتصلت تليغونيا في المساء وقبل أن تنام بالبيدات العرييات البرويات اللاتي حققت بهن إثبات عقربتها في سوق لندن .. وودعتهم في حديث طويل كانت خلاله كأنها تكشف لهن عن كل ما يباع في لندن .. يحسن إليه .. حتى تكسب قنقهن وتعلقهن بها كأستاذة في المشتريات .. وأبوت الحديث وهي مقتنعة بأنها اكتسبت قنقهن وصادقتهن فعلا .. وعندما ركت عرجها فجر اليوم التالي وقفت أمام مكاتب الفندق وكتبت لهن ورقة لوه منهن بها مرة أخرى وتسجل فيها اسمها وعنوانها .. إنها حريصة على الاحتفاظ ببعض اكتسبتهن من المشتريات الثريات بعد أن أصبحت تمشي وهي

تذكر في أن تخصص في أن تكون سمسارة لاجتذاب الزبائن إلى المحال العالمية ..

وفوجئت وهي في مطار لندن بأن هدى هانم تحمل تذاكر تطير بهما أو إلى حيف في سويسرا ومن هالك تأخذان طائرة أخرى تحملهما إلى القاهرة وقالت في دهشة :

— لماذا لم تحجزى تذاكر تحملنا مباشرة إلى القاهرة ؟ ..

وقالت هدى هانم وهما تمران بين حواجز المطار :

— إن جمرك القاهرة يستقبل كل الوافدين من لندن بتركيز كبير ويعيد مفتحة وتفشي أدق كأن لندن هي المصدر الوحيد لدخول كل البضائع الأجنبية إلى القاهرة .. وربما كان ذلك لكثرة المترددين من المصريين على لندن .. ولكن رجال الجمرك لا يذلون نفس التركيز على الوافدين من عواصم أخرى .. وقد اتفقت مع عادل شاهين مفتش الجمرك على أن يستقبلنا ضمن ركاب الطائرة القادمة من جنيف حتى يكون الجو الذي يحيط بنا أهدأ .. وقالت سارة في دهشة :

— غريبة ..

وقالت هدى هانم وهي تتسم لسارة ابتسامة تحمل بعض الشك والحيرة : — إننى أكتشف لك عن كل أسرار العمل رغم إنى أحس أنك قد لا تيقن معنى .. من يدري .. ربما كنت قنوين إقامة بوتيكت تستقبلين به عنى وتقضين به على .. حدث هدا مع الكثيرات .. ولكن مازالت ثقتى فيك تطمئنى .. وصاحت سارة :

— إننى معك إلى الأبد .. أنت أستاذتى التى أفاضت على بالخير .. بل أنت أمى .. ولا أستطيع أن أعيش أبدا بعيدا عن أمى ..

وهبطت بهما الطائرة في مطار جنيف وأخذت سارة تطوف بالمحال التجارية داخل المطار .. وتسلف صف اللؤلؤ الذى تكشف عنه ابتسامتها على

.. هذه المحال وتسال عن فروق الأسعار بين ما يباع داخل الجمرك وما يباع خارجه .. واشترت جوربين حملتهما في يدها دون أن تدرك ..

.. وهما عن جمرك القاهرة ..

.. إلى طائرة أخرى تحملهما إلى القاهرة .. ولا شك أن كل شيء .. كلتاها أغمضت عينيها كأنهما يستكملان اليوم الذى .. ملأه في لندن ..

ومطأ في القاهرة .. وقالت لها هدى هانم :

لا داعى لأن تبادليني أى حديث .. لكن كل منا كأنها وحدها وليس مع الأخرى ..

ولكن هدى ظلت تسير وراء سارة كأنها منصقة بها .. ووقفتا أمام السير الذى يحمل الحقائب لأصحابها .. وهى تراقبها في إمعان لتشد الحقائب التى يحمل مسئوليتها .. ثم تلكأت هدى إلى أن نقلت سارة هذه الحقائب إلى العربات الصغيرة التى تحملها وتشدها إلى الجمرك .. وسارة تلف عينيها من بعيد حول كل تحركات هدى .. ولاحظت وهى تقرب من مكاتب الجمرك بأن بهم شعصا تنجه عيناه إلى هدى .. وعينا هدى تتجهان إليه كأنهما يتحدان بلغة وإشارات العيون .. لا شك أن هذا الرجل هو عادل شاهين الذى حدثتها هدى .. واتجهت إليه بالعربة التى تحمل الحقائب وعاونها الشيال الذى كان ممها فى رفع هذه الحقائب إلى مائدة التفتيش .. ووقفت أمامه وهدى هانم لا لراى ملصقة بها .. ومد الرجل يده وشد حقيبتها الصغيرة قائلا فى لهجة جادة وإن كانت مهذبة :

— اخشى هذه ..

وقالت سارة وهى تعمد البساطة :

— مفتوحة ..

وتح عادل شاهين الحقبة فورا وأخذ يقلب يديه فيها ثم أخرج جهاز

الراديو الصغير وقال مبسما :

— بكم اشتريت هذا الراديو ؟ ..

وقالت فوراً ولى نفس البساطة :

— بمشرة جنيهات استرلينية ..

وقال بمنبرة :

— مستدعين ثلاثين جنيتاً للجمر ك ..

واحسب يكتب ورقة تركها لموظف آخر ثم تعدى الحقيقتين الكبيرتين المنتفضتين وأصبح أمام هدى هامم وابتمسم كأنه لا يستطيع مقاومة الابتسام لها .. ولكنه فتح حقيبتها وفرص عليها هي الأخرى أن تدفع عشرين جنيتاً كضريبة .. وتم كل شيء في هدوء وبساطة إلى أن خرجتا من المطر والشياطين يجرّون الحقايب إلى أن وضعوها في السيارة التي كانت واقفة في انتظار هدى .. سيارة ليست جديدة ولا في متنى الفخامة .. كأن هدى حريصة على ألا تحيط نفسها بمظاهر الرءاء الفاحش ..

وما كادتا تضعان نفسيهما داخل السيارة حتى انحنت هدى تقبل سارة قبلة سريعة على وجنتها وقالت :

— الحمد لله .. إننا حملنا من لندن ما يكفي لموسم الشتاء كله إلى أفكر في بيع

بعض ما اشتريته إلى أصحاب البوتيكات الأخرى ..

وقالت سارة وهي أيضاً في فرح :

— سنبيع كل ما جئنا به إلى زبائننا .. وأنا واقفة أننا قد نحتاج إلى أكثر لنبيع

أكثر ..

وقالت هدى ضاحكة :

— إلى معاملة على شطارتك ..

ثم استطرقت في حزم :

— سندهب أولاً إلى البيت ثم نختار ما سنعرضه في البوتيك شيئاً بعد شيء حتى

لا .. البوتيك مرة واحدة وسر حولنا الأقاليل ..

وحيث كان في انتظارهما الصديقات الثلاث اللاتي عدن من لندن .. وكل

مهن أسيات الحقيقتان المتضخمان اللتان كانت تحملهما .. وهدى هامم تصافحهن

بأسان .. عنهن القبلات وعيناً تطوّرت بهلكتين في الحقيقتين .. فربما أن تتأكد

أن ليس على إحداهما ما يثير الشك في أنها قد سبق فتحها .. ثم جمعت المفاتيح التي

كانت مع الصديقات وتولتها لسارة قائلة :

— اهدئي في فتح الحقيقتين .. بالترتيب الذي تعرفينه ..

ثم أخذت الصديقات إلى غرفة مجاورة .. لتصفى مع كل منهن حسابها على

اشترائها في عملية التبريب .. وصاحت سارة وراءها وهي تلقى المفاتيح على

مائدة الغرفة :

— أبدأ من الغلس .. فأني متعبة وأريد أن أرى أسي وأخوتي .. وسأكون معك

هنا في الصباح الباكر ..

وحرحت قبل أن تنظر مواقفة مدى هامم .. إنها فعلاً متعبة .. وهي فعلاً في

شوق عفيف إلى أنها وأخوتها .. وصلت إلى البيت في إحدى حواري شارع

المرم .. وألقت بنفسها في أحضان أمها وهي تشفق كأنها تلفظ أنفاساً مريحة

لايت عنها .. أما طويلة .. ثم أخذت تحضن إخوانها وكلهم يهللون بفرحة

اللقاء ..

ولم تكن قد حملت شيئاً لهم من لندن كسملها .. إنها في " أفع كسات " وهي في

لندن سميرة في عواطف أمانها حتى لم يكن يحظر على والدتها سيرة أي واحد من

أفراد عائلتها .. حتى أمها فلم تذكر أن تشتري أي هدية لأخي واحد منهم ..

ورغم ذلك فقد وجدت في حقيبتها ما يمكن أن تستغنى عنه .. وترى على أمها

وأخوتها ..

ولم ترو لهم الكثير عما عاشت فيه وشاهدته في لندن .. لقد كانت في عمل ..

ومد عودتهم على ألا تروى لهم شيئاً عن حياتها في العمل .. وهرعت لتلقى بنفسها

على فراشها .. وأحسست باسترخاء مريح لم تحس به طوال أيامها في لندن .. كأنه لم يكن لها فراش هناك تسترخى عليه .. ورغم ذلك فكل ما يسيطر على عواطف مكرها حتى وهي مستريحة هي ذكريات أيامها في لندن .. ونامت .. وكل أحلامها تستعيد أمالها التي انطلقت في لندن .. ولا تغيب عن أحلامها صورة مايكل .. بل كأنها تسمع صوته الرفيع وترى قوامه الطويل وامتزازاته الخفيفة وهي تحلم به ..

\*\*\*

وكانت في الصباح الباكر مع هدى هانم في بيتها .. وقضت معها ساعات وما تستحان الحقايب تجمعان كل صنف على حدة .. ثم اختارنا ما ستعرضانه أولا في البوتيك .. ونقلته إلى هناك فعلا .. وأخذت هدى وسارة اتصالا لتليفونيا بربائن البوتيك من سيدات المجتمع المصري الثرى .. ليتلفهن أنهما قد عادتا من أوروبا وأعادتا فتح البوتيك .. وكانت سارة أنشط وأذكى في جمع العدد الأكبر من الربائن ..

واردحم البوتيك خلال أيام بالمشتريين .. وسارة تباع كثيرا .. وتحقق أرباحا حيالية .. إنها يبيعها وبين بعضها تحسب ثمن الجلبه الاسترلينى بأربعة أو خمسة جنيهات مصرية .. وتبيع بأثمان عالية تصل إلى المئات .. بل وصلت في بعض القطع إلى الألف رغم أنها تسالوى سوى العشرات في محلات مارك أند سسر .. وهدى هانم لا تستطيع أن تجارى سارة في أسلوبها الذى تباع به حتى أصبحت تفضل أن تترك سارة تستقبل كل الربائن ..

وبعد سبعة أيام وصل إليها أول خطاب من مايكل على العنوان الذى تركه له .. عنوان بيتها في حارة بشارع الحرم .. فقد كانت تريد أن تبعد به عن هدى هانم وتعمد ألا تترك له عنوان البوتيك .. وقد فرحت الفرحه الكبرى بوصول الخطاب إليها .. إن مايكل لم يكن يلعب بها .. ولم تكن مجرد غريبة مرت به .. إنه صادق في أنه يريد بها .. وهو في خطابه يبدو كأنه معها .. إن كلماته تداعبها

وتكاد تراه بها وهو يتأمل في دلال بقوامه الرفيع الطويل .. وتكاد تسمع صوته المصح الرفيع الذى ينطلق من خلال ضحكته اللذيمة .. وهو يقول في نهاية الخطاب إنه في انتظارها لتعيش معه في لندن بعد أن يتزوجا .. لقد كان صادقا

أبها عندما عرض عليها الزواج .. وجلست قورا تكتب الرد عليه .. وهي تحيد الحديث باللغة الانجليزية ولكنها لم تعود كتابتها .. ورغم ذلك فهي تكتب وهي واثقة أنه سيفهم ما تكتبه له .. ولم تكف بالتصبر عن عواطفها نحوه .. ولم ترد على طلب الزواج ولكنها تسأله عشرات الأسئلة .. كيف سنعيش في لندن .. وكيف يمكن أن تجمع كل مطالب الحياة .. وهي فعلا لم تكن مقتنعة بالزواج من مايكل ..

إنها قد تتعامل مع هذا الشنوذ الذى يتحكم في شخصيته .. ولكنه ليس هذا النوع من الرجال الذى يمكن أن تزوجه .. لعلها قد تجد حياة تطل فيها محتفظة به دون أن تزوجه ..

والخطابات تتبادل بينهما .. وهو لا يزال يردد عليها طلب الزواج لتتبع معه في لندن .. ويجب على كل أسفنها بما يطمئنها على تحقيق كل آمالها .. ولكن لماذا لمعان هي بالإقامة في لندن .. لماذا لا تنبى هذه القصة وتطرد مايكل من عواطفها وتكفى بما استطاعت أن تحققة بالعمل مع هدى هانم .. وقد حققت أكثر مما كان يطمح على حياتها وهي صبية .. إنها وصلت إلى أن أصبح نصيبها من نسبة المبالغ التى تبعها يصل إلى خمسمائة جنيه في الشهر .. بل وصل في الشهر الأخير إلى مئائه .. بالإضافة إلى مرتبها الذى ارتفع من مائة جنيه إلى مائتين .. وقد أفاضت بما يكسبه على كل أفراد عائلتها .. انتقلت بهم من الحارة إلى شقة في عمارة جديدة بشارع المرم .. وأصبحت أمها وإخوتها يعيشون كأنهم من الطبقة الثرية المممة .. فلماذا تترك كل هذا العز وتستمر في وضع الخطط التى تكفل لها الأمل إلى العمل في لندن ..

ورغم ذلك فلا تزال آمالها تلح عليها .. إنها كسبت في لندن ومن عملية واحدة

أرعمائة جنيه استرليني . أى أكثر من ألف جنيه مصرى .. لقد كسبت فى لندن من عملية واحدة فى يوم واحد ما يساوى مكسبها فى القاهرة من عشرات العمليات التى تقوم بها خلال شهر أو أكثر ..

لكن متى ستعود إليها .. إلى السوق الإنجليزية المزاهرة بالأموال العربية . ربما تستأجر - دى هام إلى هناك بعد انتهاء موسم الشتاء والانتفاء من بيع كل بضائع البوتيك تشتري من هناك كمية أخرى من البضائع ..

ولكن سارة بدأت تحس أن معاملة هدى هام بدأت تتغير من ناحيتها .. لم تعد تعامل معها فى بساطة وصراحة كأنها ابنتها .. لو كانتا جاريتي .. لقد أصبحت تدقق معها فى مراجعة كل الحسابات .. وتنازعها فى كل عملها متابعة صاحبة المنزل إلى هدى الموقوفات .. وتصدر إليها تعليمات فى لجة أمرة .. ومعظمها تعليمات غريبة لا داعى لإطلاعها كأن هدى تعتمد مجرد فرض سيطرتها كصاحبة على .. والأكثر من ذلك هو أن فوجئت سارة بموظفة جديدة تدخل بها هدى إلى المنزل وهى تقول .. إن أعمالنا اتسعت وأصبحت متعبة ولا شك أنك فى حاجة إلى من يساعدك .. ولم أت إليك بأمرأة غريبة .. إن عدلية هى ابنة أختي .. إن هدى هام لم تعد مطمئنة إلى سارة .. لم تعد تعتبرها كإبنتها .. ولا حتى تعتبرها جارية من حواريا .. أصبحت تحس بها كشخصية قوية ذكية تحافها كأنها مستغنىة عنها البوتيك ..

وبدأت سارة تعانى ثقل الصبر على ما يطرأ على هدى هام من نوازع جديدة تعاملها بها .. ولا يعينها على الصبر إلا أنها تعيش أمل السفر إلى لندن لتحاول هناك إقامة بيتها الجديدة .. ولكن بعد ثلاثة شهور قاحلتها هدى بأنها مسافرة إلى ..

وسافر وحدها واستقرتها لإدارة البوتيك .. وعجزت سارة عن إقناعها اصطحابها ، رغم كل ما بدلته أمامها من دموع .

لم يمد أمامها إلا أن تستقل بنفسها عن هدى حتى تصل إلى لندن .. وهى لن تستطيع أن تصل بأمانها ومشروعاتها إلى هناك إلا إذا تزوجت مايكل .. ولكن لماذا يذهب إليه ليتزوجها فى لندن .. لماذا لا يأتى هو ليتزوجها فى القاهرة .. إنه لطيف لو استطاعت أن تفرضه عليه لاطمأنت أكثر إلى مستقبلها معه .. ثم إنها ستعطي أكثر إلى إعلان إسلامه فى القاهرة قبل أن يتزوجها .. وهو مستعد أن يعلن إسلامه كما قال فى أحد خطباته ردا على تساؤلاتها التى كانت تكتبها له .. وهى رغم كل مغامراتها التى تدفعها إليها أمانها لا يمكن أن تتزوج إلا رجلا يعتنق الإسلام .. وقد لا يعنى إسلامه إيمانه وإتقانه بالإسلام ويكفى أنه يستجيب لها حتى يستسلم لكل الإجراءات التى تصل به إليها .. إنهم هناك لا يعتقدون الأديان ولكنهم يكتفون بتسجيلها .. كمجرد عنوان ..

ول نفس اليوم الذى سافرت فيه هدى هام إلى لندن كسبت برقية إلى مايكل من بعض كلمات .. « إذا أردتى فعلى أن تخطى من القاهرة » .

وبعد يومين وصلت برقية مايكل ردا عليها : « سأصل إلى القاهرة يوم الخميس على طائرة الخطوط البريطانية » .. وذهبت تستقبله فى المطار وصحت معها أنها وأكبر إخوتها .. إنها تحيط كل تحركاتها بمظاهر تفرض التقاليد التى تحقق الهدف ..

وبرل مايكل من المطار بجري .. وهم أن يحتضنها بعد أن وصل إليها ولكنها أبعدت عنه فى دلال وهى تشير إلى أهلها من حولها هامة :

« أمى .. وإخوتى ..

كأنها تنبه منذ اللحظة الأولى إلى أنها لا يمكن أن تكون له إلى حد أن يختصها ويطلبها إلا بعد أن يتم الزواج وتحرف به العائلة ..

و كانت قد أعدت كل شيء قبل أن يصل .. فأخذته توالى حجرة محجوزة له فى فندق هيلتون .. وهو فرح فرحه كبيرة بوجوده فى القاهرة .. ثم بوجوده معها . وهو يريد أن يرى الأهرامات .. ولكن قبل أن تصعب لرؤية الأهرام

يحب عليه أن يذهب بصحبة حالها إلى الحمام الأزهر وإلى الحسين وهم في انتظاره  
هناك ليسجل إشهار إسلامه .. على أن يعقد القران يوم الخميس .. أى بعد  
يومين . ولكن كيف تقول له إن التقاليد المصرية تفرض على العريس أن يدفع  
مبلعا من المال يسمى مهرا .. علاوة على أن يشتري لها قطعة من المصاغ كهدية  
تسمى شبكة .. لقد جاء وهو لا يحمل أى شيء كهدية لها ولأفراد عائلتها .. ربما  
كان بخيلا ضيحا بأن يبق ما يكلفه رواجه بها .. يكفى ما أنفقه للوصول إليها ..  
ولكنها لم تحس بأنه يحيل عندما كانت معه في لندن .. وربما كان شذوذه قد ألماه  
عن محاولة اكتشاف ما يكلفه الزواج بها من أموال . واستحضته بصف اللؤلؤ  
الذى تكشف عنه ابتسامتها .. وقالت في دلال :

— إن العائلة في انتظار أن تقدم ما قد يكلفك غاليا ..

وقال في بساطة :

— أى أن أشتري ديلة الزواج .. لقد كدت اشتري الدبلتين من لندن ..  
ولكنى فضلت أن أشتريهما وأنت معى .. لا شك أننا نستطيع أن نشترى الديلة  
من القاهرة ..

وقالت وصف اللؤلؤة يرداد اقترابا مه :

— هناك ما هو أكثر .. فإن التقاليد عدنا تفرض عليك أن تدفع للعائلة مبلغا  
يسمونه مهرا .. ثم عهدي حلية تسمى شبكة .. إنها تقاليد إسلامية وقد  
أصبحت مسلما .. وأريد أن أحفف عن أفراد عائلتي صدمتهم بزواجنا الذى  
سيبعدنى عنهم ..

وقال وابتسامته تهتر بين شفتيه وصوته يخفت .. إنه يرتفع فوق شذوذه كلما  
واجه أى مسئولية .. وقال في دهشة :

— كم يكلفنى كل ذلك ..

وقالت كأنها تشفق عليه :

— يكلفك قدر غلالٍ لديك .. وقدر ما تستطيع .. ثم إن نفقات عقد

الروح مفروض أن يدفعها العريس .. وفي سرعة عصبية وضع مايكل يده في  
جيبه وأخرج دفتر الشيكات .. وقالت سارة بسرعة كأن خاطرا مفاجئا قد  
دمعها :

— اكتب الشيك باسمى ويستحق الصرف في بنك لندن .. وسأصرف  
أنا ..

وقال وهو يبر رأسه كأنه يلمتها :

— بمسامة إسترليني .. هذا كل ما أستطيعه الآن ..

وقالت ضاحكة في فرحة :

— هذا يكفى .. تعال لنشترى الشبكة ..

وكانت قد سبق أن اختارت لنفسها سوارا من الذهب المرصع بالماس من قبل  
أن يصل مايكل وينفذ أن قررت أن تزوجه .. فذهبت به إلى الصائغ الذى تعرفه  
واشترت السوار الذى سبق أن اختارته وضحت حقيتها ودفعت ستائة جنيه  
مصرى .. وقد صحبته بعدها إلى بيتها وجلسا مع أمها وإخوتها .. ثم فحنت  
حقيتها مرة ثانية وأخرجت منها ألف جنيه أعطتها لأمها .. وقالت :

— هذا هو المهر الذى قدمه لى مايكل ..

وكانت قد أعدت كل شيء وهى واثقة من أنها ستنجح في تحقيق الخطة التى  
وصحتها .. وأطلقت أمها زغرودة وشدت مايكل وقلته .. ثم همت سارة في  
أذن مايكل وهى ملتصقة به :

— إنى أحفظ بالشيك الإسترليني فقد نحتاج إليه لى لندن ..

وهو مايكل رأسه موافقا كأنه يحس ذكاءها وعقربيتها في توفير شئوننا ..  
وأخذته في اليوم التالى تطوف به معاً لم القاهرة .. أخذته إلى الأهرامات وإلى  
الأسكخانة وتطوف به الشوارع وهى تقول له :

— أريدك أن تحب القاهرة كما هى لا كما كانت ..

وسارة لم تذهب إلى البوتيك .. تركته كله لعدلية التى جاءت بها هدى

وقالت إنها ابنة أختها .. ولم تكلف نفسها حتى تتبع أخبار بوتيك بالتليفون .. إلى أن جاء يوم الخميس .. وبعد الظهر اجتمعت العائلة وبينهم مايكل وليس معهم أحد من الغرباء .. كأنهم سيقومون بعملية سرية لا يكشفون عنها .. وبخلاف كان الرجل الكبير بينهم .. وقد جاء بلا أحد من عائلته .. أى بلا زوجته ولا أولاده .. وهو يجلس مكتظا مهوما كأنه في مأتم وليس في فرح وربما لم يدفعه إلى الاشتراك في عقد هذا الزواج إلا أنه صمى إلى رضا الله بالاشتراك في إعلان إسلام مايكل .. وكل أفراد العائلة كانوا صامتين مجمدين لا يبدو عليهم إلا الاستسلام .. وأما محاول أن تفعل الفرحة وتدفع إليها باقي أفراد العائلة .. ولكن لا أحد يفرح وهي نفسها لا تكاد تطلق الزغرودة حتى تبسطها كأنها تمسح في حلقها وتكاد تحنقها .. إن ابنتهم تزوج رجلا غربيا إنجليزيا ومستر كهمل لتعيش معه في لندن فكيف يفرحون ..

وجاء المأذون وكتب عقد الزواج .. لقد أصبحت زوجة محمد المهدي رندجستون .. وكان مايكل قد أصبح يحمل هذا الاسم بعد أن أعلن إسلامه .. ولكن سارة تفصل أن تعرف من الآن باسم .. مسز رندجستون .. وقد تركت عقد الزواج خلفها حتى يسجله في الشهر العقاري كما سبق وكانت قد اتفقت معه .. فقد تزوجت رجلا أجنبيا ..

وبعد أن تار لا مع أفراد العائلة عشاء أعدوه امتكالا لمراسم حفل الزواج .. وكل منهم يأكل كأنه يتلع مرا .. خرجت سارة مع زوجها مايكل لتنام معه في غرفة فندق هيلون عربية

إن سارة لا تستطيع أن تمسك بالحقر والحياء كمروس في ليلة زفافها .. وكأن الرجل الذي تزوجته لا يدرى شيئا عما يجب أن يتم وهي في أحضانه .. إنه ما أن بدأ يقبلها حتى هام في قلبها وأخذ يرفس بقدميه وشفاه بين شفثيها ليعلق بشرافة في صمى اللؤلؤ .. ثم رحها بنزع شفثيه عن شفثيها واستلقى

هالبا على ظهره وهو يضحك ضحكات زاعقة ويقول كلاما لا تفهم منه شيئا ثم عاد إلى شفثيها إلى أن عاد ونزع ثقب منها واستلقى على ظهره يضحك ضحكا إلى متى السعادة .. ومنهرا بمتعة متبى الأنهار .. كأنه غطائه بين شفثيها تنفله إلى عالم آخر .. إلى الجنة .. وتكررت هذه الغطات حتى تغلب على مداره إحساسها بأنها يجب أن تغلى ما يجري في ليلة الزفاف .. ومسحت على رأسه بكتفها كأنها تشفق عليه ثم قامت وخلعت ثيابها بنفسها وتقلعت إليه عارية فلعقه نياه هو الآخر وهو راقد على ظهره يضع عنتى السعادة .. وأخذت تهرقه كأنها امرأة تحمل مسئولية رجل ف أن تصل به إلى حقه علي .. وهو يحصل من متبى الاستسلام وفي متبى المتعة والسعادة ..

ومن ليثها وسارة تحس بمسئوليات كل ليلة وهي امرأة كأنها الرجل .. إن زوجها حاصع خضوعا تاما لكل ما تدفعه إليه وتمركه به .. وهي سعيدة .. لأنها الهافى وهي صاحبة الأمر .. حتى لو كانت قد اكتشفت متبى الشدود في زوجها ..

\*\*\*

وفصيا يومين في القاهرة .. لطوف به طول النهار والليل .. وتدحل به إلى مطاعم الكباب والبول والطعمية ليتناول الغذاء .. كأنها تعود على أن يحب كل ما قدمه مصر حتى ما كولاتها .. وتصحبه إلى الكباريات ليرى كيف ترقص مصر ويسمع موسيقاها وأغانيا .. وهو منبر فعلا بكل ما في مصر ويشد أسباره وهو بطوف بحوارى الأحياء القديمة .. ولا تنسى أن تتركه بهال على كؤوس الطمر .. إنها لا تريد أن يجرمه الإسلام من شيء مما تعود عليه .. حتى لا يصيق بالإسلام .. وهي دائما تفتح حقيبتها وتدفع ثم تمسك بقلم وتسجل على ورقة صغيرة ما دفعته كأنها تنوى محاسبته ..

ولم تظهر به بين من تعرفهم ولم تقدمه إلى أحد من صديقاتها أو أصدقائها .. ولكنها صحبتها وهي تدخل بوتيك هدى هاتم .. وصاحت بها عدلية صارخة



كانها تعاقبها أو تلومها :

— أين أنت .. إنك لم تسألني ولو بالتليفون ..

وكتت أخشى أن تكونى مريضة ..

وقالت سارة فى هدوء وصعب التلؤلؤ بلع بين شفتيها كأنه يهبل :

— كنت أخرج ..

ثم أشارت إلى مايكل تقدمه إلى عدلية قائلة :

— زوجى .. محمد بيه المهدى .. وسنأسفر غدا ..

ومحلفت عدلية فى وجه مايكل وهى مصعوقة بهذه المفاجأة ثم أفادت من

دهشتها وقالت لسارة :

— ألا تنتظرين إلى أن تعود هدى هام من لندن ..

وقالت سارة وهى تتأمل كأنها تتباهى بنفسها :

— لا أستطيع .. إن زوجى يجب أن يسافر غدا .. وأنا أعلم أن هدى هام تتق

ملك وفى إدارتك للبيوتيك كما كانت تتق فى وربما أكثر لذلك فأبى أسافر وأنا

مصطبة إليك ..

ثم ماولتها خطابا كان قد سبق أن كتبه ونولته لعدلية قائلة :

— هذا خطاب لهدى هام لقرءه بعد أن تعود .. ومن حقل أن تقرئه .. إنه

مفتوح ..

ثم مالت وقيلت عدلية على وجنتها قيلات لا معنى لها كأنها نحية رسمية ..

وشدت مايكل وراءها وخرجت من البيوتيك .. وظافت به بقية اليوم ..

واشترت له وهما بطرفان جلاية وطاقة وشبشا على طراز المركوب وهى تقول

ضاحكة :

— أريد أن أراك ولحن فى بيتنا كأنك ابن بلدى .. مصرى ومسلم ..

وقضت الليل معه على الفراش وكأنها تلعب معه أو أنها تلعب به .. وهى

ترداد ابتكارا لحركات إثارة متعة بها .. حتى أصبحت تحس أنها فى أحضان

أمر .. وهى تضحك سعيقة مغرورة بنفسها .. فإنها هى التى استطاعت أن  
فهم كل هذا الجنون .

وفى صباح اليوم التالى نزلت من الغرفة وحدها ودخلت إلى إدارة الفندق

ودفعت الحساب كله .. كانوا يريدونها أن تدفع بالإسترليني ولكنها استطاعت

إلزامهم بأن تدفع لهم بالجنينيات المصرية .. واحتفظت بفاتورة الحساب فى يدها

وعادت إلى الغرفة وألقنها أمام زوجها مايكل دون أن تتكلم مكفية بانسانتها ..

وراح مايكل الفاتورة بعينين مدققتين .. إنه كمادته يتقص الجدية كلما واجه

مشولية .. ثم خضع الدرج القريب منه وأخرج دفتر الشيكات .. وأعد شيكا ..

إن الشيك باسمها كما سبق وطلبت منه .. وهو شيك يساوى خمسمائة جنيه

إسترليني .. وقال وهو يتاوله لها :

— هل هذا يكفى تغطية كل الحساب ..

وقالت من خلخله صف التلؤلؤ :

— ليس يبنى وبينك حساب .. كل ما تريده يكفى ويمعنى ..

وكانت قد نحت الرقم وهو يسجله على ورقة الشيك .. ولكنها ادعت أنها لن

راجع الشيك وألقت به فورا فى حقيبتها .. وهى تحسب داخل رأسها ما أصبح

مهما .. لقد سبق أن أعطاها خمسمائة .. ثم هذه خمسمائة .. ومعها الأربعمائة

التي سبق أن أخذتها بعد العملية التى قامت بها فى علات هارودز .. لقد أصبح

مهما مبلغ كبير يكفى مواجهة الأيام الأولى فى لندن ..

وانتبا من إعداد حقائبهما وصحبته إلى بيتها لتوديع عائلتها .. إنها تركت أمها

وأחותها بعد أن تركت لهم رصيدا يكفهم لمدة شهور ويوفر لهم مستوى الحياة

التي رغبتم إليها .. والمائلة مصرة على أن تصحبها حتى المطار ..

وتركهم فى المطار متمددة نحو الطائرة وهى متعلقة بذراع زوجها .. ودموع

أبها تعطى وجهها حتى مسحت عنها اجسامه الوداع .. إن سارة لا تجد دموعا

زدها على دموع أمها .. إنها تحس بأن كل ما فيها بطير إلى لندن من قبل أن تصل

( تلى ليس فى جيبى )

إلى لندن .. تحس بعسها تطير مع آمالها نحو الأفق الواسع البعيد .. ونشوتها  
تسيطر على شخصيتها حتى تكاد تجعل منها شخصية أخرى .. ورأسها  
مرفوع .. وحطواتها قوية ثابتة لا تهر قوامها هذه الهزات المثرة التي تتراقص  
بقوامها الرقيق الرشيق .. إنها لا تحس بأنها سارة العاصي إدريس .. ولكنها تحس  
بأنها مستر رنجنجتون ..

## الحلقة الخامسة

كانت سارة سألت زوجها مايكل وهما في الطائرة قبل أن يصلا إلى لندن :

— أين ستقيم ؟

وقال مايكل بصوته الرقيق المنخفض وهو يضحك :

— طبعاً ستقيمين معي ..

وقالت وهي تضحك معه ..

— أين أنت في لندن ؟

وقال وهو يتعجب من سؤالها كأنها غريبة لا تعرف كل شيء عنه :

— أقيم في شقتي .. وقد تدكرت الآن أنك لم تدخل شقتي حتى الآن ..

إنها شقة رائعة .. الحجرة واسعة ومعبها صالة .. وكل نوافذها تطل على حديقة

ريجننت بارك .. وإيجارها غال .. حتى إنني أدفع فيها أكثر من نصف دخلتي

الشهري .. ولكنها تستحق ..

وقالت وهي تضغط في إصرار على صف اللؤلؤ الذي تلمع به أسنانها :

— إنني لا أستطيع أن أقيم في شقة ويجب أن أقيم في أحد الفنادق الكبرى

بإني سأبدأ فوراً العمل في اجتذاب المشترين إلى محلات هارودز .. إنك

الذي نصحتني بهذا العمل .. ولن أستطيع أن ألتقي بالمشترين إلا إذا أقمت في

فندق يقيم فيه الأثرياء من النساء العربيات البتروليات ..

وقال ابتسامته تضيق :

— إنني لا أستطيع أن أقيم في فندق .. يجب أن تكون لي دائماً شقة .. ثم

إن الإقامة معك في فندق كبير سيكلفني أكثر مما أطلب ..

ومرح بها غياليها وقالت كأنها تعادلت نفسها :

الطامات عجيبة تربط هؤلاء الأصدقاء .. ومع الأصدقاء الثلاثة صديقين  
الثلاث .. الأندونيسية واليابانية والزنجية الأمريكية .. وهجم الرجال الثلاثة على  
مايكل بقبولونه دون أن يهتم بها أحد منهم أو يحس بوجودها بينهم .. وهم  
يصارحون بكل ما عندهم وضحكوا بهم .. ثم سكتوا جميعا مرة واحدة وهم يتنادون  
الظفرت .. ثم شد أحدهم يد مايكل ودخل به الغرفة ووراءها الإنسان  
الأحمران .. ثم أغلقوا باب الغرفة عليهم .. وعاد صياحهم يطلق من وراء  
الباب .. ووجدت سارة نفسها جالسة بين النساء الثلاث .. الأندونيسية  
واليابانية والزنجية الأمريكية .. ترى هل هن متزوجات من الرجال الثلاثة كما  
أروحت هن من مايكل .. أم أنهن مجرد عشقات وصاحبات .. لا يهم .. إنهم  
لا يسألون في لندن عن العلاقة بين الرجل والمرأة .. يكفي أن كلامهم مع الآخر  
برأفته الحرة .. إنهم لا يهتمون بما يعتبر علاقة شرعية .. إن الشرع الوحيد هناك  
والحرية الشخصية .. كل رجل حر مع كل امرأة حرة .. وأخذت تتبادل مع  
النساء الثلاث كلاما وضحكات مفتعلة وقد تركتهن لكوس الخمر دون أن  
تفارقهن فيها .. ولا تدعوها إحداهن إلى رفقة كأس .. إنهن يتركنها حرة فإن  
أرادت كأسا فإنها تستطيع أن تعده لنفسها .. وسارة تتعاقف بها التساؤلات ..  
إن كل رجل من الرجال الأربعة بما فيهم زوجها مرتبط بأمرأة غريبة عنه .. ليست  
من بلده ولا من قومه .. ما الذي يجمعهم في هذا الشلوذ .. ربما كانت طبيعة  
الرجل الإنجليزي الاندفاع نحو الاكتشاف .. اكتشاف البعيد .. حبيب ..  
والإمبراطورية البريطانية كلها قامت على اكتشاف البعيد الغريب .. والرجال  
الأربعة كل منهم يحاول اكتشاف البعيد من الأرض .. أحدهم اكتشف  
اندونيسيا .. والثاني اكتشف اليابان .. والثالث اكتشف أمريكا .. ولعل  
روحها مايكل اندفع إليها في محاولة لاكتشاف أفريقيا ممثلة في لوسيا الأسمر  
الداكن .. وكل رجل يعمل إلى تفوق ما اكتشفه والعيش فيه .. ولكن زوجها  
مايكل إذا كان ما دفعه إليها هو شهوة اكتشاف أفريقيا فإن أفريقيا أيضا تحاول

— ستقيم أنت في الشقة .. وأقيم أنا في فندق .. ونجد وسيلة تجمع بيننا كل يوم وكل ليلة ..

وقال كأنه يحدث نفسه هو الآخر :

١ - لا يهم أين تقيمين وأين أقيم .. المهم أننا نحن الاثنين في لندن ..  
وحاليها يحاول أن يرسم صورة لحياتها في لندن .. إنها لم تقدم على حياة  
الحياة لتعيش كزوجة لمايكل .. وهى إلى الآن لا تحس بنفسها زوجة له .. إلا  
رجل يحتاج إليه حتى تحقق غطلها فى الوصول إلى قمة النجاح فى العمل الذى  
اختارته لنفسها .. إنها كأمرة تزوجت رجلا لا تحس بأى قيمة له إلا أنه ثرى  
وستعيش ثراه .. ومايكل ثرى بالخدمات التى يمكن أن يقدمها لها .. ولا  
تحس إلا بهذه الخدمات وهى تعطى نفسها له وتوفر منتهى بها نظير ما يدفعه من  
خدمات لأنها أصبحت زوجته .. إنها حتى لا تعرف كيف تكون زوجة لرجل  
إنجليزى .. وأماقت من خيالها ومالت عليه كأنها تخشى أن يفر منها وقالت :  
إلى لا أقسم على أى شىء .. وسأبقى معك فى الشقة إلى أن أقرر ما أقسم  
عليه .. واجتازت معه المطار وهى تحمل اسمه .. مسز مايكل ستوارت  
برمستون .. فقد كان مايكل قد استخرج لها فيزا من السفارة البريطانية فى  
القاهرة على أنها زوجته دون أن يسجل أنه أعلن إسلامه وغير اسمه .. ودخلت  
لندن وهى تحس أنها تدخل عاصمتها الجديدة التى استولت عليها .. لقد  
أصبحت إنجليزى به ما دامت زوجة لإنجليزى .. وتطوف بينهما على كل ما تمر  
به كأنها ليست عربية .. كل شىء فى بلدها ولا تحس بأنها مجرد زائرة ..  
.. سته .. سيطر عليها بهم السائح فى الطلع إلى كل شىء كما كان إحساسها  
بهم .. مرة وهى ليست زوجة إنجليزى .

وكان كل من اشقة وفوجئت بأمراد وشلة أصدقائه الثلاثة يهللون  
لشأنه كل ألبعهم بمجرد وصوله دون أن يهتم بأن يقول لها إنهم  
في انتظاره . ولا شك أن كلا منهم يحمل مفتاحا لشقة الآخر .

اكتشاف أوروبا .. أو أنها على الأقل تحاول اكتشاف لندن عبر زوج إنجليزى ..  
و لم تحاول إحدى النساء أن تقوم وتفتح باب الغرفة أو تدق عليه ليعود إليهن  
الرجال . كأن النساء الثلاث تعودن على هذه التصرفات الشاذة .. ولكن سارة  
لم تكن قد تعودت بعد وبدأت تضيق وتزفر أنفاسها في حلة دون أن تنفوه  
بكلمة .. إلى أن مضى ما يقرب من الساعة ولا يزال ضجيج الرجال ينطلق من  
 وراء الباب .. ثم خرجوا إليهن والسعادة تفيض على وجوههم وتنطلق من شفاههم  
 الضحككات .. وبدأوا يديرون التسجيلات الموسيقية وكل منهم شد امرأته وبدأ  
 يرافضها .. ولكن سارة لم تعد تحمل .. كان قد فاض بها التعب فعلا ..  
 فحملت حقيبتها ودخلت بها الغرفة وأغلقت الباب وراءها .. دون أن يحاول أحد  
 ولا حتى زوجيها أن يحتفظ بها بينهم أن حتى يسألها لماذا تركتهم ..

وفي الغرفة فتحت حقيبتها وخلعت ثوبها وارتدت ثوب النوم وألقت نفسها  
 على الفراش . لم يبقها أنها وجدت الفراش معرا مشتا .. ألقت نفسها عليه كما  
 هو .. وهى تلتقط أنفاسها تحاول أن تستريح من الشواكش التى تنهال على  
 رأسها ..

وفي الساعة التاسعة انصرف الرجال ومعهم صديقاتهم .. يبدو أنها ساعة  
 محددة لابتداء لقاءات الليل .. لقد كانت التاسعة أيضا عندما التقت بهم أول  
 مرة .. ودخل إليها مايكل صاحبكا وأسقط عليها شفتيه بقبلها .. ثم ألقى بنفسه  
 بحانيتها وهو رافع ذراعيه دون أن يجلع ملابسه في انتظار أن يجدها بين أحضانها إلى  
 أن تبدأ في حلج ملابسه عه .. ولكنها لم تتحرك .. وادعت أنها قد نامت ولم تعد  
 تحس به .. تركته يتولى أمر نفسه بعيدا عنها ..

\* \* \*

وكان أول صاح لها في لندن .. وكان على مايكل أن يعود إلى عمله في عملة في عملة  
 هارودز وصمت أن يصحبها معه ليقدمها إلى الرؤساء لتعرفهم ويعرفوها ..  
 وتسجل اسمها كسمسارة لاجتذاب الزبائن والبيع لهم نظير عمولة قيمتها عشرة

ل المائة من ثمن ما يباع عن طريقها .

وكانت قد أعدت نفسها بأجل ما يقدم معارها الناكث .. وقوامها المثير  
 الرشق الذى يتلوى في رقة مع خطواتها كأن ليس فيه شيء من العظام .. وشعرها  
 الأسرد اللامع الذى تركه يتسدل على جبينها ويجمع على كتفيها .. وصف  
 اللؤلؤ الذى يبرق وهى تكشف عنه بائسائها .. واختارت ثوبا ليس راعقا في  
 لونه ولا يكشف عن ركتيها ولا ذراعيها ولكن كأنه يحرض الدنيا على زعجه  
 لاكتشاف ما تحته .. واستقبلها كل رؤساء الأقسام الذين قدمهم لها مايكل بابيار  
 من يماجا بجنحة نادرة غالية .. ولم يكن مايكل يقدمها على أنها زوجته إنه فقط  
 يعرفها ويشهد بمقربها على العمل .. ربما لم يعتمد ذلك ولكن لم يكن يخطر على  
 باله أنه تزوجها .. وأخذت سارة تطوف بكل ممرات هارودز وتعارف بكل من  
 يقبل التعرف بها من الموظفين .. وكانت كأنها تريد أن تلم بكل ما يبعه  
 هارودز .. إنه يبيع كل شيء وليس الفساتين ومطالب النساء فحسب .. وكانت  
 تسأل عن الأسعار لتكشف أعلاها وأدناها .. بل وتمرق بين البضائع الرائجة  
 والبضائع الكاسدة التى يجيد المحل صعوبة في التخلص منها .. تريد أن تعرف  
 ونهم كل شيء .. ورغم ذلك فهى تعرف أنها تقدم نفسها لأنها تطوف وحدها  
 ولكن إذا دخلت هارودز ومعها زبون اصطادته فهى تدخل كأنها الأخرى زبونة  
 لا تعرف أحدا ولا يعرفها أحد .. إن علاقات العمل بينها وبين عملة هارودز  
 سقى سرية ولا يعلم أحد من الزبائن أنها سمسارة .. وصعدت إلى زوجها مايكل  
 بعد أن تمت من الطواف والسؤال وقالت له هامة حتى لا يسمعه الزبائن  
 اللئعون حوله :

— متى تعود إلى البيت ؟

وقال وهو يقبلها بائسامة :

— في السادسة ..

وقالت متعجلة :

— سأكون هناك في الخامسة .. أعطني المفتاح .

وأعطاهما مفتاح الشقة بلا تردد .. وخرجت من محل هارودز كله واستأجرت سيارة أجرة وأخذت تطوف بها على المصادق المعروفة .. إنها تريد أن تختار المصدق الذي تقيم فيه ويكون مزدحماً بالزلاة العرب . وتدخل كل فندق وتدير عينيها في صالات الاستقبال .. وتستطيع أن تتقدم مدى إقبال العرب كأنها تشم رائحتهم في كل فندق .. العرب يعرفون شخصيتهم على كل فندق يتزعمونه .. إلى أن وصلت إلى فندق هيتون المثل على حدائق هايد بارك .. وقدرت أنه أكثر المصدق ازدحاماً بالعرب .. وتقدمت وحجزت لنفسها غرفة فيه ابتداء من العدد .. وكانت غرفة لها وحدها وسجلت اسمها المصري الخالص .. سارة العباسي إدرسي .. بل سجلت على نفسها أنها آمنة وليست سيدة متروجة .. إنها لا تريد أن يعرف أحد من الزبائن الذين تصادفهم أنها أصبحت إعليرية تقيم في لندن .. ولا أنها سيدة متروجة من رجل إنجليزي .. وهذا ما يحفظ لها شخصية أكثر احتذاء للزبائن العرب .. وبخصوص النساء العربيات البروليات ..

وقبل أن تقرر العودة إلى بيت الزوجة قررت أن تعد لزوجها مايكل عشاء مصرياً .. إنها تريد دائماً أن يعيش شخصيتها لأن يبقها إلى شخصيته وكانت تعرف بقالة في لندن أقامها مهاجر لبناني وبيع كل المأكولات العربية ووجدته يبيع البامية فاشترت منها .. واشترت معها اللحْم والسمن والأرز ولم تنس الليمون .. وحملت ما اشترته إلى البيت .. إته يتيها فهي الزوجة .. ودخلت المطبخ فوراً وأخذت تعد عشاء البامية .. ودخل زوجها عليها في الساعة السادسة تماماً .. كان هو الذي صنع لنفسه .. يبدو أن معه مفتاحاً آخر .. وصاحت وهي تقلب البامية على النار :

— إلى أعد لك عشاء رائعاً .. سأعود بك إلى القاهرة .. وقال وهو يحتضنها .

— سأعجب أن نذهب إلى الشقة .. ورفعت إليه عينيها كأنها فوجئت وصف الزلزل يحاول أن يشده إليها :

— اني أريدك لي وحدي .. إننا لا نزال في أيام شهر العسل .. وقال كأنه يهز صف الزلزل .. لقد تركهم أسوأ قضيتهم معك في القاهرة .. ولن يحتفلوا أكثر من ذلك ولا أنا .. والتصقت به وهي تقول ضاحكة :

— سأستطيع أن أعبك عن الشقة .. ثم شددت سترته عن كفيه ودفعته إلى درج السلم وألقت به على الفراش .. إنها تريد أن تهكك حتى تعبره عن الذهب إلى شقة .. وقد استسلم خرة ثم قفر بعينها عنها وأخذ بعيد ارتداء ملابسها .. إنه لن يستسلم وقال لها وهو يفتح باب الخروج :

— سأذهب إليهم وحدي وسأعود إليك في التاسعة .. وقالت وهي للاحقة :

— إلى حجز شخصي في فندق هيلتون ابتداء من الغد ..

وتوقفت لحظة قاتلاً :

— وكيف منلتي ؟ ..

قالت في عجلة كأنها تصيح وراءه :

— سأكون هنا كل يوم في الساعة الخامسة بانتظارك ونفق على بقية المساء .. وسأحفظ مفتاح الشقة معي .. وقال وهو يجري إلى المصعد الذي سينزل فيه :

— هائل .. معقول .. وإلى أحفظ للشقة بعشرات المفاتيح ..

واحتفى من أمام عينيها .. وعادت ترحف بخطواتها نحو المطبخ وهي مستسلمة لقدورها وابتنائها تسع كأنها تطعن نفسها على قدرتها على احتفال كل الماث حتى تحقق أهدافها .. وكانت قد تركت الآنية التي تطبخ فيها البامية فوق النار فوجدت البامية قد احترقت وأصبحت كحمية داخل الإناء .. وصحكت ضحكة عالية .. وشددت الإناء وأخذت تأكل الطعام المحروق .. ولم تحاول أن تنتظر زوجها حتى يعود من بين أحضان الشقة .. ألقت نفسها على

الغرائز وبذلت مجهودا عصبيا حتى تيمد خواطرها عن فكرها لتنام ..

ونامت صلا .. غطست في النوم .. وفي صباح اليوم التالي انتقلت إلى الفندق .. ورلت إلى البهو بعد أن تركت حقيبتها في عرقها .. إن كل شيء يتم في منتهى السهولة .. يكفي أن تقدم ونحى باللغة العربية فترتبط بصدقة فورية مع أى عربي .. إن اللغة العربية وحدها في لندن كأنها جوار مرور بين العرب بعضهم وبعض .. كل منهم يمر بترحيب الآخر .. وقد تعرفت منذ اليوم الأول بمجموعة من ساء العرب الثريات .. إن كل من تقيم في فندق هيلتون لا شك أنها ثرية فهو فندق عال جدا .. وقد قدمت نفسها على أنها مصرية سائحة قد تطول بها مدة سياحتها لأنها تحاول الالتحاق بإحدى الجامعات البريطانية .. وهي ليست المرة الأولى لها في لندن .. إنها تعرف لندن كأنها بلدنا من كثرة ترحلها عليها .. ووصلت بدكانها إلى الحديث عن أسواق لندن .. واستطاعت أن تشدني إلى محلات هارودر .. ودخلت بين دون أن تحي أحدا أو يجيب أحدا .. ودفعته إلى الشراء .. وخرجت في يومها الأول بنسبة عمولة تجاوزت المائة أسترليني .. بدأت تنبئ بها دنياها ..

وفتحت عينها في صباح اليوم التالي وهي تفكر بل وتسمى أن ترى هدى هام صاحبة بوتيك القاهرة التي كانت صاحبة الفضل في السمو بها نحو الأفق البعيد .. إنها لا تريد أن تزج ضميرها باعتذارها وتأسفها على مخرجها فحسب بل إنها فعلا تحس بشوق إليها .. إنها تحس بها أحيانا كأنها أمها .. ولكن هل هدى هام لا تزال في لندن .. وهت أن تتصل بالتليفون بفندق تشرشل الذي تعودت هدى أن تقيم فيه .. ولكنها أحست أنها تخافها .. وأحست أن هدى قد تتعالي عليها وتغفرها إذا بدأت هي الاتصال بها .. وفضلت أن ترك لقاءها في لندن للصدفة .. ولئن يمكن أن تتحقق هذه الصدفة .. لتذهب إلى محلات مارك أند سبنسر التي تعودت هدى أن تستورد منها مطالب البوتيك بالقاهرة .. فضلا ما كادت تجمع حولها بعض النساء العربيات البروليات حتى تصحبهن معها إلى مارك أند سبنسر .. إنها

اسهل نفسها في هذا المل كسمسرة .. أى لن تأخذ أى عمولة .. وهو محل بيع الرخيص ولن تقدم على ساعة تعمل فيها بلا عمولة .. وأخذت تطوف أبواب المل وعيناها تطوف حولها بحثا عن هدى .. وقد ارتعشت عندما رأتها من بعيد .. ثم لم تستطع أن تقاوم الانحداف إليها .. ووقفت أمامها لا تحجرو على مصماها وتقبلها .. لا تحجرو على مد يد لها لمصافحتها وقالت في صوت محرج :

— إلى أسفة يا هدى هام .. لقد كنت مضطرة ..

وقالت هدى وهي تنظر إليها في تعال وبين شفها ابتسامة ساخنة :

— لا تأسفى .. فقد كنت مضطرة ومأكله أنك متركين يوما العمل معي .. وقد أبلغنى عدلي بالتليفون أنك تركت البوتيك .. ولم أفاجأ .. كل ما حدث أن كنت قد قررت أن أبقى في لندن ثلاثة أسابيع فاحصرت المدة إلى اسرع واحد .. وسأسافر غدا .. وقد أبلغنى عدلي أيضا أنك تزوجت من رجل إنجليزى ..

وقالت سارة بصوتها المرتمش :

— إنه مايكل الموطف في محلات هارودر الذى سبق أن قدمت إلى وقدمنى إليه .. إن أفضلك تشمل كل حياتى ...

وقالت هدى هام بلهجة الجتهالية :

— إنه يستطيع أن يقدم لك كثيرا من الخدمات ويكشف لك أسرار السوق .. وحاول أن تتبني وجودك في لندن فقد أحتاج إليك .. وأرسل لي هوائك على بوتيك القاهرة ..

واستدارت لها هدى هام دون أن تصافحها ودون أى كلمة وداع .. وسارة والهة عمدة تتبعها بعينيها .. إن من حق هدى أن تواجهها بهذا التعالي والاحقار .. ولكن ماذا يمكن أن تحتاج إليها فيه كما قالت لها .. ربما تطلب منها يوما أن تقوم بتصدير بعض البضائع إلى القاهرة لتوفر على نفسها بعض سلم بانها إلى لندن .. وأفادت سارة من جهودها وبدأت تقرأ على فكرها خواطر

حديثه . فلماذا تحصر نفسها في التعامل مع محلات هارودز .. لماذا لا تجمع في العمل كل محال لندن حتى المحلات المعروفة سواء المحال التي تباع الرخيص أو تصنع العالي .. إنها قد تحقق في الرخيص عمليات أكثر تحقق لها عمولات أضخم مما تحققة عن طريق التعامل مع الغالي .. واستعانت بزوجها مايكل حتى يعرفها بالمستقلين في محلات مارك أند سبنسر ليجعلوا اسمها كأحد محاسنة المحل .. ثم وصلت إلى محلات « جون لويس » ومحلات « مي أند إيه » .. ومحلات « مودركير » التي تباع لوازم الأطفال .. والبيتيك الذي يعرض الفضائل « إيمير » .. و .. و .. إن كل أسواق لندن تتفتح المجال أمام السماسرة الذين يعتمدون إليها الزبائن .. حتى المستشفيات والأطباء يعترفون بالسماسرة ويدفعون لهم العمولة .. والطبيب في لندن أصبح يسمى « الطب السباحي » من شدة ازدهار المرضى العرب على المستشفيات والأطباء .. والتنافس بين دور العلاج جعلهم يعتمدون على عدد كبير من السماسرة .. إن كل شيء في أسواق لندن يعتمد على مبدأ هات وخط .. هات الزبون وعقد العمولة .. وقد أصبحت تطوف بمسعى يديها من الزبائن على كل محال لندن ..

وقد وصلت إلى أن أصبحت صديقة لكل النساء البروليات المقيمت في فندق هيلتون .. تنتقل من جماعة إلى جماعة وتخرج بين إلى الأسواق حتى أصبحت كأنهن يتنافسن على اجتذابها .. وكل جماعة تقدم إغراء أكثر .. دون أن يعرفن أنها تتقاضى عمولة على ما يشتري .. إنها فقط ففاعة مصرية تسعى للدراسة في إحدى جامعات بريطانيا .. وقد تعارفت إلى كثير من الرجال العرب الذين يصاحبون نساء في لندن .. وكثير منهم حاولوا الوصول إليها .. لتصحيحهم إلى المحال التجارية ولكن لتصحيحهم إلى الفرائس .. وهي حريصة على أن تحمي نفسها .. لا إحصاءا لزوجها مايكل ولكن فقط لأن هذا الجانب من الحياة لا يدخل في تحصيلها .. وكانت تحظر على فكرها أحيانا أن تبدأ في خطوة من هذا النوع .. إنها تسمع أن الرجال العرب وخصوصا الذين وصلوا منهم إلى قمة عالية

للأمرأة والمشايع تدفعهم الشهوة لامرأة يريدونها إلى الزواج بها .. رواج قد يسر ليلة واحدة .. أو أسبوعا واحدا .. حتى لو دفعوا له الملايين .. إنها تسمع من امرأة لبنانية معروفة بجمالها وقيمة شخصيتها تزوجت أحد رجال الخليج العربي ليلة واحدة نظير أن يدفع لها مليونين من الدولارات ويشتري لها عمارة في بيروت .. وتسمع عن امرأة أخرى تزوجت مئة مشايخ الواحد بعد الآخر .. وأفل ما وصلت إليه من الواحد منهم هو المليون دولار .. وكلها زيجات شرعية لا تغل بتعاليم الإجراءات الإسلامية حتى لو سميت زواج متعة .. وقد تستطيع سارة أن تبدأ في مغامرة مع أحد من المشايخ تحقق لها بسرعة وبسهولة مثل هذه الملايين حتى لو بدأت بالتخلي عن زواج مايكل .. ولكن لا .. إنها تحس بمتعة الكسب كسامة وليست في حاجة إلى أن تعطى زواجا للمتعة .. ولذلك كانت حريصة على ألا تجلس إلى أحد الأمراء أو المشايخ حتى لو لم يكن أميرا ولا ضاحكا إلا ومعه زوجة أو بناته أو أفراد عائلته من النساء .. وهذا الإصرار جعل الرجال يطمنون إليها وإلى مصاحبتها لنائهم .. ويطمس إليها النساء ولا يتظنون بها أن تغلو ويرجل لتختطفه منهن ولو اختطفا موقتا عابرا ..

وبعد أسابيع اكتشفت بذلكها ظاهرة غريبة يجب أن تحس حسابها .. فإن استمرار مصاحبتها لأي مجموعة من النساء يبدأ في تغلب إحساسهن بثرتهن على إحساسهن بصداقتها .. أي يتزل بها من المستوى الاجتماعي المتنازلي الذي يهمها حين إلى مستوى هابط في مستواه .. إنها في مستوى عادي بينما هن في مستوى صاحبات الملايين .. وربما كان استمرار معرفتها واحتلاطها به يبدأ في إطلاع تأثير لون بشرتها الأسمر الداكن على إحساسهن بها .. ربما يبدأ في الإحساس بها كجارية .. خصوصا وأن بعضهن تصحبن جو ر في مثل لوسا .. لعدم الاجتماعي في كثير من الدول العربية لا يزال يعترف بالحواري ويجتفضه بكيان حاص متباعد عن كيان صاحبات العصمة والهمة .

فبدأت تحس بهذه الظاهرة بعد أن بدأت تتبع مظاهر معاملة صديقتها

مريلات فند هيلتون .. إن بعضهم يذآن يتعالين عليها والبعض بدأ بمحادثتها كما  
يلقى الأوامر عليها كأنها فعلا خادمة أو جارية .. رغم أنها لا تعد يدها إليهم ولا  
يعرف شيئا عن العمولة التي تتقاضاها من المال التي يشتري منها .. وهو  
يدري .

ولهذا قررت ألا تقيم في أى فندق من فنادق لندن أكثر من أسبوعين أو ثلاثة ..  
ثم تنتقل إلى فندق آخر قبل أن تتبدل أحاسيس ومعاملة المجموعة النسائية التي  
عرفتها .. وانتقلت فعلا من فندق هيلتون إلى فندق كلاريدج .. إنه أيضا  
الكثيرين والكثيرات من النزلاء العرب .. ولكنها كانت حريصة على الاحتفاظ  
بصداقة أى مجموعة تصادفها في أى فندق .. وقد تقول ضاحكة عندما يسألوك  
لماذا انتقلت من الفندق :

— إسم في الفندق الآخر يقدمون الدجاج المشوى أأذ وأطعم .. وأنا أسهر  
الدجاج المشوى . وتجاهل دعوة أى مجموعة من الصديقات إلى الانتقال  
معهما ..

وهي تتقدم في الأعمال التي تقوم بها بسرعة .. ورصيد مكاسبها يرتفع ..  
لقد وصلت إلى الآلاف في شهر واحد .. وفي كل يوم تكتشف بذالكها شيئا  
تكر تفره .. حتى مجرد الكلام مع الأصدقاء أو مع الباعة اكتشفت له كلمات  
حديثة وأسلوبا جديدا .. بل إنها اكتشفت إجراء عاديا كان من المفروض أنه  
تكون على علم به منذ دخلت لندن أول مرة .. فإن المال التجارية تضيف إلى  
الشمس الذي تبع به قيمة ضريبة تفرضها مدينة لندن لنفسها .. وهي ضريبة تصل  
فيها إلى خمسة عشر في المائة من الثمن المدفوع .. فإذا أبلغت المثل الذي تشتريه  
مه أنك ستحصل ما اشترته إلى الخارج أعطوك إيصالا تقدمه إلى الجمرك  
ويعموم عليه بأنك صدرت فعلا ما اشترته .. وتميد هذا الإيصال إلى المثل فورد  
إلجث الضريبة التي دفعها .. وأصبحت تراول المشتريات السلاق تصحبين  
و مسجح الإيصالات من المثل .. ثم تصحبين إلى الجمرك يوم سفرهن وتحصل

على الإيصال ثم تحتفظ بهذا الإيصال معها .. ولم تكن تخفى شيئا .. بل  
تصرح المشتريين بمقهم في استعادة قيمة ضرائب لندن وستحصلها من تحتفظ  
بالعلم بأن يمدن إليها أو يرسلن لها من يأخذها من مبلغ هذه الضريبة . ولكن  
المعلمين كن لا يمدن إليها ولا يرسلن عنهم مندوبا ويعلمون كن بسين حقهن في  
هذه الضريبة التي تكون قد صرفتها من إدارة المثل واحتفظت بها في رصيدها  
باليك .. لقد كسبت مئات الجنيهات الأسترلينية باستغلالها على هذه  
الضريبة .. وهي لا شك شريفة .. إنها لم تسرق ولم تخدع ولم تخف شيئا ..

وكانت كما اتفقت مع زوجها مايكل تذهب إليه كل يوم في الساعة  
الخامسة .. وتبقى في انتظاره إلى أن يأتي إليها في السادسة .. وتكون قد أعدت  
له طعام العشاء أو تلهى نفسها بتنظيف الشقة وإعدادها ثم تذهب معه إلى لقاء  
الشفة .. أو تعطيه عتمة سريعة ثم تتركه يذهب وحده إلى الشقة .. إلا في الليالي  
المحصصة لأن تجمع الشقة في شقة فكانت تبقى لتعد لهم كل شيء إلى أن ينصرفوا  
في الساعة التاسعة ثم تبقى بين أحضان زوجها حتى الحادية عشرة أو الثانية عشرة  
لنوم له منتهى المتعة .. وقد يغلبا النوم في إحدى الليالي تقوم مفزوعة في نجر  
النوم التالي وتجري إلى الفندق قبل أن تكتشف صديقها غيبها .. وقد حدث في  
إحدى الليالي أن دعها مجموعة من الصديقات إلى تناول العشاء والسهرة معهم ..  
واعترضت .. ولكنها لم تستطيع الاعتذار عندما تلقت الدعوة الثانية .. إن  
مطالب العمل تفرض عليها أن تقبل الدعوة فاعتذرت لزوجها مايكل . إنها لن  
تراه الليلة .. وقبل مايكل الاعتذار ببساطة . إن لياليه تجمعهم بأمره الشقة ..  
وتكررت هذه الليالي التي تقيم فيها عنه .. حتى قالت له :

— يجب أن تخصص ليلة تتفرغ فيها لي . وأتصيا كنها في أحضانك إلى  
بهايتها .. إنني بذلك أستطيع أن أنظم عملي بحيث أطمئن إلى أن أعيش ليلة كاملة  
ملك .. ولو ليلة واحدة في الأسبوع ..

وقال وابسامته الغريبة تسكب من بين شفتيه :



السبت والأحد .. إن أحد أفراد الشقة يمضى كل ليلة مست مع أسرته و مررته خارج لندله .. وفرد آخر تعود أن يقضى يوم السبت والأحد دائما في فراشه لا يتحرك .. وأستطيع أن أستعني عن الشخص الثالث ليلة السبت وصباح الأحد ..

وأصبحت فعلا تقضى ليلة السبت وصباح الأحد مع زوجها بعيدا عن العمل .. إنها حريصة على الاحتفاظ به وحاجتها إليه تشدد .. إنها تكشف له كل مصيب عمليتي .. وتصارحه بكل المبالغ التي تصل إليها .. وهو الذي فتح لها حسابا باسمها في بنك بركلين لتجمع فيه رصيدها .. وكان يفرج لها ويهبها الماكسب التي تحفها .. ولكنه لم يكن يذهل أو يدهش من وصولها إلى هذه الماكسب .. وكان من يسألها أين كانت ليلة السبت وصباح الأحد يجيبها بأنها اتفقت مع أستاذ في جامعة كامبردج أن تقابله في إحازة كل سبت وأحد ليعدها ويساعدها في اختيار امتحان القبول في الجامعة .. أو تجيب بأى كذبة أخرى فهي لا تعجز عن ابتكار الروايات ..

وقد صحبها مايكل فعلا في أحد أيام الأحد وتناولوا العشاء في مدينة كامبردج بناء على صنب .. كانت تريد أن ترى المدينة كما دامت تردد اسمها في رواياتها .. وكانت هناك دائما مناقشات طويلة بين سارة وزوجها كلما واجهتها فائتورة يجب دفعها بعد تناول طعام العشاء في أحد المطاعم .. ومهما اشتد في هذه المناقشة مهما لا يكبد عن الضحك وتبادل المكات .. وقد وصلت فائتورة بعد أن تناولوا طعام العشاء في كامبردج .. وأطل مايكل بعبه في الفائتورة وقال وهو ينقش بها إليها مداعبا :

— عشرة جنيهات .. أنت خمسة وأنا خمسة ..

وقالت ضاحكة :

— الإسلام يفرض على الرجل ضعف الأنثى .. كما أن له ضعفها .. وأنت مسم .. وأسفاهل وأدفع ثلاثة جنيهات وأنت سبعة ..

وقال صائحا مدعيا إصراره على حقه :

— إن الإسلام يوصى بالعدالة .. وأنت أكلت طفين وأنا أكلت طعنا .. وأنت التي تدفعين الضعف .. أنت التي تدفعين سبعة جنيهات وأنا لا أرفع أكثر من ثلاثة ..

وقالت في لهجة الفيلسوفة العالمة :

— إن العدالة ليست في المساواة بين ما تأكله .. مادام كل واحد يستطيع أن يأكل كل ما يريد دون أن يجرم الآخر مما يريد .. إنما عدالة الإسلام هي عدالة في كيان المجتمع الإنساني .. وقد اعتبر الإسلام أن الرجل هو المسئول عن المرأة .. ولأنه المسئول فإنه يدفع على الأقل ضعف النفقات التي تجتمعها بالمرأة .. ولذلك صحت أن يرث ضعف ما ترثه المرأة .. ولأنه المسئول فإنه يدفع على الأقل ضعف المعقات التي تجتمعها بالمرأة .. وهذه العدالة لا تتحقق في القوانين البروتستانتية المروضة عليكم .. إنها قوانين تحمل الإرث كله من حق الأب الأكبر .. أو الوريث الأكبر سنا .. ربما ليحفظ بقرة تركيز القيادة العائلية .. أى القيادة الديكتاتورية .. وكما كان الأب هو الديكتاتور في تحمل مسؤولية الإنفاق على العائلة فإن الديكتاتور الذي يخلفه هو ابنه الأكبر .. تماما كنظام توارث العرش في الدول المتأخرة التي لا تزال تقوم على النظام الملكي .. أى نظام الحكم في بلدكم .. من يستطيع أن يجلس على العرش غير أول مواليد الملك أو الملكة .. إنها ديكتاتورية .. والإسلام ليس دين الديكتاتورية ولكنه دين الديمقراطية ..

وقال ساخرا من خلال ابتسامته التي تسيح على شفهي :

— دعيني أراجع كل هذا الكلام الذي تقوله إلى أن أقنع به .. وإلى أن أقنع ادمي أنت وحكك الحساب كله ..

ودفعت حقيتها ودفعت قيمة فائتورة الحساب كله .. قسم تكن هذه المناقشات تغير عن أى خلاف بينهما .. أو عن طمع أحدهما في استغلال الآخر .. إنها مجرد أحداث للسلية وقطع الوقت .. وهو يعلم أنها أصبحت حسب مبالغ ضئيلة .. إنها لا تخفى عنه شيئا من كل أرباحها التي تحقنها ..

وهي تعلم أيضا أنه يتقاضى مرتبا عاليا من محلات هارودز علاوة على نسبة بسيطة من الأرباح . ولكنها لا تعلم إذا ما كان له أى دخل خاص . فهو لا يقول لها وهي لا تسأله . ومسئولية كل واحد منهما عن الآخر تقوم على الحرية المطلقة لكل منهما . هو يدفع عندما يريد . وهي تدفع عندما تريد . وقد دفعت أخيرا بعد عدة تأثت الشقة كلها . شقة الزوجية . غرفة نوم جديدة . لعله يحس بأنه أصبح له مراض ليس لأحد حق عليه إلا هي . لعل ذلك يعيده عن شهوده . والمصالون . والمطبخ . كل الشقة أعادت تأثيثها لعله يحس أن كل حياته قد تميزت . وكان مفاجئا بكل شيء جديد ولكن لا شيء يتغير فيه . وكانت أعمال سارة تتسع بسرعة كسرعة الصاروخ . لم تعد صداقتها بالنساء العربيات مقصورة على نزيلات الفنادق فقد قدمتا إلى نساء الأمراء والمشايع اللاتي كن يقعن في بيوت خاصة اشتريها في لندن أو استأجرنها . وأصبحت كل منهن توصي الأخرى بأن تعتمد على سارة كلما أرادت أن تشتري . واسمها أصبح يتردد في الأسواق كلها . سارة . سارة . سارة . ورغم كل هذا الرخام الذي أصبحت تعيشه فلم يكن لها أى ربوة مصرية . بل كانت تعتمد نجاحهن . ورغم أنها تعلم أن بعضهن يحمل ثروات ضخمة قد ترى ثروات نساء الأمراء والمشايع العرب . وهن يتنافس على الشراء ويمتلأن بأسواق . ويكسبن تحس بأنهن مخافهن . تخاف أن يكشفن عن واقع التعامل معهن . وأنهن تخرج بمعمولة عن كل ما يشتريه وهي معهن . تخاف أن يخسبها عن ربحها بل أن يدفع ثمن ما يشتريه . وتخاف أن تحقد عليها إحداهن فتبلغ عنها بسببها المشهورة في القاهرة وقد يصادرون ما تملكه هناك أو يقضون عليها بما فكرت به من العود أو يؤذون أهلها إلى أن تعود . إن عقليات الرضى الواحد منهن لم تكن تكشف إحداها أسرار الأخرى . ومن السهل أن تصل بأصحابها إلى حجرة والمقد كان كلا من هذه العقليات لا تبدأ إلا إذا انتصرت على الآخر . لذلك ساعدت عن المصريات اللاتي يعدن إلى لندن . وقد تغالى في

الترحيب وإدعاء الحب والشوق لمن تلتقى بها منهن . ولكنها لا تلبث أن تعرب سها وتختفى عنها في عالمها الخاص . عالم النساء العربيات الوافدات إلى لندن . وكان قد مضى ثلاثة شهور على إقامتها في لندن . ودق جرس التليفون في غرفتها بالفندق في مساء أحد الليالي . إنها القاهرة .

وهي هدى هانم .

كيف عرفت أين تقيم .

ولكنها لم تستمر في التساؤل وفرحتها تكاد تطير بها من فوق فراشها . إنها تحس بأن الأفق البعيد قد اتسع حتى أخذها إلى القاهرة وهي لا تزال في لندن .

حاملة رقيقة :

— وسأصل بك بالتليفون فيما بعد . مع السلامة ..

وأحسست سارة كأن هدى أقتت سماعة التليفون في وجهها .. وسقطت على راسها متعجبة .. ولكنها لا تزال تحس بالزهو لأن هدى اضطرت إلى الاتصال بها .. ماذا تريد منها هدى .. إنها تريد أن تتصل بالتليفون بصديقها عزت .. البكاشى عزت محروس الذى أصبحت تعرف أنه هو الذى يقوم بتمويل كل عمليات يوتيك القاهرة .. أسفة .. إنه عزت يه محروس .. فقد أصبح بكرة أن يلقب بلقب بكباشى .. بل ربما اعتبر كل من يواجهه بلقب بكباشى يعتمد معياره ناصبه .. ولعله هو الذى أبلغ هدى هانم بمقرها الذى تقيم فيه حتى تتصل بها بالتليفون .. لعله يحيطها بمجهز مخابرات يجمع له كل أخبارها .. ولا شك أن عزت محروس عندما كان يحتل مركزا رئيسيا في السيطرة على الحكم كان يعتمد على المخابرات .. وهو الآن أصبح بعيدا عن الحكم فما حاجته إلى المخابرات .. ربما كان كل من نشأ بعقيلة عسكرية يعيش وهو يعتبر أن الحياة كلها ليست سوى معركة .. والمركة تحتاج إلى مخابرات .. لذلك فكل منهم يحيط نفسه بمركز مخابرات .. حتى بعد أن يتعد عن مسؤولية الحكم .. ومعظم المقيمين في لندن من المهاجرين السياسيين الذين هربوا من حكوماتهم ويحلمون أنها تلاحقهم أينما كانوا يحيطون أنفسهم بأجهزة مخابرات خاصة ..

وسارة لا تزال مستغرقة مع أفكارها وخواتمها وهي رايدة على فراشها .. ماذا سيكون بينها وبين عزت يه .. إنه لا شك سيطر عليها قائمة بما تطليه هدى هانم لمرضه في البوتيك ويكلفها بالشراء .. وطبعاً ستكون المشتريات كلها من محال ه مارك أند سنسر ه كما تعودت هدى هانم .. ثم بعد أن يتم الشراء يسلمها عزت يه الشيك الذى يجعل قيمة الثمن .. كما سبق وأن حدث مع هدى هانم .. ولكنها عندما تشتري من مارك أند سنسر فستشتري باسم هدى هانم .. وهى مجرد مدوية عنها .. فهل يدفع مثل العمولة التى تستحقها .. إذ هدى هانم لم تعد

## الحلقة السادسة

قالت هدى هانم وهى تحدث سارة بالتليفون في لندن وصوتها ينطلق بفرحة معتلة :

— إن كل لندن أصبحت تتحدث عنك .. لا أحد يعود من لندن إلا وهو يتحدث عن سارة ..

وسارة مرهوه بأن هدى هانم تحدثها من القاهرة .. تحس كأنها انتصرت عليها حتى اضطرتها إلى السعى إليها .. ولكنها قالت كأنها تخفى عنها انتصارها عليها :

— أنا تلميذتك يا هدى هانم .. لا أساوى شيئا بجانب أستاذتى .. ولندن هى انتظارك دائما ..

وقالت هدى في لهجة أكثر جدية كأنها تريد أن تختصر من دقائق المحادثة التليفونية

— بس لى أسطيع أن أسافر إلى لندن هذه الأيام .. بسى متعبة قليلا .. ولكن البوتيك فى حاجة إلى بضائع .. وفكرت فى أن اعتمد عليك فأبى لى أقعد أبدا ثقتى بك وحبى لك ..

وقالت سارة بفرحتها :

— إنى به هدى هانم .. وتلميذتك وخادمتك ..

ودار .. بسى فوراً كأنها لا تريد أن تقاطعها :

— بصديقا عزت .. إن لديه قائمة بما نحتاج إليه .. وسأعطيك

ساره ..

هدى هانم التليفون ه ثم قالت فوراً وصوتها جاف ليس فيه أى ربة

بمجرد ربوثة واحدة على هذا المحل .. إنها عميلة قديمة .. وقد يرفض المحل دفع عمولة سارة حتى لا يضيف قيمتها إلى الثمن الذى تدفعه هدى .. أى أنها ستقوم بالعملية دون أن تنتظر أى أرباح حاصنة .. ستقوم بها ببساطة .. وهى لا تريد أن تقضى ولو يوما واحدا فى عملية مجانية .. إنها لا تزال فى البداية وكل عقلها يسيطر على كل حركاتها لتكسب .. وتكسب المزيد ..

ولمست عينا سارة وقد خطرت على بالها فكرة جديدة .. ورفعت سماعة التليفون وطلبت القاهرة .. وعادت تحدث هدى هانم .. وقالت وهى تفتعل متبى الرقة والحب :

— لقد فهمت أن عرت يه سيلمضى قائمة المشتريات .. وثقى أن كل شيء سيكون معدا فى يوم أو يومين .. إنى لتعيدتك الشاطرة .. ولكنى فكرت فى أن أضيف إلى القائمة بعض المشتريات على حسابى الخاص .. أرسلها لتباع فى البوتيك . مع أى شروط تصعيها حضرتك .. ما فى حاجة إلى أن أمد أهل فى القاهرة ببعض المبالغ .. إنى أخاف عليهم من أن يحتاجوا .. وصاحت هدى هانم تنهرا :

— ليس هذا وقت مثل كل هذا الكلام .. وإنى موافقة على كل ما تريدس إلى أن نلتقى وتحدث .. مع السلامة ..

ولمست هدى بسماعة التليفون فى وجه سارة مرة أخرى .. لعلها كانت لا تريد أن يدور مثل هذا الحديث عبر التليفون حتى لا تسجله الرقابة التليفونية فى مصر وتحرك الدولة لتحاسب عليه .. وقررت سارة أنها إذا أرادت أن تحقق هذا المشروع الذى خطر على بالها فتجاوز وتعلمر معتمدة على تعاملها مع هدى هانم .. المشروع الذى يحقق لها كسبا فى القاهرة كما تكسب فى لندن ..

وفى صباح اليوم التالى اتصلت بعزت محروس .. وحدد لها فورا موعدا لتناول الإفطار معه فى أحد المطاعم لعامة .. وقد وجدته كما التقت به أول مرة بصحبة هدى هانم . جادا ووقورا ، ويحصر حديثه كله فى العمل .. وقد سلمها قائمة

.. نة بالمشتريات التى تريدها هدى هانم .. وقال لها إنه سيسلمها شيكا بالشحن بمجرد الانتهاء من اختيار المشتريات ..

قالت كأنها تريد أن تكشف سرا من أسرار المعاملات قد تحتاج إليه :  
— وكيف تسترد أنت ما تدفعه .. والأرباح أيضا ؟  
وأجابها وهو ينظر إليها كأنه يهددها :

— هذا تعرفه هدى هانم .. ومتفق عليه معها ..  
قالت كأنها من البراعة والسذاجة بحيث لا تعرف أن هناك أسراراً :  
— ومن سيجمل البضائع إلى القاهرة ؟

قال وهو فى متبى صرامته وجدته :  
— اتركى هذا لى .. المهم أن تنقل كل المشتريات إلى الفندق الذى تقيمين فيه .. ولا تنقلها إلى هناك مرة واحدة .. شيئا بعد شيء .. وسأكون قد اتفقت مع عدد من المسافرين إلى القاهرة يلقونها معهم على دفعات ..

وهمت سارة أن تسأل سؤالا آخر ولكن عزت محروس عاجلها قائلاً :  
— إنى أعرف أنك تزوجت من إنجليزى موظف فى « بحال هارودز » هل تظلمينه على كل العمليات التى تقومين بها ..

وقالت ضاحكة :  
— إنه لا بأس وأنا أتطوع بالعرض .. وقد أكون قد صارحته بالكثير .. ولكن الكثير أيضا لم أصارحه به ..

وقال وهو يتقسم فى رجاء :  
— يهمنى ألا يهرضى .. ولا يعرف شيئا عنى .. حتى لا أتكلف مسؤوليات جديدة تتقلى أكثر مما أعانيه من قتل ..

وقالت وهى تربت على كفه الملقاة أمامها على المائدة :  
— اطمئن .. أنا نفسى لست فى حاجة لأن أعرفك ..  
وفجأة أحست يده تلف حول يدها وتضغط عليها .. وقد انغرد وجهه

ورالت عنه كل مظاهر الحدية والوقار .. وارتفع على شفتيه هذا النوع من الابتسامات التي تصطدم بها على شفاة كل الرجال .. وقال :

— لقد كان الحديث كله عن العمل .. وعندي لك حديث آخر يرمي ويربكك .. فليلق اليوم على العشاء ..

وهبت بحكم حبرتها ما يعنيه .. إنه رجل كيفية الرجال .. ولعله لم يكن بينه وبين هدى هائم مجرد مشروعات العمل .. كان بينهما أكثر .. ولعلها لم تلحظ عندما رآته في المرة الأولى أنه يمكن أن يكون مجرد رجل لأنه حرص على جديده أمامها لأنها كانت مع هدى .. وقالت ضاحكة وهي تسحب يدها من يده :

— أفضل ألا نلتقي إلا بعد أن أنتهى من العملية .. وسأنتصل بك بالتليفون يوميا لأبلغك الأنباء أولا بأول .. واعتذرت وقامت مبتعدة ..

وتفرعت ثلاثة أيام لشراء قائمة هدى هائم .. وأضافت إليها مجموعة تسوى خمسة آلاف استرليني .. لعل هدى تحفظ بأرباحها لها أو تعد بها أمها في القاهرة .. إنها تحاطر رعم أنها في شك لما تستهى إليه مغامرتها .. ثم التقت في صباح اليوم الرابع بعزت محروس وأعطاها الشيك الذي سندفعه عنها لما اشترته من « مارك أند سيرس » .. وقال لها قبل أن تبتعد :

— متى ستقبلين دعوتي إلى العشاء .. إلى لا أزال مصرا عليها .. وقالت ضاحكة :

— لنترك هدى هائم لتحدد لنا لقاءتنا ..

ولوى شفتيه وعاد واتخذ المظهر الجاد الرقور الذي يقلب وجهه للبدل إلى وجه عسكري .. وأخذت سارة تطبق كل تعليمات عرت محروس .. ونقلت البضائع التي اشترتها إلى غرفتها بالفندق شيئا بعد شيء .. ثم اتصل بها وأبلغها أن ثلاثة مياتون إليها في الفندق : ميدتان ورجل .. كل بعد الآخر .. وأعطاها أسماءهم .. وطلب منها أن تتأكد من اسم كل منهم بأن يور لها جواز سفره .. وتقسّم حقائب البضائع بينهم .. كل منهم حقبتان .. وتضع على كل حقيبة

إدارة حقبة تميز من حملها وتعهده بتسليمها في القاهرة .. وتم فعلا كل شيء كما .. أيام هدى هائم .. وانتهت العملية وسارة مجهدة وليست فرحة .. لقد هاج عليها أسبوع كامل دون أن تحقق أى ربح خاص .. بل إنها حتى لم تذهب إلى الجمر لكستولى على أوراق ضريبة لندن التي تكفل لها أن تضع يدها على خمسة عشر في المائة من ثمن المبيعات المصدرة إلى الخارج .. ولكنها تحاول أن تداوى نفسها .. يكفى أنها أصبحت تتعامل مع القاهرة .. السوق التي هجرتها ولم تنكر لغري حتى تعود إليها ..

وبينما لها التعب إلى حد أن بدأت تفكر في الابتعاد عن لندن كلها .. وقالت لزوجها مايكل :

— هل تعلم أين أريد أن نقضى إجازة السبت والأحد القادمين ؟ أريد أن أذهب إلى باريس .. وفقر مايكل فاه دهشة من المفاجأة .. وقالت سارة :

— إلى نمتة .. أريد أن أسترخ من لندن .. وسأدفع أنا كل نفقات الرحلة ..

وبت .. وهذأت الدهشة على وجه مايكل وعادت ابتسامته رقص بين شفتيه وقال ..

— إننا نستطيع أن نبدأ يوم الجمعة .. حتى أريك كل باريس ..

وسافرا إلى باريس ..

وأحسّت سارة بقيمتها كامرأة إنجليزية لأنها وجدت أنها ليست في حاجة إلى « مرآة » لدخول فرنسا .. يكفى أن جواز السفر يؤكد أنها إنجليزية زوجة إنجليزية .. فقد أصبح من حقها أن تنتقل بين الدول الأوروبية بلا إذن .. وعيناها مشغولان حولها مع كل خطوة من خطواتها .. مطعمين كأنهما تبحث عن شيء .. تبحثان عن الأحلام التي عاشتها طوال حياتها .. أحلام باريس .. وكان أمي ما يجذبها هي المعروضات النسائية .. الأرياء وأصوات التجميل .. وروحها مايكل يملو بها طوال اليوم بين المحال .. المحال الكثيرة الشعبية كمحل

حاليى لاهايت . . والجمال الغالية المتعالية كمحال . كريستيان ديور .  
 « كـ فـ ث » و « هـ » ليع سان لوران . . وهى ترى جديدا فى كل شىء تراه .  
 حتى بمجرد خط جديد فى ستاك . . إن باريس ستبقى دائما عاصمة الابتكار  
 بالنسبة لما تلبسه النساء . . ولكن ربما من كثرة ما رأيت بدأت تحس أن كثيرا من  
 المخطوطات المتكررة تبدو ممثلة . . لا ترتفع بسبب الجمال والهن . . كل ما ترتفع إليه  
 هو التجديد والابتكار . . وبدأت تقنع بأن فن التجديد فى باريس أصبح يقوم  
 على الدافع التجاري لا على دوافع الرق من الجمال . . وربما كانت العقيدة  
 التجارية قد أصبحت تنقلب عليها هى الأخرى فأنا مؤمنة بأن الجديد هو الذى  
 يجذب الرأى . حتى لو لم يكن فى هذا الجديد أى قيمة هنية . . يكفى أنه  
 جديد . .

وقد اكتشمت أن زوجها مايكل معروف فى باريس . . ولا شك أنه سبق أن  
 تردد عليها كثيرا . . وربما كانت له فيها أعمال . . ولكنه كمادته لم يسبق له أن  
 حدثها عن باريس . إنه لا يتكلم عن نفسه إلا ليجيب عن سؤال . . وقد أخذها  
 بمجرد وصولها إلى فندق صغير فى شارع متفرع من شارع الشانزلييه الكبير . .  
 فندق محدود فى عدد الغرف كأنه بنسيون . . وقد استقبله كل من العاملين فى  
 الفندق بترحاب كبير وتبادل القبلات مما يؤكد أنه زيون قديم معروف . . ثم إنه  
 وهو يطوف بها المحال ورغم أنها يطوفان بمجرد الفرجة والتسلية دون أى نية  
 لمحاورة أى عمل كان يأخذها داخل المحال ليعرفها بكبار المسئولين عنه . . عرفها  
 بأحد مديري محال « جاليرى لاهايت » . . وموظف كبير فى « كريستيان  
 ديور » و . . . . . كأنه على علاقة عمل بباريس كما يعمل فى لندن . . وسارة  
 سعيدة باكتشاف أهمية زوجها وصداقته العالمية . إنها تستطيع أن تستغله فى  
 باريس كما تستغله فى لندن . . وقيمته هى شخصيا مرتبطة بقيمة زوجها . . بل إنها  
 فوحشت به فى بداية إحدى الليالى وهو يعتذر لها بأنه ستركها وحدها ويقضى  
 جزءا من الليل مع أصدقاء . . إن شدوده أيضا يصل إلى باريس . . وله شلة هنا

أن له شلة هناك . . واستجابت إلى إعتذاره بسرعة كما عودته . . وهى تحس  
 بأنها تريد أن ترتاح منه ولو ساعات تطوف بها شوارع باريس وحدها . .  
 وكان عليهما أن يعودا إلى لندن بعد ظهر يوم الأحد . . واكتشفت سارة أنها  
 لم تدفع حساب الرحلة وحدها . . لقد دفع زوجها مايكل قيمة أقامتهما فى  
 الفندق . . وكان يدفع أحيانا حساب فواتير المطاعم التى يترددان عليها . . بل إنه  
 اشترى لها من حى مونارناس . . حى الانطلاقات الفنية . . قرطا كبيرا فى حجم  
 كب اليد . . ليس فيه شىء من قيمة للمصاع العالى . . ولكنه حلقة تحمل مظهر  
 الندود . . وهو يضعف دائما أمام الشدود . . وقد اشترت له هى الأخرى  
 قميصا من الصوف ردا على هدته . . لقد اتفق أكثر . . إنها لم تربط علاقتهما  
 بحساب أى أرقام . .

وعادت سارة إلى لندن وتفرغت تفرغا كاملا لاصطياد الربويات العرييات التى  
 خرج من إلى المحال ليشترين وتستولى على المعولة . . وقد أصبحت أحاديثها  
 تشمل حى معروضات باريس . . وتستطيع أن تستورد لمن من هناك ما يردن . .  
 لو حتى تصاحبين إلى هناك لو أردن . . وزوجها يشترك معها فى الاتصال بأى  
 ناجر من تجار باريس . . لقد أصبحت كأنها سمسرة عالمية . .

وقد التقت فى إحدى الدعوات التى توجهها إليها صديقاتها العرييات بأول  
 مصرى تلقى به فى لندن وتقوم بينهما فوراً صداقة . . مجرد صداقة . . إنه تاجر  
 الجواهر المعروف فى مصر عبد النور وأفت . . وقد كانت تجمع عه كثيرا وع  
 زعة ما يقدمه من الجواهر . . ولكنها لم تكن تعرف عنه أنه يمثل هذا التواضع  
 والساطة مع ثقته الكاملة بنفسه حتى أنه يتحدث كأنه واثق من أنه سيفتح  
 معدنه . . ويقعه فعلا . . أى يتصر دائما . . وكانت الدعوة إلى العشاء تجمع  
 عائلتين عرييتين رجال ونساء كل عائلة . . وبسرعة جمعها الحديث مع عبد النور  
 رأفت . . وأحست كأن كليهما يقوم بنفس عملية الآخر . . عملية اكتساب  
 الرأى . . وربما كان مجرد وجودها معا فى دعوة غريبة يؤكد لها اشتراكها فى

عمر واحد .. وقد بيع اطمئناها إليه إلى حد أنها قبلت دعوته لها إلى الغداء في اليوم التالي ..

وجمعتهما الصراحة وهما وحدهما .. إنه يحادثها متباهيا عن الصفقات التي حققها ببيع الخواهر وأسلوبه في تحقيق كل صفقة .. إنه لا يعيش أحدا ولا يصلح أحدا .. ولكنه يصل بالإقناع إلى منتهى حقه .. ووجدت نفسها تتحدثه هي الأخرى عن الصفقات التي حققها مع المشتريات العربيات اللاتي تجرهن إلى المحال التي لها بها عمولات .. ولم تعرض عليه طبعاً أن تأخذه وتطوف به إذا كانه في حاجة إلى الشراء .. فقد علمت أنه يعرف كل محال لندن ويعتبر زبوناً لديها ليس في حاجة إلى سماسر .. ولكنه هو الذي قال لها إنه سيذهب إلى محال « هارودز » لشراء بدلة كاملة ولوارمها .. وذهبت معه .. ووقفت معه وهو يقب في المعروضات دون أن تنطق بأى كلمة أو تحريره بشراء أى شيء إلا إذا سأها رأياً .. وبعد أن انتهى ما يريد نظر في فاتورة الثمن التي قدمها إليه البائع ثم الصمت إليها قائلاً في دهشة :

— هل لك عمولة في هذه الصفقة .. إن الفاتورة تسجل مبلغاً أكبر مما قدرته ..

وقالت وهي متلهلجة كأنها تخافه :

— حتى لو كانوا قد حسبوا لي عمولة فأني مستعدة أن أتنازل عنها ..

وحدها من يدها إلى الرئيس المسرف على الخساح وقال له في لهجة أمرة :

— إنى لم أدخل هارودز بناء على دعوة هذه السيدة .. إن « هارودز » يعرضني قبل أن يعرفها .. فأرجو تصحيح هذه الفاتورة :

ومالت سارة كأنها تدافع عنه :

— هذا صحيح ..

وبسرعة أخذ الموظف المختص ورقة الفاتورة وأعادها له بعد أن رفع منها قيمة

العشرة في المائة التي كانت مخصصة لسارة ..

وهذا عبد النور .. وسارة توالى الاعتذار وتؤكد أنها لم تكن تقصد أن تلجب من ورائه شللاً واحداً .. وعبد النور دهش من اعتذارها .. إنه واثق أنها لم تكن تقصد .. وإنما المثل كان مقيداً باتفاقاته معها .. وعاداً كما كانا يجتمعان ذكر واحد في سوق واحدة .. إلى أن قال لها إنه مسافر صباح الغد عائداً إلى القاهرة .. ويتظر أن يلقاها هناك .. أو على الأقل يحرصان على التجاوب بينهما إلى أن يلتقيا .. ثم قال :

— من يدري .. ربما أحتاج إليك في يوم من الأيام ..

وقالت ضاحكة مودعة :

— إنى دائماً في خدمتك .. لقد جهزت لك ..

وكانت فعلاً مبهورة بنجاحه في تحقيق ملائمة من الاتجار بالمجوهرات ..

ومبهورة بوعيه الكامل بكل أسرار المهنة وأسرار السوق ..

وتركته وأمالها تتردد مع خيالها .. من يدري ربما يحتاج إليها فعلاً في يوم من الأيام ..

واسطقت خلال الأيام تجمع المزيد .. ورصيدا يرتفع إلى الآلاف تقترب من

المليون .. إنها تستطيع أن تقيم في القاهرة بوتيكا خاصاً بها .. تكون هي مالكة

وحامية أرباحه .. لن تعود إلى هدى هائم .. بل من يدري ربما كانت هدى هائم

هي التي تلجأ إليها .. بعد أن تراها تستكمل آلاف لندن بملايين القاهرة ..

ولكنها رغم مرور ما يقرب من عام على وجودها في لندن فهي تحس أنها في حاجة

إلى دراسة أوسع للأسواق .. وقد استوعبت دراسة سوق لندن .. وقد

استمدت كثيراً من دراسة سوق باريس .. فلماذا لا تحاول دراسة سوق أخرى

لها أهميتها وأثيرة على المشتريين العرب .. سوق جيب ..

وقالت لزوجها مايكل في دلال :

— هل تعلم أين أريد أن نقضى السبت والأحد في الأسبوع القادم .. أريد أن

يكون في موبيسا .. في جنيف

وفقر مايكل فاه دهشة وعاجلته مودعة ما تعودت أنه تنظمته به

— متكون الرحلة كلها على حسابي .. إلى صاحبة الدعوة .. وأدعى  
معي .. وهذنت دهشة مايكل .. وقال متطلقا بفرحة أقرب إلى فرحة الأطفال ..  
— إننا نستطيع أن نقضى كل إجازة الكريسماس هناك مترحلقين في  
الجليد .. وقالت كأنها أم أمرة :  
— الكريسماس بعد شهرين .. وأنا أريد أن أذهب إلى هناك هذا الأسبوع  
إلى لا أحب الترحلق .. ولماذا أن ترحلقتي ..  
وكانت سارة تناقى فعلا في فصول الشتاء في أوروبا .. إنها لا تشرح في الجبل  
البارد .. وتقضى شهورا طويلة تقاوم البرودة وتحس أنها تعيش مسجينة داخل  
تكيف آلات الهواء .. تحس كأنها ابتعدت عن السماء وأن الله تحلى عتبا وتوكل  
لآلات من صنع الإنسان .. بل إن دموعها كانت تنهار أحيانا حسرة على أنها  
الدفع اللذيد الذي يمدّها بفتنات الإنعاش والقدرة على التخطيط ..  
وسافرا إلى جيف في نفس الأسبوع .. واستطاع مايكل أن يحصل على إجازة  
يوم الجمعة ليقصيا هناك ثلاثة أيام .. ورغم أن الشتاء لم يكن قد وصل إلى قمته  
إلا أن سويسرا كلها كانت تعيش داخل آلات تكيف الهواء .. إنها لا تشعر بالبرد  
ولكنها أيضا لا تشعر بالجو .. إن الآلات الذكية تلعبها داخل الفندق .. ودخلت  
السيارات الأجرة .. ودخلت المحال التجارية .. ودخلت المقاهي والمطاعم ..  
تحس كأنها لا تحب مكانا تنفس فيه .. ورغم ذلك فقد كانت مندفعة في عمار  
اكتشاف مدينة جنيف .. وخيل إليها أنها مدينة أعدا من لندن وباريس .. ليس  
فيها هذا الرحام الأمواج العنيف .. بل خيل إليها أنها مدينة أرق من لندن  
وباريس .. كل شيء فيها مهذب .. حتى نظرات الرجال الذين يتحدثون إلى  
بطرات لا يقصها الاحترام .. إنها لا تحس في أسواق جنيف بمظاهر الاصطبل  
الجنس والتجاذب الذي لا يصطاد الزبائن كما تحس به في لندن وباريس ..  
وكانت تركز اهتمامها على اكتشاف أسواق المطالب النسائية في جنيف ..  
اكتشمت أن سويسرا كلها لا تنتج أي مطلب نسائي .. لا تنتج القسائم

الملبوسات من أي نوع .. ولا أدوات التحميل .. وكل ما يعرض فيها استورد  
.. دول أخرى .. إن كل الإنتاج السويسري محصور في صناعة الساعات  
وعراء وإقامة البنوك المالية .. إن أكبر المبالغ المالية في العالم كله التي تحضر الأفراد  
نوع في بنوك سويسرا خصوصاً الأموال المهربة .. والمهربون من بينهم كثير من  
رؤساء الدول .. وخصوصاً دول العالم الثالث .. ومن يلوى .. ربما كانت  
سويسرا .. ومن يلوى أيضا .. ربما نقلت هي نفسها رصيدها الذي تحفظ به  
لبنوك لندن إلى بنوك جنيف .. فقد علمت أن أهم ما يميز بنوك سويسرا هو  
احتفاظها الخامس بالسرية .. لا يمكن أن تكشف عن أي سر لأي متعامل معها في  
حين أن بنوك العالم كله معرضة للضغط السياسي الذي قد يدفعها إلى الكشف  
عن أسرار هذا العميل أو ذاك .. حتى أنه لو مات عميل لأحد بنوك سويسرا دون  
أن يكون قد سجل اسم وارثه مسبقا فإن البنك يرفض تسليم رصيده والكشف  
عن أسرار له لأي شخص يدعي أنه وارثه .. حتى لو كانت الحكومة نفسها ..  
وبطل البنك محتفظا برصيد العميل المتوفى لمدة عشرين عاما .. وقد يظهر خلافا  
من يثبت له حق الإرث .. وإلا انتقل الرصيد بعد العشرين عاما إلى ميراثه البنك  
منه .. أي أصبح الرصيد ملكا للبنك .. وسارة مقتنعة منذ الآن أنها لا حاجة  
إلى الاحتفاظ بسرية رصيدها حتى تطمش إلى الاحتفاظ به منكم لها معها .. لأنها  
من محاولات الاستيلاء عليه .. لذلك بدأت تفكر في نقل رصيده إلى بنوك  
جيف ..

وكانت وهي تمر على المعروض من أرباب النساء تستطيع بحريته أن تكشف  
مورا من صنع كل قطعة .. هذه قطعة من صناعة جابري لأيت لماريس ..  
هذه من صنع كريستيان ديور .. وهذه من صنع محلات سترج .. لدر .. بل  
ربما وجدت معروضات معاكدة من أنها استوردت من كل لدون .. لدر .. بل  
أمريكا .. والمحل السويسري لا يحصى مصدر الاستيراد .. كل قطعة تحمل اسم  
مد "لذي صمت فيه .. ويظهر حال سارة جابريما " امتحت " جوتكا " في



١٠٠. كان من السهل عليها أن تترجمه بالسودات من الخارج .. إن الاستيراد سهل .. بصاعة .. بل إن الاستيراد من الخارج أسهل من التعامل المحصور في .. بل إن من الأسهل عليها أن تفتح البوتيك في حيف من أن تفتحه في .. بل إن في باريس .. فإن لندن وباريس ازدهرتا بالتجارة التي أقامها التجار .. السويرون والسويرون لتعامل مع السياح العرب .. ولما يتركها تقيم في .. الأخرى بوتيكاً سافسهم به .. إنهم يتنافسون حتى في عمليات التسوية مع الزبائن العرب ووصلوا إلى حد الشهرة بها حتى يعملوها عن ثقة زبائنهم .. ومن الأفضل لها أن تبعد عنهم في لندن وباريس وتفتح البوتيك في جنيف .. قد يكون في حيف أيضاً عدد من اللبنانيين أو السوريين الذين يمكن أن يفسوها .. ولكن كل شيء محترم في جنيف حتى المنافسة .. يحترم بحكم القانون وبحكم عقليته المسئولين لا يحكم أخلاق المتنافسين ..

ولكن .. العرب لا يقبلون على سويسرا إقبالهم على لندن وباريس .. والأوراق .. الأشد احتداداً بين الطبقة الراقية في مجتمعات كل الدول العربية هي أسواق لندن وباريس .. كل امرأة تنبأ في بلدها بأنها اشترت من لندن أو من باريس .. ولا يحظر على مالها التباهي بالشراء من سويسرا حتى لو كانت قد اشترت بها معلاً .. ورغم هذا فإن مساء القمة يفضل أن تكون لمن أسواقهم الخاصة .. ليس يعمدون الابتعاد عن الضجة التي في لندن وباريس .. ليختبئ في هدوء جنيف بعيداً عن الضجيج وعن كلام الناس .. ومن يشترين في جنيف نفس ما يباع في لندن وباريس ويشترين بشئ أعلى .. فإنهم في سويسرا يرفضون ثمن المسودات .. ورغم ذلك يشترين لأشبه في قمة الثراء ولا يجهن أن يلفن أكثر مهما ارتفعت الأسعار ..

وقد عادت إلى لندن وهي هائلة في الهدوء المستقر المنظم داخل جنيف .. وهو مدبر .. مثل حتى زوجها ما يكل .. إن له أصدقاء ومعارف في جنيف أيضاً .. ولكنهم عدد قليل من بعض مديري المحلات الكبيرة هناك .. وقد قدمها لهم

واستقبلوها في برود رسي كأنهم لا يعطونها أكثر مما تفرضه الرميات .. ولم يهللوا لها ولم تلتق بأحد منهم يحاول التهامها بنظرات عينيه كما كانت تستقبل في لندن وباريس .. بل إن زوجها ما يكل نفسه لم يتركها ولا ساعة ليكون وحده بعيش شذوذه .. ليس له شلة من الشواذ في جنيف تعرضه عن شلته في لندن والشلة التي علش بها ساعات وتركها وحدها في باريس ..

وقالت له :

— لقد استرحت في هدوء أسواق جنيف وبهرت بها ..

وقال ضاحكاً ضحكته الخفيفة :

— إن جنيف بأهلها وشوارعها مشهورة بثقل الدم وبالبرود ..

وقالت معترضة :

— لم أشعر فيها بالبرود ولا بثقل الدم .. لقد أخذتني كل إلى الشعور بالأمان والاستقرار .. حتى وأنا أفكر في مستقبل .. وقد بدأت فعلاً أفكر في مشروع إقامة بوتيك للزبائن العرب في جنيف إذا وجدت أن رصيدي في السك يكفي .. وقال سائراً :

— لن تستطيعي إقامة مشروع تجاري في سويسرا إلا إذا كنت زوجة لمواطن سويسري وحتى تكوني سويسرية .. والذي أعلمه أنك زوجة رجل إنجليزي وأنت إنجليزية ..

وصاحت كأنها تفيقه من غيائه :

— لقد دخلنا محل الخردوات الذي أقامه بروهوم المرعشلي وهو سوري وليس مواطن سويسري ..

وقال من خلال ابتسامته :

— لا شك أن المحل أقيم باسم أحد مواطني سويسرا .. فالقانون هناك يحرم الغريب من إقامة محلات تجارية ..

وقال وهو يشفق في ملأ :

( قللي ليس في جيب )

ولماذا لا نقيم حفلا في لندن .. وأين أذهب أنا إذا أنت أنت في جنيف ؟  
وقالت في دلال وهي تقترب مندها من شفيتها :  
لقد سبق أن قلت لي إنك تحلم بأن تعيش في غربة تكشف فيها المجهول ..  
فتعال تعيش لي غربة جيف  
وأطلق شفيتها تلعثم في شفيتها كأنه لا يستطيع مقاومة صف المؤلؤ الذي  
يرق بيها .. ثم ابتعد عن شفيتها وهو يلهث من عبث النعنة وقال وهو لاهث :  
دعني أفكر .. إن لي معارف في جنيف يمكن أن أتصل بهم وقد أقتنعهم .  
والإقامة في جنيف مغامرة فعلا تستحق أن نتمتع بها ..  
وانتفا على أن يبدأ فعلا في دراسة المشروع .. وهي تحس بأنها لا تغامر بنفسها  
بالانتقال هي وروحها إلى جيف ولكنها تغامر بنقل رعيدها الذي جمعه في لندن  
إلى هناك ..

\*\*\*

وفي نفس اليوم اتصل بها عزت محروس بالهاتفون وقال لها إنه قد وصله خطاب  
من هدى هامم يحسب أنه ها .. وقاسته في اليوم التالي على الإفطار في أحد  
المطاعم .. وهو يسل في حديثه في مظاهر وقاره ربما تعهدا بعد أن رفضت  
محاولة الوصول إلى أكثر من اتعامل معها باسم هدى هامم .. ولم تكن هدى قد  
أرسلت لها رسالة مكتوبة ولكنها رسالة شفوية يبعثها بها عزت محروس .. إن  
هدى قد دعت البضائع التي يجب سارة من حسابها الخاص زيادة على البضائع  
التي وردت في القائمة . وقد حسنت لها من كل قطعة كما افترضتها . وأضافت  
إليه خمسين في المائة من مبلغ الربح الذي حققه البيع . أي أن هدى احتفظت  
لنفسها بضعف أرباح البيع باعتبارها صاحبة المكان . كما أنها قررت أن تحتفظ  
لسارة بأثنين في المائة من ثمن المبيعات التي اشترتها لها من لندن .. والحساب  
الختامي يسجل أن هدى تحتفظ بثلاثة آلاف جنيه مصري لسارة . فهل تلم  
هذا المبلغ إلى أمها أم تحتفظ به لديها في انتظار الأوامر ..

وفرت سارة فمها وكأنها صغت بمصية لم تكن تحسب حسابها .. كيف  
يكون كل ما تستحقه من هدى مقصورا على ثمانية آلاف جنيه مصري .. إن  
البضائع التي أرسلتها إليها لبيعها دفعت فيها من رعيدها خمسة آلاف استرليني ..  
أي ما يساوي عشرة آلاف جنيه مصري بسعر السوق .. وربما باعتها هدى  
بعشرين ألفا .. أي أن سارة تستحق فيها خمسة عشر ألفا على الأقل .. هذا بجانب  
ما تستحقه من قيمة عملتها على البضائع التي اشترتها لحساب هدى ..  
وصغطت سارة على أعصابها حتى تبدأ وقالت لعزت محروس ساهرة :  
لماذا لا ترسل لي أرباحي إلى هنا .. ثمانية آلاف استرليني ..  
وقال عزت في لهجة المسكرية :  
هذا مستحيل .. وأنت تعرفين أنه مستحيل ..  
وقالت وهي لا تزال ساهرة :  
لقد اشتركت في العملية بالاسترليني فلتردي حتى بالاسترليني ..  
وقال لها عزت في عنف :  
قلت لك مستحيل .. إن جنبيات القاهرة لا علاقة لها بجنبيات لندن ..  
وقالت سارة وقد بدأت تحس كأن دماغها تعل في عروقها  
سأكتب إليها خطاب ..  
ومحة أحست كأن حائطاً جنينها بدأ يدهسها .. إن من عادتها أن تتلقى  
حائطها مجاة .. وقالت مستطردة وهي تقاوم دماغها التي تغلي :  
لا .. لا يكفي أن أكتب ها خطابا .. سأسافر إليها في القاهرة ..  
وقال عزت محروس وهو دهش من قرار سارة السفر إلى القاهرة :  
إن هدى أرسلت قائمة مشتريات ترجو أن تشتريها لها ..  
وقالت سارة وهي تشد القائمة التي في يد عزت محروس :  
سأشتريها .. وسأسلمها لك لترسلها إليها كما سبق أن حدث .. وبعدها  
سأكون أنا في القاهرة .. لا أدري متى .. ولكن قل لها أن تنتظري ..

وخرجت مارو إلى شوارع لندن كأنها عروب من اليكاشي عزت محروس .. كيف  
ودعاؤها لا تنزل تنقل نقشة على هدى هام وعلى موهلها عزت محروس .. كيف  
حررة على استلاء على حقوقها بعد كل هذه الخدمات التي قدمت إليها .. ربما  
أرادت أن تصدح لها أن تباع في القاهرة لحسابها .. تريد أن تفعلها بأنفسها لن تفعل  
أرباحا في القاهرة .. أو ربما كانت هدى لها ضمير كبقية صمائر التجار  
المصريين صمائر لا تعترف بحقوق أحد لديهم إلا بعد أن يدخلوا مع صاحب  
الحق في معارك .. وستدخل معركة مع هدى هام لتصل إلى كل حقوقها .. هذه  
هي طبيعة السوق التجارية المصرية ..

وهذه حدة الغيظ مع خطواتها في الشوارع ولكنها لا تزال مصممة ومقتنة بأن تسافر إلى القاهرة ولو أياما تقضيها بعيدا عن لندن .. وسترى زوجها ما يكل يستكمل دراسته واتصالاته حول مشروع انشاء « بوتيك » في جنيف .. وابسعت ساخرة بينها وبين نفسها .. من يرى .. ربما وجدت في القاهرة ما يغريها بتغيير خططها وإقامة « البوتيك » فيها بدلا من أن تقيم في جنيف .. ووجدت فكرها وخيالها يسبحانها إلى أمها وإخوتها الذين ستراهم في القاهرة .. لقد كانت دائما على اتصال بهم عبر التليفونات وتبادل الخطابات .. وكانت ترسل إليهم بين حين وآخر الهدايا وببالغ من الأموال ، كلما وجدت من يعملها إليهم .. ولكنها طوال هذا العام لم ترهم .. بل لم يخطر أى إلحاح على عواطفها لتذهب إليهم وتراهم .. وهى معذورة .. فإنها لم تتركهم فتعيش في لندن كزوجة .. ولكنها تعيش عاملة تسعى إلى تحقيق أحلامها .. والعمل يور الغربة عن الأهل ويجعلهم يتحملون قى صبر ..

وبدأت تشترى البضائع التي تخدعها قائمة لدى هام .. تشترى دون أن تبذل مجهودا في الاختيار أو المجادلة حول الأسعار .. بل إنها تركت القائمة لأحد موظفي مارك أند سبنسر ليجمع ما فيها دون أن ترقق نفسها بالتدخل .. واتصلت بعزت الجروس ليفدع الأثمان ثم أرسل لها من يحمل البضائع إلى

٥٠ . لم يحدث واتصفت به قائمة

فما حدثت على طائفة صباح العد لأسماء إلى القاهرة فأرجوك أن تصبر  
 من هاتم تكلف معش الجمر عا دل شاهين بكون ال تنطري  
 . كانت قد حملت معها هدايا غنية عاية دأها وأحوس تسمى  
 . . . . .

لا يتوقف بينهما ، إلى أن هبطا القاهرة ودخلا الجمرک .. ودارت بهنیا تبحث عن المفتش عادل شاهین الذى يعمل لحساب هدى هانم والذى تنتظر أن تمر أمامه بحقابها فلم تجده .. وبسرعة التصقت بالأستاذ شاکر المرصفى .. تسير وراءه خطوة بخطوة .. إلى أن مرت حقایب الأستاذ شاکر أمام موظف الجمرک فأُسْرعت ودمعت الحقیة الصغيرة التى تحملها فى يدها لتبدو كأنها مع حقایب الأستاذ شاکر .. وقد لاحظ الأستاذ شاکر ما تفعله .. واتهم دون أن یهم بإبعاد حقیبتها عن حقایب .. إنه لا یعتبر أنها تعرضه لأى احتمال یقتضيه .. فإذا فتح موظف الجمرک حقیبتها فإنه یستطیع أن یعلن أنها لیست حقیته إنما حقیقة هذه السیدة .. وإن ترك موظف الجمرک حقیبتها تمر بین حقایب دون تفتیش فإنه سیکون معیدا بإحساسه بأهمية شخصيته بالنسبة لهذه المرأة ویتعرب بأنه صاحب فضل علیها بأن تركها تستحل هذه الشخصیة لتحقق أهدافها .. وقد استقبل موظف الجمرک الأستاذ شاکر باحترام کبیر وترك حقایب کلها تمر بسرعة بلا تفتیش ومن بینها حقیة سارة الصغیرة .. ولم تكن سارة قد ابتكرت هذه الوسيلة فى الغروب بحقیقتها من التفتیش ولكنها كانت تعرف أن کثیرا من المسافرين یستغلون الشخصیات الهامة التى یلتفون بها مصادفة فى الطائرة لتهرب حقایبهم مع حقایب هذه الشخصیات .. ربما كان معظم هذه الشخصیات .. الهامة تعود إلى القاهرة وحقایبها تجر وراءها حقایب لیست لهم ..

وحاءت بقية حقایب سارة الکثیرة تمر أمام مفتش الجمرک وقلب لا یزال .. تعش .. ترى كم سفيرض علیها من الضرائب الجمرکیة .. ولكن المفتش رفع عینه بها وربما كان صعبا أمام اللون السافى الأسمر الدمشق .. أو لعله عرق .. من لبؤى الذى برره انضمامها .. فأُسْرعت حقیبتها .. عه دون أن یحاول فتح .. وهو یحس .. ع السلامة ..

## الحلقة السابعة

كانت سارة مسافرة إلى القاهرة ومعها حقیتان کبیرتان جمعت فیهما کثیرا من الهدایا .. وقد تركتهما لمحارون جمرک القاهرة .. ولكنها كانت تحمل فى یدها حقیة صغيرة جمعت فیها هدایا من المصاع العالی لأُمها وأختیها .. علاوة على حقیبتها الخاصة المعلقة على كتفها .. وهى تدرک أن هدى هانم كانت قد بصحتها بأن تضع المصاع العالی فى الحقیة الکبیرة لا فى الحقیة الصغيرة دون مفتش الجمرک لا یدلون جهدا كافیا لتفتیش الحقایب الکبیرة ویركروا اهتمامهم على الحقایب الصغیرة .. ربما لأنها الأسهل فى تفتیشها .. ولكن سارة لم تستسلم لمصیحة هدى هانم .. إنها تريد أن ترقى مصیحة على المصاع لدى تحملها لأُمها وأختیها .. لذلك احتفظت به فى حقیة صغیرة تحملها فى یدها .. وهى تتخذ على المرور بها من الجمرک ما دامت هدى هانم ستوصى مفتش الجمرک عادل شاهین لیكون فى استقبالها ..

وكانت تجلس على أحد مقاعد الدرجة الأولى فى طائرة شركة مصر .. وقد دامت تسأل التذکرة كاملا ولم تحاول الاتصال بالمسؤولین لتركب مجانا أو لتحصيص النسر .. فى حین أنها تعلم أن أعلىیة رکاب الدرجة الأولى فى شركة مصر یسافرون مجانا أو على حساب المؤسسات التى یمثلونها .. فکبهم دائما من الشخصیات المعروفة .. وقد جمعتها المصادفة بأن تجلس بجانب شحیص مشهورة جدا وهى الأستاذ شاکر المرصفى الکاتب السیاسى ورئیس تحریر صحیفة « النهضة » .. إنه لا شك صاحب نفوذ کبیر .. وقد قدمت نفسها له ورحب بها فى لهفة مأخوفا بجاذبیتها .. ولكنها لهفة العواجز فلا شك أنه تجاوز الستین من عمره .. وقضت ساعات الطیران کلها والحديث

وجرت سارة للحق بالامتياز شاكر المصطفى والتقطت حقيقتها الصغرى ..  
من فوق العربة التى تجر حقائبه وهى تعطيه كل ابتسامتها كأنها تقبله بها قائلة :  
— أنا أسفة .. وشاكرة .. وسأفضل بسيادتك فى التليفون لأكرس  
شكرى ..

وقال وهو يختصنها بابتسامته :

— اتصلى بمكثى فى الجريدة .. وسأعطيك رقم تليفونى الخاص السرى  
بعد أن أسمع صوتك .

وخرجت من المطار .. ولم يكن أحد فى انتظارها فهى لم تبلغ العائلة  
بموعد وصولها .. وهدى هانم التى تعرف الموعد لم ترسل لها مفتش الجمرات  
الذى فى خدمتها ليكون فى استقبالها .. وطبعاً لم تكن هى نفسها فى  
استقبالها .. ورغم الغيبة الطويلة فقد واجهت كل ما حولها كأنها لم تغيب عن  
مصر قط . إن العرق كبير ما يحيط بها وما كان يحيط بها هناك فى  
أوروبا . طابع الشوارع . وأشكال الوجوه المارة .. ودرجة حرارة الجو ..  
ورغم ذلك ففرحتها بالعودة تغطي كل إحساسها بهذه الفوارق .. فرحتها  
بالعودة إلى أمها وكل ما حولها كأنه يستكمل صورة أمها ..

وكانت لا تزال تحتغط بمفتاح البيت .. وفتحت الباب وفاجأت أمها التى  
طربت إليها بشهقة المفاجأة .. وكأنها خافت عليها من هذه الشهقة  
التي تسمعها .. عليها تحتضنها .. وخرجت إليها أختها صارتين مهلتين ..  
أما أختها الأصغر فلم يكن قد عاد إلى البيت بعد .. وجمعتها العرجة  
التي هى إلى أن هدأت وبدأت سارة تحدثهن عن نفسها .. ثم تستمع إلى  
أخبار كل .. ابنة الصغرى متعلنة بحبيبها هذا الأسبوع .. وقالت  
وهى تغلبها مهنة

— سحقت بالزواج هذا الأسبوع .. قبل أن أعود إلى لندن .. وسأقيم لك  
أكبر حفل شهدته القاهرة

وقالت الأخت :

— ولكننا لم نعد شيئا .. الشقة والجهاز و ..

قالت سارة وهى طائفة بفرحتها :

— سأترك لك ما يكفى كل شيء .. ولا يهلك من يدفع فيكما ما دمت

مطمئنة به .. إن الزواج يكفى فيه اقتناع كل واحد بالآخر ..

وقالت الأم كأنها كانت قد نسيت :

— كيف حال زوجك .. إنك لم تحدثنا عنه ..

وقالت سارة ضاحكة :

— إنه كما هو .. لم يتغير فيه شيء .. وليس له أخبار جديدة ..

وقالت الأم وهى تفرز نظراتها فى ابنتها لعلها تكتشف شيئا تخفيه :

— لماذا لم يأت معك ؟

وقالت سارة بلا اهتمام :

— إنه مشغول فى عمل كلفته به ..

ثم أدارت الحديث كأنها لا تريد أن يكون زوجها موضوعاً للحديث ..

وبدأت تفتح حقيبتها الصغيرة .. وأخرجت « بروشا » فى شكل دبوس من

الذهب مرصع ببعض الفصوص وبدأت تمعق على صدر أمها .. وقالت الأم

وهى سهورة :

— خسارة يا ابنتى .. إنى لم أعد أستطيع أن أتزين به ..

وقالت سارة ضاحكة :

— إنه لى .. والله .. سيبقى على صدرك ولن ينقل منه إلا إلى صدرى ..

كأنها كانت تحذر أختها من أن تحاول إحداها الاستيلاء على حنية

أمها .. وأخرجت من حقيبتها سواراً لكل منهما .. سواراً من الذهب المرصع

أصلاً .. ثم صحت الحقيقتين الكبيرتين وبدأت توزع عليهن فساتين وقطعا من

الدماش الغالى .. وهن يصرخن مبهورات .. كيف استطاعت أختهن سارة أن

تصل إلى كل هذا الثراء الذي يوفرها كل هذه الهدايا .. ولكنه اتجار لا يحمد  
خليفة من الغيرة أو التساؤل ..

وجاء أخوها الأصغر واحتضته طويلاً وهي متبارة عليه بالقبلات  
يرال طفلان . إنها تمس بأخيهما دائماً كطفل .. وقالت له مدلة بعد أن  
عنه من أحضانها :

— لقد فكرت في أن أشتري لك سيارة .. ولكني لا أطمئن عليك حقاً .. وأنت تقود سيارة .. فلنؤجل السيارة إلى الهدية القادمة .. وقد جئت  
هذه .

ولفت حول مقصده ساعة تجمع كل ميكرات الساعات الحديثة  
أخرجت له قطعاً لاتني من الثياب وآخر ما ظهر من آلات الحساب التي  
عليها الشباب .. وهو ينفذ فرحاً ولا يكف عن تقليدها ..

لقد أفرطت سارة فعلا في حمل أبنائها إلى أفراد العائلة .. ولكنها لم  
تفهم وأحب ما تملكه هو ارتباطها بالعائلة .. رغم كل ما جمعت من علم  
لندن .. فإن أقوى وأهم ما في جينوسها هو أفراد العائلة

إنها مهملة لرفقة : لا تزال شخصيتها هي شخصية العائلة .. شخصيات

يقدرون على خمسة من أفراد العائلة في غرفة واحدة .. لا يستطيع أحد  
أعدهم عن الآخر .. ولا يكتبون عن الكلام ..

في صباح اليوم الذي كانت مرة سارة يبقء أفراد عائلتها قد هدأت  
يعبر عنه جداسه ، ثلوثها كاهنة ، عامله صحابة مشير عات و نالها  
آدم

[illegible]

• **مرد و زن**

.. لقد كنت في انتظارك أمس .. ومازلت في انتظارك ..

..هبت إليها سارة في البيت لاق • البوتيك • .. والتقا في فرحة مصادفة ..  
سارة لا تستطيع مهما حدث أن تتجدد من حب هدى ولا من اعترافها  
بمسئلتها عليها .. وبعد انطلاقات الحب في كلام حلو .. قالت سارة كأنها بدأت  
الزمن :

ولكنك لم ترسلني مفتش الجمرات ليكون في استقباله ويعينني عما كان  
يكره أن أتعرض له ..

وقالت هدى من خلال التسمية كأنها إتيامة أم :

— هذا من أحظاظك .. ولم أكن أحسر شيئا من تكليف لفنشي عادل شاهين باستقبالك .. فهور يا خدمى مرتبا شهريا سواء كنت في حاجة إليه أو لم أكن .. بعد مصمت مدة طويلة لم أسافر خلالها حتى أكون في حاجة إليه .. ورغم ذلك أرفع له وأنا أفتنى أن أكلمه بأن يكون في استقبالك . وهو لا يستطيع أن يقوم بهمه إلا إذا كان في رومانيا في العمل . أى أن يقوم مهمته مع ساعة وصولك أنت .. وكان يجب أن تنصل في مقعدنا حتى أحدد لك موعد الطائرة لنصلين عليها .. كما يعمل بقية أصدقائي .. ولكنت لم تنصل لي .

وقالت سارة وهي تحس بالصفح عن هدى هام في هذا الموضوع :

— لقد سرق الله واستطعت أن أمر بالجمارك في سلام .. ولكن هناك ..  
 .. سوعا أعم وأكبر .. فقد أعبرني اليكباشي عزت محروس .. أسفة .. مسخر  
 هرت محروس .. بقيمة الأرباح التي خصصتها لي في العملية التي قمت بها ..  
 أحسن .. أنتك ظلمتني ..

وقالت هدى في هدوء يبرز صوته الحاسم كأنها بدأت تدخل في معركة :  
 — لا تنسى أني أنا عن طريق عربت بيه التي قمت بنقل البضائع من لندن إلى  
 القاهرة .. ونقل البضاعة يسترف الكثير من الأرباح .. إنه كل من أكلفه بنقل

سبه من احفالت أعطيه مبعاً كبيراً يصل إلى الثمان نظير قيمته بالعملية ..  
 .. من تسعة مائة وست مائة هدى ربح مجموعاً ربحه من ثمة آلاف  
 سبه من عشرة آلاف  
 وبعد أن حدثت سفته عادت سارة تسأل  
 — وكيف حال سوق القاهرة اليوم ؟ ..  
 وصحت هدى كأنها تفت عن ربيعة في صدرها  
 — سوق ممتع .. فقد احترمه ورهوت .. إن كل امرأة أصبحت تفتح  
 بونيكاً .. ونوع به .. حتى أنني بدأت أفكر في أن أهاجر هذا الجو المسموم ..  
 وعين السوتك .. وأرجح .. وإن كنت أحياناً أفكر في أن أدخلك شريكة لي  
 ما لي أعرف أنك أصبحت قادرة كما في أعترف دائماً بمهملتك لكل معاملات  
 سوق وشطارتك .. ما رأيك في أن تكوني شريكة لي ..  
 وفوجئت سارة بهذا العرض .. وارتفع حاجبها في دهشة .. ثم قالت وهي  
 سارحة :

— إنه يشرفني أن أكون معك دائماً .. ولكن دعيني أفكر ..  
 وتركت هدى وقضت أياماً تطوف بشوارع القاهرة .. لقد ازدحمت  
 الشوارع عملاً بالمال التي تباع المستوردة .. وغير الثياب أيضاً .. كل ما  
 يعرض وصل من الخارج .. وقد كانت القاهرة تعيش ما سمي بعهد الانفتاح ..  
 فتحت السلطات كل الأبواب لكل شيء مستورد حتى لم تعد تجد فيها شيئاً  
 مصوغاً في مصر .. وقد مرت بشارع الشواري الذي كان يعتبر أيامها قمة سوق  
 المستورد .. خصوصاً من مطالب النساء ..

وقد أحست بالشارع مزدحماً ازدحاماً شديداً ليس فيه شيء من الاحترام أو  
 الأبهة أو الفحامة .. وكانت تقلب في بعض البضائع فتكتشف فوراً أنها بضائع  
 قديمة .. استهلك في بلادها .. وأرسلت إلى مصر لتباع كأنها جديدة ..  
 وبدأت تحس كأنها غر بسوق الكانتو .. كل ما فيه من فضلات أوروبا

.. مشوش ومزيف .. وهي لا يمكن أن تعمل أو تتعامل في مثل هذه السوق ..  
 ماهرة فقدت أقوى دوافع التحدة وهي دوافع عمليات التهرب .. كما أن  
 .. لم تعد تحتل البضائع الغالية لأنها لم تعد مقصورة على أفراد طبقة  
 واحدة .. لقد ضحت لعامة الطبقة الوسطى التي يدفع أفرادها همها جارفوا  
 شراء ما يمكن أن يتباهوا به من أنه مستورد من الخارج .. من باريس .. من  
 .. من أمريكا .. ولا يهم قيمة هذا المستورد يكفي أن يتباهوا به كشئ  
 مستورد ..

إنها لن تبدأ أي مشروع في القاهرة ..

وستستمر في تحقيق مشروعها بانتاج بونيك في سويسرا .. وكانت تصل  
 كل يوم تليفونيا بزوجها مايكل .. لقد بدأ المشروع فعلاً وهو الآن في جيف  
 من اتفقه مع مواطن سويسري يفتح عملاً باسمه .. وستذهب إليه بعد أن تشيع  
 من القاهرة ..

ومنذ بدأت بركوب الطائرة من لندن في طريقها إلى القاهرة وأمامها صورة  
 سحليها وهي تحس بأنها جائعة إليها وتريد الشبع منها .. إنها صورة عبد النور  
 رأته تاجر الجواهر الذي التقت به مصادفة في دعوة مجموعة من المشايخ  
 العرب .. وقد كانت تعتقد أن ما شهدا إليه هو أنه ضح أمامها آفاقاً جديدة في  
 سوق التجارة .. كان يتكلم في هدوء يكشف أمامها أسراراً كانت تجهلها ..  
 وكان كأنه يلقي عليها دروساً في الأسلوب الذي يمكن أن تعد به أصابعها لتلتقط  
 ما نطمح فيه .. وقد قررت منذ أول لقاء أنها تريد أن ترتبط به .. بمجرد ارتباط  
 صداقة .. ولكنها عندما جمعهما اللقاء الثاني .. شعرت بأحاسيسها تشدها إلى  
 راح بعيدة عن السوق .. بدأت تحس بأنها تريد هو شخصياً بعيداً عن  
 السوق .. ملاعه كلها تشدها إلى خيال آخر .. إنه ليس شاباً .. ولعله محاور  
 الأربعين من عمره .. وكل خط في وجهه يعبر عن قوة عارمة .. وهي قوة جذابة  
 شديدة إليه .. كأنه قادر دائماً على أن يغرض ما يريد .. ليس فيه شيء من هذه

الميوعة التي تعبر عنها ملاح زوجها مايكل .. وقد تحملت ميوعة مايكل حتى تستعله لتحقيق أهدافها .. ولكنها لا تشعر مع عيد النور أنه يفرض عليها أن تتحمل أى شيء منه .. بالعكس .. إنها تحس أنها هم باقحام كل شيء فيه .. وتظل تتحدق فيه حتى وهو يلقي عليها دروس السوق .. إنه أسير .. ولكنه ليس في كفاية سحرها .. كأنه استأذنها في أن يستعير من سحرها بعض الرتوش الخفيفة ليحلل بها وجهه .. وشغفه لا يكشف عن أمثاله حتى وهو يتسمم .. إنها لا تكشف عن صف الذل الذي تكشفه هي بابتسامتها .. ورغم ذلك تحس كأنها تريد أن تنفط هذه الشماخ العبيطة المستكنة .. لتلقطها بين شفتيها .. وهي تحس بأن كل الساعب التي تقصها معه تمر وهي تعيش في صورته لا فيما يقوله لها .. حله أو .. حل يلقي بها ويثير فيها إحساسها بأنها امرأة .. أنسى .. وقد التفت من قبل بعشرات الرجال حاول معظمهم إثارة إحساسها بأنها امرأة .. ورغم ذلك لم تشعر قط بأنها امرأة .. لقد كانت تجهل أو تتجاهل الفرق بين طبيعة الرجل وصيغة امرأة .. ولا تحس إلا بأن كليهما يحوض سوقا تجارية واحدة ..

و قد تمكن منها هذه الإحساس الجديدة عليها في اليومين اللذين قضتهما مع عبد بور .. وكانت تستسلم لهذا الإحساس حتى إنها فقدت إصرارها على أحد حسنها من ذرايح عندها ذهبت معه ليشتري من محل هارودز ..

عند كانت تستطيع أن تأخذ أرباحها حتى بعد أن اكتشف نصيبها من العمولة .. حرص ذرة المحل على إلحائه .. ولكنها استسلمت له .. الأحاسيس الجديدة هي التي دفعتها إلى هذا الاستسلام ..

وقد قاومت هذه الأحاسيس منذ بدأت تزحف داخلها .. وتعمدت بذل منهج كبير حتى تقع نفسها بأن كل ما يبسطها لا يتعدى المعرفة والصدقة .. حتى هد أن وصلت إلى القاهرة قضت أياما وهي تقاوم رغبتها في أن تذهب إليه .. تراها .. إنها ليست في حاجة إليه لأى شيء تريده في القاهرة .. ولكن مقاومتها ضعف ما بعد يوم إلى أن استسلمت أخيرا وذهبت إليه .. لمادا تخاف .. لن

يكون بينهما إلا لقاء أصدقاء ..

ودعت في الصباح إلى محل بيع الجواهر الذي تلمح كل أربعة يرسق الأناس .. وقفز إليها مبهورا واحضن يديها بين يديه وهو يقول :

— تأخرت كثيرا إلى أن انتفرك منذ أيام ..

وقالت في دلال وهي تشد عينيها بعيدا عن عينيه :

— ومن أدراك أنى في القاهرة ؟

وغال صاحكا :

— لا يمكن أن يغيب عني أى سر من أسرار السوق ..

وقالت متبائلة :

— وهل أنا مجرد بضاعة في السوق ؟

وقال وهو يد كفه بمرأة ويمسح بها على شعرها :

— إن كل شيء يلمح في السوق .. سواء فصوص الماس ، أم فصوص الشوق .. وقد كنت في شوق إليك لذلك لمحت أمامي في السوق ..

وقالت وهي تحاول الاحتفاظ بقوتها :

— لم أكن أستطيع أن أمر بالقاهرة دون أن أراك .. لقد تركت تأثيرا على عندما التقينا في لندن .. إنك أستاذى .. أستاذ السوق ..

وقال وهو يضمها بعينين فرحتين :

— لو لم أرك هنا لسافرت إلى لندن لأراك .. فأبك تركت في إحساسها بأن اكتشاف في سوق لندن حققة نادرة .. والآن .. لن يبقى لها .. منذهب لتناول العشاء في أى مكان ..

قالت وهي تزداد ضعفا :

— ولكنى على موعد ..

وقاضها وهو يجمع حوائجهم من على مكتبه :

— لن أقبل أى عذر .. وإلى أحسن بأنه لم يعد في ديانا أعداد تظيل حرمات



أحدنا عن الآخر .. وشدها وخرج بها من عمل الجواهر ووضعها لـ ..  
 واسطقسها إلى الشوارع البعيدة وجلسا لتناول طعام العشاء في مطعم هادئ  
 والحديث لا يكف بينهما .. تحدثت عن أعمالها في لندن .. وعملت عن  
 أعماله .. ثم بدأ كل منهما في الحديث عن نفسه .. بروى قصته .. كلاهما  
 حياة باردة ماردة حتى القلوب فارغة .. إن جيوبهما متضخمة بملا  
 زجاج وأرصفة .. ولكن قلوبهما ليسا في جيبيهما .. كل منهما يحفظ  
 حراية خالية .. كل قلب يعيش في صحراء منعزلة لا يجد فيها ما يشبع  
 الإحساس بالحياة .

واستمر اللقاء طويلا حتى وصل إلى ما يقرب من الساعة الرابعة ..  
 كأنها أمأقت .

— يجب أن أذهب الآن .. إلى على موعد للقاء أمي ..

وقال بسرعة :

— لا تعديها بتناول العشاء معها .. فالعشاء معي ..

ووقفت مبهورة .. هل تعطيه ساعات العشاء أيضا .. ولم ترد عليه ..  
 وحديث رأسها يتزموافقة ..

وكان ينتظرها بسيارته في الموعد الذي حدد للقاء العشاء .. ولم يحاول  
 عن اختيار أن يتناول هذا العشاء .. ولكنها وجدته يقف بالسيارة أمام

كبيرة ثم ينزل ويفتح لها الباب لتتزل معه .. أين سيأخذها .. لعله قدر أنها  
 نوع النساء الذي يمكن أحده إلى أي مكان .. ورغم ذلك لم تقاوم ولم تتوقفت

سارت معه إلى أن ارتفع بهما المصعد إلى شقة فتح بابها بفتاحه .. ولم تكن  
 صغيرة كالشقة التي تستخدم كجرومونية يلتقي فيها رجل بامرأة فوق الفراق

إنها شقة كبيرة جدا .. وفحمة جدا .. تتراحم فيها قطع أثاث راقية تلين  
 العائلات .. وهي تنظر إلى كل شيء كأنها تطمئن نفسها .. إنه لم يأخذها

على فراش .. وقد أجلسها في الصالون الواسع وأمامها مائدة قد أعد فوقها

الطعام وزجاجات الويسكي والشبانيا .. إنها لا تشرب الخمر .. وهو لا  
 يبع .. والحديث لا ينتهي بينهما .. حديث أرق وأهدأ من حديث ساعة

العشاء .. وهو يقطع من الأطاق ويعطيا في فمها .. وضحكاتها تطير بها ..  
 وتقلده وقد يدها إلى فمه هو الآخر وهي تحس كأنها تطعم قطنبا الأليمة .. ثم

امتدت دراه وأحاطتها وحديثها إليه .. وتعلقت عيها بعينها كأنه يستأذنها ثم  
 سقط بشفتيه على شفتيها .. إنها أول قلة من هذا النوع من القبل يصل إلى

شفتيها .. إن قلات الرجال لها طعم آخر غير القلات التي دافتها من روجها  
 الإنجليزية مايكل .. كأن مايكل لم يكن يصعب قبله لكن هي التي كانت تصعبها

له .. وطالت التيلة وامتدت يده في رقن لتصل إلى خصرها ثم إلى ثديها .. وفجأة  
 انفصت كأنها أمأقت .. إنها تحس بما ستجي إليه هذه القبلات .. وهي لا

تريد .. وأبعدت شفتيها عن شفتيه وهبت واقفة وهي تقول لاهته :

— يجب أن أذهب الآن ..

واهار رأسه فوق صدره كأنه سقط من جبل عال .. جبل المتعة .. والتفصص  
 أنفاسه وقام إليها واقفا بجانبها :

— ربما هذا يكفيك اليوم .. ولكني أريدك في أمر هام .. إنه أمر منعني بالعمل  
 ويقوم على تقني الكاملة فيك وفي شطارتك .. فهل أعرضه عليك الآن أم تركه

إلى لقاء الغد ؟ ..

وقالت وهي تساوى شعرها وتشد ثوبها عليها بعد أن هربت من أحضانه :

— إلى في الغد أغير فرح زواج أختي .. وقد نسيت أن أقول لك إنك مدعو ..  
 وقال مبتسما :

— إن فرحنا أتساك فرح أختك .. ولنجلس معا دقائق ..  
 وعادا جالسين وكل منهما متباعد عن الآخر .. وكأن كلاهما يقاوم اللقاء

نفسه في أحضان الآخر .. ومد عبد النور يده ورشع من كأس الشبانيا كأنه  
 يحاول مقاومة الحالة التي هو فيها بعد أن طالت به قبلاات سارة .. ثم قال وقد هذا

• مسح منه جادا مناتيا

• بها عملية كبيرة وخطيرة .. فلان عدوى زمردة كبيرة يصل حجمها إلى  
• .. وقد يمتد من أن أيعها رغم مرور السنين .. وبدأت أدكر في  
• .. أيعها في الخارج .. أيعها إلى أحد محال المجوهرات الكبرى لا إلى فرد من  
• .. وكنت أمكر في كيفية حملها ونقلها إلى الخارج .. إلى أن تركز  
• .. الاعتماد عليك .. إنك متحويين في سويسرا بعد أيام .. فهل  
• .. حينئذ تأخذى هذه الزمردة معك وتبيعها إلى .. محلات .. بلجاري .. أو  
• محلات « شايلا » أو « بياجي » أو أى محل آخر من محال المجوهرات ..

وقالت سارة وهي تشفق :

« .. إنى لا أعرف كيف أبيع أى فص من العصوص .. ولم يسبق لى أن تعاملت  
في هذه السوق ..

وقال عبد النور في بساطه :

« .. سبق ثلثة وسهله اتركى لى تعرضى عليه أن يحدد الثمن المهم  
• .. سبب .. سبب .. ولكنك سيبعين باسمى أنا .. وسيتصلون لى مع إتمام العملية  
تسليمه لى موسى .. المهم هل يمكن أن تصفى على هذا الفص وأنت تحملينه إلى  
• ..

وقد تأنه

« .. لى مبيدة على هدى هامم في امرى من الحسرك .. إن لها معشرا خاصا  
• .. ولكنى لا أطمئن إلا إذا وجدت نفسى سليمة في البلد الذى أسافر  
• ..

« .. يد سور .. وهى يتسم اهتمامه وفورة :

« .. حارظ بك ومعك ..

ومد عبد النور يده في جيبه وأخرج لعامة زاهية حمها لثريق من بين أوراقتها  
• .. واتسعت عينا سارة مبورة تكاد تصرخ من روعة ما تراه ..

وانتظر عبد النور برهة حتى عضمت انبهارها ثم وضع الزمردة في يدها .. وعياها  
• .. ملقتان به لا تدري ماذا تقول .. ثم مالت وقبلته قبلة سريعة كأنها تشكره على  
• .. ففته بها .. ولكنه لم يترك القبلة تمر سريعا بل استطاع أن يحتفظ بها طويلا ..  
• .. وخرج بها من الشقة ليحملها إلى بيتها في سيارته .. وهى محتفظة بفص  
• .. الزمردة في يدها قابضة عليها بكل أصابعها كأنها تخشى أن تسقطها في حقيبتها  
• .. وتركتها فيها ..  
• .. ولا حديث طوال الطريق .. كل منهما غارق في أحلامه وخططاته ..

\*\*\*

وكانت سارة تحوى أن تقيم الفرح في أكبر فنادق القاهرة .. في المليون أو في  
• .. الشيراتون أو في الفندق الجديد الملبى .. وتحيه عطرية كبيرة .. بحاة أو شادية  
• .. ومائة أهدأ واردة .. ولكن أمها أخذت تتعابى عليها حتى رضع قليلا في  
• .. إعداد فرح أختها وقالت تصحبها :

« .. هذا كثير عينا .. وسيفر حولنا كلام الناس .. ثم إنه سيوقع بحوث إلى أن  
• .. يطالبوا بالأكبر سيطمعون فيك ..

ولم تكن سارة تحس بأنها تستحق على حفل الفرح ما هو كثير عليها .. إن  
• .. رصيدها لى لى يتأثر .. ثم لم يكن يهسا كلام الناس .. وانعكس .. إنها  
• .. تريد أن تولى أمام الناس أنها مجتحت في الوصول إلى المنطقة لعب التريه .. ولكن  
• .. ما قالته أمها من أن إختوتها قد يتأدون في مطالبتها بالأكبر أو قمعها لى هوة التردد  
• .. ومعلل إن الإحوة الثلاثة بدأوا يمدحون عينا بأن تصحبهم معها لى لندن .. وقد  
• .. تحقق لهم لندن ما حققته لها من نجاح .. وكانت تصر على الرقص .. إنها لا  
• .. تستطيع أن تعيش معهم في لندن .. وكانت تبرر رقصها بأنها لم تستقر في لندن  
• .. بعد .. بل إنها قد تضطر إلى ترك لندن والانتقال إلى بلد آخر .. بل قد تضطر إلى  
• .. العودة للإقامة معهم في القاهرة .. وهم يستمرون في الإلحاح .. حتى لو كانت  
• .. غير مستقرة فليجازفوا ! ويعيشوا معها بلا استقرار .. فماذا تفعل لو فاجأوها بأن

وحدثهم أمامها في عربتها .. طامعون في ثرائها الذي تظهر به أمامهم .. لذلك اقتضت عما قالت أمها .. وقالت لأختها العروس .. إنها ستضطر إلى التوفير في معقات الحفل بعد أن وجدت أنها لا تستطيع أن تتحمل نفقات كل أحلام الفرح بها .. واكتفت فعلا بتخصيص الصالة الصغيرة في الفندق بعد أن كانت قد حجرت الصالة الكبيرة .. كما عدلت عن الاتفاق مع أى مطربة لإحياء الحفل واكتفت بالفرقة التى عرف العروس .. كما جعلت من الحفل كله مجرد حفل استقبال وليس حفلا ساهرا ..

ورغم ذلك فالعروس فرحة والعريس أكثر فرحا وتباهيا .. فلم يكن أى منهما يعلم بأن يقام حفل رفاهة في مثل هذا الفندق الكبير .. وربما كان مما أطلق فرحتهما هذا العدد الكبير من أفراد الطبقة الراقية التى تدعم سارة وخطبتهم بأفراد الطبقة المتواضعة التى تمثلها عائلة كل منهما .. وأم سارة جالسة متباعدة صامتة كأنها لا تستطيع أن تعيش هذا المجتمع الجديد ولعلها كانت تمنى أن يتم زفاف ابنتها داخل البيت في هذه العرحة الصادقة المتواضعة التى لا تزال تحمل بها لكل بنت من بيائها ..

وكانت سارة قد دعت هدى هام إلى حفل الزفاف .. ودعت عبد التور رأفت .. ودعت كثيرين من الشخصيات للمنازاة الذين عرفتهم وارتبطت بصداقتهم خلال أعمالها .. بل إن هدى هام نفسها شاركتها في اختيار المدعوين .. ووصلت سارة إلى أنها كانت تريد دعوة مفتش الجمرع عادل شاهين .. إنها أكثر حاجة إليه هذه المرة فهى تحمل زمردة .. ولكن هدى نهرتها كأنها تفيقها من غيائها الاجتماعي .. وقالت لها إن ارتباطها بالمفتش عادل شاهين يجب ألا يعرفه الناس .. وسيبقى سرا خفيا لحماية لها وحماية لعادل شاهين نفسه من الأقاويل والإشاعات ..

وقد وجدت سارة نفسها خلال الحفل لم تعد قادرة على تركيز كل نشاطها على متطلبات الاحتفاء بالمدعوين .. كما كانت طبيعتها على التركيز دائما على

مه .. فقد كانت تمر بها لحظات تحس فيها أنها مجمدة في مكانها وعيها حنتان وراء عيد النور رأفت .. مشدودة إلى كل تحركاته وإلى كل شغيفه .. كما كان بكلمات لا تسمعها .. ثم تجد نفسها قد اقتربت منه كأنها نصرت كلمات أن يسمعها غيرها .. ثم تعود وتكتشف أنها أطالت من وقتها معه وتدفع عنها للائتمار عنه لتكون مع باقي المدعوين .. إنها في حالة جديدة لم تنظر على أحاسيسها من قبل .. ولكنها تقاوم هذه الحالة ..

وقال عيد النور وهو منصرف مع انتهاء الحفل وهو يتشم ابتسامة كأنه يحاول أن يضع أهدافه في نكته :

— لماذا لا نلتقى الليلة لقيم نحن أيضا حفل زفافنا ..

وقالت وشفتاها تشتبهان شفتيه :

— سيكون حفل زفافنا بعد أن أقوم بالمهمة التى كلفتنى بها ..

قال وهو يحتضنها بعينه :

— غدا ..

قالت وهى تتندد كأنها في حيرة :

— سأسافر غدا في الصباح الباكر .. وسكون معي .. كأنك زمردة ..

وقال وهو يضطبط على يدها ثم يرفعهما ويقبلها دون أن يثير الشبهات .. إنها مجرد نكحة :

— سأنتظرك هنا .. وانتظرني في جنيف ..

واعتصم خنجرها ..

وقلها في خفقات لم تحس بها أبدا من قبل ..

تسقط فيه الملايين ..

وكان زوجها مايكل فى انتظارها بالمطار .. ونظرت إليه من بعيد ، ولأول مرة تحس بوقاحة مظهره وهو غارق فى سمرجه .. والتواء قوامه .. وابتهامه السالمة بين شفته .. لم تكن تحس من قبل بكل هذا الشذو كآته فضيحة تشهر به فى المجتمع .. ورغم ذلك تعاملت واستردت سيطرتها على نفسها .. واقترعت منه وتبادلت معه القبلات وهى تحاول أن تكون صادقة فى قبلاتها ولكنها أحست بأنها قبلات كاذبة .. إنها تقبله كأنها الرجل وليست المرأة .. وتركته يهمل ويتراقص ويطلق صوته الرفيع بصيحات ترحيبها بها .. ثم قدم إليها الرجل الذى كان معه .. إنه مسيو رينيه ديكارت .. وهو الصديق السويسرى الذى تم الاتفاق معه على افتتاح البوتيك باسمه كما يفرض القانون بحقوقه فعلاً .. لقد استأجرا دكان البوتيك فى أكبر شوارع جنيف .. واتصل بمصانع إنتاج ملابس النساء فى لندن وفى باريس واستطاع أن يتفق على استيراد قطع من الطراز الحديث الغالى .. ثم قال وهو يحيل برأسه على كتفها كأنه طفل يبحث عن صخر أمه :

.. لقد قررنا أن نطلق على البوتيك اسمك .. بوتيك سارة .. إنه اسم عربى ونحن نعتمد على الزبائن العرب .. اسم عربى يرتفع فى سماء جنيف وقالت سارة فى لهجة كبار رجال الأعمال :

.. إن اسم سارة ليس اسماً عربياً شائعاً .. لسمه بوتيك ليلى .. أو بوبيك فاطمة .. ووافق مايكل ورينيه بسرعة على أن تسب : بوتيك فاطمة .. وكان مايكل يقيم فى فندق خاص صغير أقرب إلى بنسبون .. وقد أعد عرفة لتسليم له وإساره .. وقال وقد أصبحا وحدهما وهو يلم ميوعته لحظة إلى أن يعود ويتطلق بها :

## الحلقة الثامنة

مرت شارة من جمر ك القاهرة فى سلام واطمأنت على الزمردة التى تحملها فى حقينها .. لقد كانت هدى هانم قد وضعت مأمور الجمر ك عادل شاهين فى خدمتها فعلاً .. وبدأت وهى فوق السحاب تحاول تركيز خيالها وأفكارها حول مشروع إقامة البوتيك فى جنيف .. ترى إلى أين انتهى زوجها مايكل .. هل احتار أين سيقام هذا البوتيك .. وهل اتخذ الإجراءات ليشترى من لندن أو من باريس ما يبدآن بهرضه .. لقد تركت لزوجها مبلغاً كبيراً من رصيدها ليكون له حق التصرف فيه .. فكيف تصرف .. وحاولت أن تستمر فى تركيز فكرها على ما يتظرها ولكنها وجدت فكرها بلا تعمد ينتجه فى ليونة ورفق إلى التكمير فى موضوع آخر .. ربما أصبح الموضوع الأهم .. وجدت نفسها وكلها بصكرها وحيالها تعيش مع عيد النور رافت .. وهى لا تعيش معه فيما كلفها به من عمل حاص ببيع الرمردة .. إنها تعيش معه هو شخصياً .. وتحس كأنها تحتص وجهه الجاد الوسيم المائل إلى سمار .. وتحس كأن قبلة لا تزال فوق شفيتها وترفع أصابعها لتحسها .. وكل ما فى أدنيتها رنين صوته الهادئ الباسم الذى ينبض بالرجولة .. إنها أول مرة تحس برجل يأخذ فكرها كله وتسلم له بعيداً عن كل طموحاتها فى تحقيق آمالها .. بل إنه أول رجل يثير فيها إحساساً كان قد غاب عنها طوال عمرها .. إحساسها بأنها امرأة .. ليست مجرد آلة ميكانيكية لتحقيق الأرباح .. وهى تحاول أن تقاوم هذا الاستسلام .. ولكنها تعود وتيسم فى داخلها وتلقى نفسها فى خيالها مع عيد النور .. كان حراماً عليها أن تحرم نفسها من هذه المتعة التى تعيش فيها لأول مرة .. متعة الإحساس بنفسها ك امرأة .. امرأة لها قلب وليس كل ما فيها جيب

— يجب أن أصارحك بخطة العمل ونحن نبدأ فيه .. لقد رأينا أن يكون مشروع البوتيك شركة بيتنا نحن الثلاثة .. أنت وأنا وصديقنا روني .. وقد قدمت استقالتى من محلات هارود فى لندن لأتفرغ لإدارة البوتيك .. وصديقنا كأنه هو صاحب المحل المفروض أنا ستأجره منه ولو أننا لم نستأجر إلا اسمه الذى نضعه على الأوراق الرسمية .. وأنت تقوم عليك طبعاً كل المعاملات التجارية مع المحل .. والأرباح تقسم بيننا نحن الثلاثة بالنسب التى نتفق عليها .. ما رأيك ؟—

ولم تكن سارة فى حالة تطبيق بها المناقشات والمجادلات حتى تتأكد مما يعود عليها من وراء أى مشروع ..

وقالت بسرعة دون أن تفقد قوتها بنفسها :

— موافقة .. ولكن هناك الآن ما هو أهم .. فإني كما هى العادة لا أستطيع أن أقوم معك .. ويجب أن أختل إلى الإقامة فى فندق كبير حتى أعرف على مجتمع الرابن .. ولست أقدمك إلى من أعرفهم كأهلك زوجى .. إن هذا كما تعرف يؤثر فى مدى ثقة الرابن العربى .. سأقدمك إذا اضطررت كمدير موظف فى البوتيك ..

وقال مايكل وضحكته المائتة تسيح على شففيه :

— طبعاً موافق .. نعيش فى جنيف كما نعيش فى لندن ..

وألقى اسمه على الفراش ممدداً على ظهره .. وذراعه مرفوعتان تدعوان سارة إلى أحضاره .. وسارة تحس لأول مرة بنقل المهمة المكلفة بها .. مهمة تحقيق متعة هذا الرجل .. لقد كانت تحس من قبل كلما جمع الفراش بينها وبين زوجها أنها تلعب لعبة مسلية .. إحدى لعب الأطفال .. كأنها تخطى الحل أو تلعب استعابية .. ولكنها تحس اليوم بأنها لا تلعب .. إنها تقوم بمهمة ثقيلة متعبة .. وهى مضطرة أن تقوم بهذه المهمة .. إنها لا تزال فى حاجة إليه .. وألقت نفسها عليه ..

بدأ مايكل يحس أن سارة قد تغيرت .. شىء فى القاهرة قد غيرها ولا .. ما هو ..

فى اليوم التالى جمعت سارة حقائبها وانتقلت إلى الفندق الكبير المطل على بحيرة جنيف والذى كانت قد حجرت فيه منذ كانت فى القاهرة .. إنه يعتبر مركز المرور لكس الوافدين العرب فى طريقهم لقضاء الصيف فى بلاد أوروبا .. واتفقت سارة من زوجها على أن يتركها وحدها على أن يلتقيا لظهور داخل محل البوتيك الذى يعدونه ..

وصعدت سارة إلى غرفتها فى الفندق الكبير وتركت حقائبها ثم هرعت بأمر سيارة أجرة وتطلب حملها إلى محلات الجواهر المشهورة فى بلاد .. ولم تكن على اتفاق مع إدارة هذا المحل إنما قررت أن تبدأ من جديد .. وكبير من سوق بيع المحوهرات .. ودخلت بأقدام ثالثة تغلب لقاء مدير .. وقد تعودت على هذه الخطوات الثابتة وعلى لقاء المديرين من قبل .. ست فى لندن ..

استقبلها المدير بطرات متسائلة عليها الشك الذى ترد عليه بصف المثلث .. وكشف عنه ابتسامتها ..

وقالت فوراً حتى لا تترك مجالاً لمزيد من الشك :

— إني مندوبة عن خبير المجوهرات المصرى عبد النور رأفت .. ولعلكم تعرفونه .. وهمس المدير فى أذن مساعده الجالس بجانيه ثم قلبوا فى بعض أوراق إلى أن قال المدير :

— إن مسيو عبد النور صديق قديم ..

وقالت سارة بسرعة :

— لقد أرسلنى بفص من الزمرد يجد أن السوق لا تتسع له فى مصر ويعرض بهم لكى يعرض فى السوق الأوسع ..

لم تفتح حقيبتها وأخرجت الزمردة وناولتها للمدير فى بساطة وبلا تردد

كانها لا تخشى شيئا .. والقط المدير الزمردة منها وهو ينظر إليها في دهشة ..  
عقب على التنظرة الحكيمة المخصصة وأخذ يخلق فيها ويحسبها بأصابعه ..  
ثم نادى اثنين من زملائه ببرما أيضا بروعة الزمردة .. وهما ساكلمات لم تفهم  
مها شيئا .. إلى أن قال لها المدير في هدوء مقتل يخفى هواجسه :  
— إن الخبز غدير .. ولكننا بصراحة نريد أن نطمئن على علاقتك بمسيو عبد

النور ..

وأخرجت سارة جواز السفر المصرى الذى يحمل اسمها .. سارة العباسى  
إدريس .. وقالت وهى تلقيه أمام المدير :  
— هذا هو أنا .. ولتأكد أكثر فلتسل بمسيو عبد النور بالتليفون .. لعلك  
تطمئن أكثر بعد أن تتحدث .. إليه ..

وقال المدير كأنه قرر أن يقدم على مغامرة ..

— إن أن تأكد .. فأحب أن أقول لك إن هذا الحجر يساوى سبعة وعشرين  
ألف فرنك سويسرى .. لا أكثر .. وكادت سارة تشهق .. إنه أكبر مبلغ تسمع  
عه فى علبه واحدة تقوم بها .. إنه يساوى بأسعار هذه الأيام عشرين ألف  
دولار .. ولكنها كتمت شهقتها متظاهرة بأنها لم تسمع ما يترها .. وقالت :  
— حتى بعد تحليل الثمن .. يجب أن أنصل بمسيو عبد النور حتى أتأكد  
موافقته .. وأنصل أن اتصلوا به معى ..

وأطلقت رقم تليفون عبد النور فى القاهرة الذى كانت قد تعودت الاحتفاظ  
به فى ذاكرتها .. وطلبه المدير وأعطاهما السماعه .. وقالت وقد أحسست بشيء  
جديد وهى تسمع صوت عبد النور .. أحسست بقلبها يخفق .. قالت فى لهجة  
حاددة كأنها فى عمل

— فى فى محلات شانيل .. وسيحدثك المدير ..

ثم نادى سماعه التليفون بحركة عادية إلى المدير الذى أخذ يتحدث إلى عبد  
النور .. .. .. .. .. كأنه يتحدث ببلغة خاصة ..

لله السوق .. وبعدها نقل المدير سماعه التليفون إلى يد سارة وسمعت عدد اسور  
للول لها :

— لقد اتفقنا على كل شيء .. وسيرسون لى الثمن بشئ على السن  
السويسرى الذى أتعامل معه .. وقد اتفقت معه على أن يكون نصيبك خمسة فى  
مائة .. وأنا أيضا سأدفع لك خمسة فى المائة .. شكرا .. وسنتفى قريبا .. قريبا

جلدا ..

وأنهى عبد النور المحادثة دون أن ينتظر ولا كلمة واحدة منها ..  
وجلست ساعمة وهى لا تدري ماذا حدث .. لم تكن تتصور أن سوق  
اصهر هرات يمكن أن تم العمليات فيها بهذه السرعة والبساطة .. كلمة ورد  
فقطها ..

وأخرجت من محلات شانيل وفى جيوبها سبعة آلاف فرنك سويسرى قيمة  
نصيبها من الصفقة .. نصيبها من جانب واحد .. وبقي لها نصيبها من عبد النور  
.. فت .. الرجل الذى تحس به كأنه أول رجل لاقته فى حياتها .. لعله الحب ..  
وهرت رأسها فى عصبية كأنها تلوم نفسها على هذا الكلام العاضى .. كلام لا  
يعبر إلا على أنسة المراهقات .. وهى لم تعد مراعاة حتى تنفج بأن هناك ما  
يسمى الحب ..

واندفعت مع زوجها مايكل فى استكمال إعداد البرويث حتى قررت  
استناحه .. وكانت فى اندفاعها تبدو عصبية وليست مريحة كما دعتا لعلها كانت  
تحاول أن تنسى انتظارها لوصول عبد النور إليها .. لقد قال لها إنها سيلتقيان قريبا  
جدا .. وقد مضت إلى الآن عشرة أيام ولم يلتقيا ولا حتى فى حديث تليفونى ..  
وهى تفرض كل شخصيتها فى مقاومة هذه الحالة .. حالة الانتظار .. وتحاول أن  
تساق قبل أن ينساها .. وتحفظ بكل ما كان بينه وبينها كأنه مجرد عملية تجارية  
كسبت منها وانتبت .. وهى قد تعمدت أن تخفى عن زوجها مايكل كل شيء عن  
هذه العملية .. لم تكشف له عن عملية الزمردة التى باعتها لحساب عبد النور ..

ولا عن قصة المسعورة التي كسبها .. ولم نقل له أبدا إنها في انتظار عيد التور ..  
عما اعتبرت أن كل ما يمكن أن يكون به وبين عيد التور يصير أمورا خاصة ..  
جدها يسر من حين أخذت يعرفها وحصولها روحها ..

وفد بدأت يصيق الأسلوب الذي أخذته لاكتساب صداقات النساء  
العرب .. مساء السبيل .. وهو الأسلوب الذي يبدأ بلقاء غير متعمد داخل  
الصدق كبير .. ولكن كان يجب أن نخط خطوطا جديدة في هذا الأسلوب ..  
مضى لأن صاحبة شركة تجارية .. وليست مجرد سمارة .. صاحبة بوتيك  
فاطمة .. يجب أن ترتفع في أسلوبها إلى مستوى أصحاب رؤوس الأموال ..  
وبدأت تعتمد مطهر اتعالي والعزير .. إنها في مستوى نراء واحد مع كل من  
تقابلهن .. وليست في حاجة إليهن أكثر من حاجتهن إليها .. وليس في فنادي  
حنيف ورحام فنادي لندن من النساء العربيات الوافدات .. ولكن جيف تجمع  
مستوى أرق منهن وأعلى .. وبدأت تشدهن إلى بوتيك فاطمة .. إنها تقول إن  
اسمها « فاتيما » .. ترجمة اسم فاطمة إلى لغة أوربا .. وكانت تباع نفس البضاعة  
التي استوردتها من لندن بضعف ثمنها الذي تباع به هناك في لندن .. وهذه هي  
طبيعة سوق جيب .. كأنها تعتبر نفسها سوق الطبقة العليا وليست سوقا شعبية  
كأسواق لندن وباريس وبقية أسواق أوربا .. لذلك يباع ما فيها بضعف  
الثلثين ..

ولم تكن هي التي تتولى عمليات البيع للزبائن .. إنها قد تدخل بين ثم تجلس  
إلى مكتبها .. بينما تتولى عاملة استأجرها عرض البضائع والاتفاق على الثمن ..  
وزوجها مايكل واقف خلف مكتب المدفوعات كأنه هو الآخر مجرد موظف ..  
كانت تعتمد دائما أن تحتفظ بمظهر متعال وغرور كصاحبة محل .. صاحبة رأس  
المال .. وقد انطلق دكاؤها من طول ما عاشت في السوق التجارية إلى أن النساء  
العربيات في جيب لا يسرن ولا حتى يتطلعن إلى قطع الثياب والمتطلبات النسائية  
التي نعرض عليهن .. ولكنهن يركزن كل اهتمامهن ووجباتهن على قطع القراء ..

.. لا يعرف عن سويسرا إلا أنها يندبيع القراء .. لذلك بدأت سارة تركرك كل  
«هددها على بيع قطع القراء .. إن القطعة قد يصل ثمنها إلى أربعة آلاف دولار  
ترتفع إلى عشرة .. أو إلى عشرين .. وهي قد بدلت الكثير في دراسة السوق ..  
وفي اكتشاف أسرار القراء .. ولكنها تعترف بأنها لا تزال عاجزة عن الإلمام بكل  
الأسرار .. إنها تخطط كثيرا بين أنواع القراء النادر والقراء المشاع .. وتخطط بين  
العالي والرخيص .. ولكن الزبونات أيضا يجهن أسرار القراء .. إنهن لا يعلن  
إلا أنه فراء يباع في سويسرا .. وقد يمكن قد حفظ بعض الأنواع .. الفيزول ..  
والاستراكان .. والرينار .. و .. ولكن لا يستطيع أن يفرق بين هذه الأنواع  
عندما توضع أمامهن ويتحسنها .. بل قد يخطئ بين القراء الطبيعي والقراء  
المصنوع .. وقد استغلت سارة هذا الجهل وأصبحت تباع أي نوع على أنه أي  
نوع وتحرص على فرض الثمن الأكبر ..

واشتهر بوتيك « فاطمة » أو بوتيك « فاتيما » ببيع القراء للنساء العربيات ..  
وحقق أرباحا ضخمة سريعة .. وكان مايكل يحتل كل مساء بسارة ويقدم لها  
كشف الحساب اليومي .. كم تحقق من أرباح .. وقيمة نصيبها ونصيبه علاوة  
على ما يضاف إلى رصيده التعامل .. ولم تكن سارة تهتم كثيرا بهذا الحساب .. إنها  
ليست مطمئنة ولا غير مطمئنة .. إنها لا تزال تنتابها حالة انتظار عيد التور كلما  
فرغت من إدارة البوتيك حتى لو كان مايكل معها .. الحالة التي تأخذها بعيدا  
عن كل ما حولها كأنها تهتم بها وراء الأذن في عالم مجهول .. ومايكل يقف أمامها  
مبطلقا بعد أن يكون قد انتهى من تقديم الحساب وإبسانته تسريح على شفتيه كأنه  
يتساءل عن نصيبه منها هذه الليلة .. ثم لا يلبث أن ينطلق ضاحكا ضحكته المنفمة  
كأنه يسحر منها ومن نفسه ثم يتركها ويختفي عنها .. لهله وجد نفسه شلة في  
حنيف فتقيه عن شلة لندن .. وإن كانت سارة تحس أحيانا بمسؤوليتها عنه فتذهب  
معه إلى حيث يقيم وهي تحس بتقل المهمة التي لم تكن تحس بتقلها من قبل ..  
وكان قد مضى شهر كامل .. ثلاثون يوما .. عندما دق جرس التلفون ..

إنه عبد النور رأفت .. وهو معها .. في جنيف .. يقيم في جناح من الفنادق الكبير الذي تقيم فيه .. وتركت كل ما حولها دون أن تستأذن أحداً وذمها إليه ..

مروفت أمامه صامتة لا تستطيع أن تنطق بكلمة .. وابتناسها ترتعش بفشمتها حتى يبدو صف اللؤلؤ كأنه يرتعش معها .. وهو في مواجهتها يلتهمها بعينيه وشفاهه المكتنزتان صفر جتان عن ابتسامه ضعبة حائرة .. كانا في صمتها كأن كل واحد يتساءل من يأخذ الآخر .. وأخذها ..

ولأول مرة في حياتها نحس أنها تؤخذ دون أن نحس بأنها تعطى .. بعد أن عاشت العسر كله وهي نحس بأنها تعطى ولا تأخذ .. تأخذ كل هذه المتعة دون أن تعاقب شيئاً تعطيه ..

ولا يستطيعان أن يفترقا حتى بعد أن دهمهما الليل .. وغمر بهما ضرائع بمجمعهما حديث .. وتكلم وهي في انتظار أن تأخذ أكثر .. ويتكلم وهو في انتظار أن يعطى أكثر .. ولا يحظر على بالها أن تتصل بالوتيك لتطمئن على أعمالها أو على زوجها .. ولا يحظر على باله شيء يرفع لمساته عنها .. وقد قال لها إنه اضطر أن يرحل عنها لأنه سافر إلى نيويورك قبل أن يصل إليها .. وأشد طويلاً بكفائها وشطارتها في بيع الزمردة في جنيف .. وقد بدأ يحفظ للاعتاد عليها في عمليات كثيرة .. لماذا يبيع المجوهرات في القاهرة وحدها .. لماذا لا يبيع في كل عواصم العالم .. وسيلبسها قطعاً من المجوهرات تنولى هي يمعها هنا .. في جنيف .. حتى الليل بدأ ينتهي .. وقامت متناقلة كأنه لم يعد فيها ما تقوى به على القيام

وقالت وهي تضمه بعينيه :

— بعد أن أذهب إلى عرشي لأسترد نفسي حتى أفاك صباح الغد .. بل هو صباح اليوم

وقال مقلعاً وكأنه يواجه مصيبة :

— إن بعد ساعات سأركب الطائرة عائداً إلى القاهرة .. أبقى معي حتى أركبك إلى حمام .. إن لم أعد أطلق أبقى على أرض أنت فيها ولست ..

ونظرت إليه مبهوطة كأنها صدمت :

— وأنا لا أطلق أن تطر مني إلى السماء ..

وقال مؤكداً وهو يحضنها :

— سأعود إليك بعد أسبوع واحد .. خمسة أو سبعة أيام ..

وقالت متسمة ابتسامة مسكنة :

— وأنا كما هي العادة سأعيش عذاب الانتظار ..

وأسقط ذراعها عنها ثم اتجه إلى حقيقته الصغيرة وقحمها وأخرج منها صدوتين صغيرين من القطع .. صدائيق المجوهرات .. وأخرج من الصدوق الأول حاتمًا يحمل نصاً من الماس وعاد إليها وأمسك بيدها وبدأ يضع الحاتم في أصمها قائلاً وهو يتسم ابتسامه لا تسقط جديده كلماته :

— هذا سوليتر .. احتفظي به في أصبعك حتى تستطيعي أن تبيعيه إنه عشرة قراريط .. ويساوي عشرة آلاف دولار على الأقل ..

ورفعت سارة يدها تبحلق في صرخة إعجاب إلى الحاتم الذي أصبح يد تد على أصمها ..

وفتح عبد النور العلبة الثانية وهو يقول في لهجة أكثر جدية :

— وهذا سوار مرصع بالماس .. ليس فيه فص كبير .. ولكنه من اللون العالي ويساوي على الأقل عشرين ألف دولار ..

وأخذت سارة العلبة وأغلقتها دون أن تنظر في السوار طويلاً .. وألقت عيونها حائرة .. كأن كلا منهما لا يريد أن يترك الآخر .. ونزعت سارة نفسها من حورتها وألقت قبلة سريعة على خده وجرت خارجة وقال عبد النور يدها :

— سأعود ..



وغالب رهم، فتفتح الباب :

— سأنتظرك ..

وحسرت وهي تبط السلام وألقت نفسها على مرأشها وهي تعلم أنها لم

تست وهي في وحدتها أنها تفتيق .. تفتيق .. من عبد النور رأفت .. إلى ماذا انتهت معه .. إنها لأول مرة تخرج عن المبادئ التي عاشت عليها .. هذا ألا تكون أبداً لرجل في الحرام .. وألا تكون أبداً واحدة من النساء الرخيصات .. وما سرها حتى اليوم واحتفظ لها بغيره شخصية هو أنها لم تكن أبداً امرأة رخيصة .. حتى عندما ألحقت عليها أطماعها حرصت على أن تحققها في الحلال .. فتزوجت مايكل .. ولم تكن تحبه .. ولا تحب أن تتزوج رجلاً إغليزياً .. ولكنها كانت تحقق أطماعها في الحلال .. وأطماعها تلح عليها أيضاً أن تكون أحد النور .. إنها إطماع عاطفية لم تكن تحظر على بالها من قبل .. ولكنها أصماعت أصبحت متحكمة فيها .. فهل تتزوج عبد النور أيضاً .. لتصل بأطماعها إلى الحلال

و بضفت من بين شفتيها الأسامة ساحرة .. إن عبد النور مسبحى .. وهي لم تسأل نفسها في البداية إذا كان مسيحياً أو من أي دين آخر .. ولم تعرف وتؤكد من أنه مسيحي إلا بعد أن بدأ يغرر أصابعه داخل عواطفها ويشدها إليه .. وقد صدمت ولكنها كانت صدمة أخف وأضعف من أن تقاوم بها عواطفها .. فاستسلمت دون أن تحس به غريبتها .. ولكنه حتى لو كان مسلماً فلم تكن تحس به كمسلم .. إن المرأة عندما تحب لا تحس بمحبيتها إلا كرجل .. وقد وقعت في الحب ..

وانسحب الأسامة الساحرة فوق شفتي سارة .. هل تحاول أن تدفعه إلى إسلامه حتى يتزوجها كما فعلت مع زوجها مايكل .. مستحيل .. إن عبد النور شخصية أخرى غير مايكل .. شخصية قوية وصلت إلى حد فرض نفسه

عليها حتى استسلمت .. ولا يمكن أن تقبل مثل هذه الشخصية النصحية من أجل امرأة إلى حد أن تسب نفسها إلى دين آخر .. لا يمكن أن يعلن إسلامها جهاشياً .. أكثر من ذلك .. إن عبد النور متزوج فعلاً وله ولدان .. وكانت تعرف ذلك عند البداية .. أي أنها كانت تعرف أنها تسقط .. لم تعد سارة كما حرصت على أن يهرلها الناس .. إنها امرأة أخرى غير المرأة التي كانت تغالى في الدفاع عن سارها الداكن حتى يأخذها أحد على أنها امرأة جارية .. لقد استسلمت بإرادتها لتكون جارية لعبد النور ..

وزمت شفتيها كأنها تكتم صرخة ترفض بها تقييدها لنفسها .. لماذا تعتبر نفسها كأنها سقطت .. ولماذا تتهم نفسها بأنها أصبحت امرأة رخيصة .. إن كل ما حدث هو نتيجة إحساسها بالنقص في طبيعتها كأمراة .. ولقد عاشت تقاوم هذا النقص إلى أن ضلعت أمام عبد النور .. شيء يمكن أن يجمع بين أي امرأة وأي رجل يعانيان النقص .. وما دام كل منهما لا يعتمد الخطيئة فمصيره في يد القدر .. في يد الله .. والمهم ألا يعتبرها عبد النور كأمراة رخيصة .. حصل عليها كما يمكن أن يحصل على أي امرأة .. وهي لم تكن رخيصة عندما حصل عليها .. لفد تركته أكثر من عام وهو يعساها ويتلف عليها .. بل لعله لم يقدم على تكليفها بالعمل معه ويعهد إليها بمسؤولية التصرف في مجرماته إلا بدافع عاولة اكتسابها والوصول إليها .. ومتحسراً دائماً على أن تظل بالنسبة له امرأة غالية .. يعيش وهو لا يكف عن محاولة اكتسابها .. لن تكون أبداً مجرد امرأة يملكها ..

وهذه أصابع سارة ورفضت بعدها تصمخ في الحاتم السوليتير الذي يرق فوق أصبعها الداكن السمار .. إنها لن تبيع أبداً هذا الحاتم رغم أن عبد النور طلب منها أن تباعه .. إنها ستحفظ به لنفسها رغم أن عبد النور لم يعلن أنه هدية لها .. وهي أيضاً قد تركت له هدية فهو لم يدفع لها نصيباً من نسبة أرباح بيع الرمرمة .. تجاهل أن لها نصيباً .. وقضى الليل بين شفتيها دون أن يتحرك ليدفع لها هذا النصيب .. يبدو أنه من هذا النوع من رجال الأعمال الذي لا يدفع إلا

( قلبي ليس في حبتي )



المعطاء .. إنها لأول مرة تحس بالفاجعة .. فاجعة أنها تعطى ولا تأخذ ..  
وقالت وقد انتقل لتناول العشاء وعيناه لا تزالان تيرقان بأضواء متعته معها ..  
— لقد اكتشفت أنى لا أستطيع أن أستمع مقيمة فى الفندق .. يجب أن أظفر  
للإقامة فى بيت حاس .. فى وحدى .. إن التعامل فى الفراء قد اتسع حتى إلى  
أعد أستطيع أن أتأمله وأنا مقيمة فى الفندق .. سيكون فى بيت خاص يفسح  
مجالا لسهولة التفاهم مع الزبائن ..

وابتلع مايكل اللقمة التى كان يأكلها كأنها كادت تحترق وقال :  
— إن الإيجارات فى جنيف غالية .. مرتفعة جدا .. ولن أستطيع أن أساهم فى  
إيجار بيت لك .. ولا حتى يمكن أن يحسب هذا الإيجار من أرباح البوتيك ..  
وقالت ضاحكة :

— إلى تعودت على بخلك .. لن تدفع شيئا .. ولا يحسب الإيجار من  
مصاريف البوتيك .. إلى مستعدة لكل شيء .. وصنقى كائن .. سأقيم فى هذا  
البيت وحدى .. ولن تتردد على إلا بمواعيد .. إلى لا أزال أبحثى أن أفقد فهمي  
عندما تعلم صديقاتى العربيات بأنى إنجليزية ومتزوجة إنجليزية ..

وقال مايكل وهو يعود ويلثم لقم العشاء وعيناه لا تزالان تلتئمانيها :

— مفهوم .. وموافق ..

قالت وهى تربت على وجهه بكفها :

— المهم أن يبحث معا عن هذا المسكن ابتداء من الغد ..

وكانت سارة منذ وصلت وهى تحتفظ بمخيمتها معلقة على كتفها حتى عندما  
حتمها الفراش ظلت الحقيبة معها .. إنها تحتفظ فيها بالسوار للرصع بالمالس ..  
١. إلى أصبحها خاتم السوليخير الذى يلمع فوق السمرة الداكنة .. وكانت قد فكرت  
٢. أن تحفى الخاتم أيضا داخل الحقيبة ولكنها قررت أن تتركه لواء مايكل ..  
٣. إلى أن تحمله أبدا .. ولم يلتقط مايكل هذا الخاتم بعينه إلا بعد أن انتهى من  
٤. العشاء .. فقد كان غارقا فى شلوذه ونشوته .. ولا حظت سارة أنه بدأ

بحسن فى الخاتم دون أن يمسأها عنه وسبقته قائلة :

— إنه هدية التفتت إحدى صديقاتى بإهدائها لى ليلة أمس ..

وقال ساخرا ولعابه يسيل على شفاهه :

— وماذا أهديتها أنت فى المقابل ..

وقالت ضاحكة وهى تنظر إليه كأنها تلومه لأنه تجاوز حدوده بمؤالاه :

— أهديتها لجناسى .. وأنت تطعم أنها أجناسه غالية ..

وقال مايكل كأنه لا يستطيع أن يقاوم :

— إنه يساوى الكثير ..

وقالت وهى تقوم من جانبها :

— لا يحسنى كم يساوى .. إلى فقط معجبة به ..

وانحنت تقبله قبل أن تتركه لتعود إلى حجرتها فى الفندق الذى تقيم فيه ..

\*\*\*

وسارت الأيام سريعة .. وكل يوم تذهب إلى البوتيك وتحقق مزيدا من  
الأرباح .. ثم تخرج مع زوجها لتطوف بحثا عن الشقة التى تسأجرها لتقيم  
لها .. وقد استقرت فعلا على اختيار شقة فى شارع هادى راقى فى أحد الأحياء  
راقية بأطراف جنيف .. الإيجار غال .. ألف فرنك فى الأسبوع .. ولكنها  
متلطف وستستقل إليها يوم الاثنين ..

وفى صباح السبت دق جرس التليفون .. إنه عبد النور وقد عاد صادقا لى  
وعده بالآى يتأخر عن أسبوع .. وحاولت أن تذكر نفسها بأنها قررت أن تكون  
امراة صعبة .. ليست مجرد امرأة رخيصة تتهلر مستسلمة لرجلها .. ولكنها  
وجديت نفسها تتهلر .. كلاهما وقف فى مواجهة الآخر صامتا كأنه يتسائل من  
منهما يأخذ الآخر ..

وأخذها ..

متى التمة وهى تحس بأنها تأخذ ولا تحس بأنه تعطى ..

ومد عبد النور يده وهو يريخ أنفاسه اللاهنة وأخرج دبو ساء بروض مرصدا  
ناداس وصحه في يدها قائلا :

— هذه قطعة أخرى معروضة للبيع ..

ونبت سارة حقيقتها وأخرجت منها السوار المرصع وقالت له :

« .. إلى أين أبيع هذا السوار .. وحدت أن يجب أن أستكمل مظاهر مشرد  
لبائع .. لذلك استأجرت شقة أقيم فيها .. واستأثرت إليها يوم الاثنين .. واستطيع  
أن أسفن فيه من عمل معهم

وعبد النور يحلق في الحافتم الموليتير الذي يلعب فوق أصبعها الأيمن  
لدكن .. وغلت فور

— إلى أين أبيع هذا الحافتم ..

وقال في دهشة ضاحكة :

— لماذا ؟

وقالت وهي تغرب بفص اللؤلؤ من شفتيه :

— لأى اعتبره الشبكة التى قدمت لي يوم زفاني ..

وقال وشفته تستسلمان لشفتها :

— إن الأزواج أحيانا يضطرون لبيع كل شيء حتى الشبكة ..

وقالت في صوت مرتعش خفيض :

— ربما يستر ..

وغاب صف اللؤلؤ بين شفتيه ..

## الحاقة التاسعة

كان عبد النور رافت قد ركب الطائرة عائدا إلى القاهرة في صباح يوم  
الاثنين بعد أن تركته سارة عند الفجر عائدة إلى غرفتها في الفندق .. وكان قد  
أعضى معها طوال يومى السبت والأحد .. لبل هذا سيكون نصيبها منه  
دالما .. السبت والأحد .. وإن كان لم يملحها هذه المرة بأن يعود إليها بعد  
أيام ..

وقد انطلقت منذ الصباح لتسلم الشقة التى استأجرتها في الحى الراق  
بأطراف المدينة .. شقة مفروشة .. وقد أمضت أياما تبذل وتضيف في أثاث  
الشقة حتى تصفى عليها طابعا أقرب إلى الطابع العربى .. حتى أنها فرشت  
إحدى الصالات بالسجاد والموائد والمرتبات على الأرض والتى يمكن أن  
تربيع عليها جالسة .. كما وصلت إلى وضع عزانة في مكان مختلف داخل  
أحد الدواليب .. حتى تحفظ فيها بقطع المجوهرات التى يتركها لها عبد النور  
لنبيها ..

ثم بدأت تدعو إلى زيارتها في الشقة .. لم تكن تدعو أى واحدة ممن تلقى  
بهن .. بل كانت تحكم ذكائها في اختيار من تدعوها .. وكأنها كانت تزنها  
بينها لتأكد من ثقل ما تستغديه من هذه الدعوة .. ولم تكن تلح وهي توجه  
الدعوة .. بل تدعو كأنها تعطى المزيد في خدمة هذه المرأة .. كأنها تفضل  
عليها ولها أن تقبل أو ترفض دعوتها .. كأن تصل إليها إحدى النساء العربيات  
داخل البوتيك لتشتري قطعة من الفراء .. وتقدر أنها امرأة سهلة واسعة الفراء ..  
فقلب أمامها مروضاتها ثم تقول لها :

— هل تريد أن ترى المزيد .. تفضل بالمرور على في بيتي لأعرض

عليك كل ما عندي .. على الأقل لأقدم لك فوجان قهوة .. وحرك لها العنوان ..

ولم يكن كل النساء يقبلن هذه الدعوة .. وربما كان بعضهن يحرمهن على عدم المجارفة معها .. وكان اللاتي يقبلن الدعوة هن ما يدنو عليهن أنهن أكثر سناجة وأكثر جراءة في إشباع اندفاعهن إلى اكتشاف المجهول .. وهو النوع الذي تستطيع أن تستفيد منه أكثر ..

ولم تكن تستقبل من تزورها كمجرد زبونة لم تأت إلا للشره .. بل كانت تعتمد استقبالهن كست بيت ترحب بصديقات للعائلة .. وتطيل في الأحاديث العامة المسلية التي تأسر بها زائراتها .. وهي موهوبة في مثل هذه الأحاديث وفي حكاية الحكايات .. إلى أن تبدأ في النهاية في عرض قطع من القراء عليها فتكون قد جمعتها واحتفظت بها لديها ..

و كانت منذ البداية تستقبل الزائرة وهي تحلى وصفها بالسوار المرمع بالباس دون أن تعتمد أن تعرضه عليها ليبيعه لها .. حتى يجتلب هذا السوار عيسى الزائرة وتعجب به وتلهف عليه وتسال عنه .. وتقول لها سارة : « ملك إحدى الصديقات .. وتريد يبعه .. ولكني لا أريد أن أشتريه ولا أدري كيف أبيعه .. إني لست مختصة ببيع مثل هذه الأشياء ..

وتقول الزائرة :

- شتره أنا ..

وتقول سارة في بساطة :

إسها تطلب فيه غالبا .. خمسين ألف دولار .. أي سبعين ألف فرنك ..

وتصبح الزائرة :

- انعمنا ..

ثم يدفع المبلغ يشيك تكتبه في الحال ..

و استطاعت سارة بهذه الطريقة أن تبيع السوار ثم تبيع المشيك أو الدبوس

المرصع بأكثر من المبلغ الذي كان حنده لها عبد النور رأفت .. ترى هل نحاسب عبد النور على المبلغ الذي حنده أم على المبلغ الذي باعت به .. وانسمت بينها وبين نفسها .. إن كليهما هي وعبد النور في سوق واسعة يحاول كل منهما أن يستغل الآخر فيه ..

و كانت سارة قد راعت أن كل زائرة تأتي إليها وفي صحبتها واحدة أو اثنتان ممن يظهرون معها كسكرتيرات أو ربما كحواري كما كن يمتحن أيام زمان .. ولكن هؤلاء السكرتيرات غالبا بل دائما من اللبائيات .. وهي تحس بقوة كل سكرتيرة في التأثير على سيدتها .. كل منهن تملك القوة والحيلة لدفعها إلى الشراء أو دفعها إلى الرفض .. فكانت منذ البداية تعتمد أن تبادل نظرات وإشارات بينها وبين السكرتيرة حتى تطمنها إلى أن لها نصيبا في هذه العملية .. ونهملس لها بعد أن تنتهي الزيارة وتقبض الشئ :

- ساراك غدا في البوتيك .. إن حقلك محفوظ ! وبذلك اكتسبت سارة طائفة السكرتيرات كأنهن أصبحن يعمل معها ويشاركنها في الربح .. حتى إن كثرات سمن كن يعرفنها بالزيائن الجدد .. ثم أصبحت سارة مبهورة عندما ثقب بالشريحة رضوى .. إنها شخصية غريبة من شخصيات القصة .. تتحكم بر ملايين الملايين من الدولارات .. وكانت الشريحة رضوى هي التي أرسلت لدعواها إلى قصرها الذي تملكه في جنيف بعد أن سمنعت عنها وعن القراء الذي بهمه .. وذهبت إليها سارة وهي تجند كل مواهبها لاكتسابها .. اكتساب هذه الملايين .. وكانت الشريحة رضوى قد اطمانت إلى سارة وهي غارقة في السمار .. اطمانت السيد إلى الجواري .. وأدمنت متعتها بالنظرة إلى صف اللؤلؤ الذي يطلى من بين شفتيها .. إنه نوع من الجمال تجمعته النساء الثريات حولهن يتزين به .. وقد ضمنها الشريحة رضوى إلى بلاطها المزدحم بكل أنواع النساء .. واستطاعت سارة بالحكايات التي لا تكف عن روايتها أن تكون أقرب إليها من كل النساء .. حتى قالت لها بعد أيام :

—إننا هنا نتلقى كأننا في اجتماع رسمي .. وكل الناس تطلع إلينا ونجري وراء أخبارنا .. لماذا لا نتلقى عندي في البيت لتتطلق بعيدا عن الرسمية وكأننا وحدنا في العالم كله ..

وواقعتها الشيخة رضوى وعيناها ثيران مطلعان إلى عالم مجهول جامعا الدعوة إليه .. وتسللت في إحدى الليالي وذهبت إلى سارة في بيتها وليس معها سوى جازيتين من جواربها .. واستطاعت سارة أن تمتعها بمهرة لم تكن تستطيع أن تسهرها في قصرها ..

ولكن سارة تريد أن تستغل الشيخة رضوى فى صفقة تحقق لها أرباحا خاصة .. وهى لم يعد لديها شيء من المجوهرات التى تركها لها عبد النور تبعها .. وهى لن تباع أبدا الخاتم السوفيتير الذى تحفظ به فى أحبتها .. إنها لا تزال مصعمة على أنه شبكة زفافها .. وقد مر السبب والأحد ولم يصل عبد النور .. ولم تنحسر حسرة كاملة أو تنسى هذا الانتظار .. إنها مشغولة .. إنها لا تستطيع أن تترك الشيخة رضوى وتفرغ لقاتله .. ولعله هو الآخر مشغول .. ولكنها اتصلت به فى القاهرة بالتليفون .. وتعلمت أن يكون حديثها حديث عمل حتى لا تتركه يسمت فى لهفتها إلى لقاءه .. وداعى العمل يفرض عليه أن يأتى إليها .. ووعدها .. ولكنه لم يحدد اليوم الذى سيصل فيه .. وهى تريد أن تصل إلى شيء تبعه إلى الشيخة رضوى .. وقررت أن تشتري من الأسواق ما تستطيع أن تبعه .. وذهبت إلى محلات شايه التى سبق أن باعت لها الزمردة التى تركها لها عبد النور ..

ودخلت بخطراتها الثابتة إلى المدير الذي استقبلها مرحبا .. إنه لا ينسى العملية التي قامت بها للمحل .. وقالت له من خلال صف الزئور الذي يكشف عن اهتمامها :

—إني لأريد أن أشتري .. ولكني أريد أن أبيع من كل ما تعرضونه للبيع ..  
قد سبق أن بعث لكم الزمردة وحسبتم نصيبى بخمسة فى المائة من المبلغ

يؤدى يعت به .. واعتقد أنى ظلمت بهذه النسبة .. هذا هى النسبة التى يمكن أن  
حصل عليها دون أن أحس بأنى مظلومة . أو معصية .

وقال المفسر ضاحكا كأنه يختلف عنها :  
— هل تسمحيني لي أولا بأن أعرض عليك ما أصبحت عليه الزمردة فهي

7

ثم رجع - مع سيدتي - واتصل بمساعديه ودخل واحد مهم يحمل صناديق  
مكتوبة - ففتحها - وقرأ - فوجد - فوجدت شقة عمالة كانوا يقيمون

فقد هو حبيب بروعة الفكر وصدق المداد و به لذة مرارة يدي حتى الحسب .  
 . شقيقا ، تيمنا بصدق بريرة لبي برتقي سرور ، يخلصك ب همه له .

مجموعہ میں سے اسلاف میں سے  
 ایک حسبِ شان

— بی لا یطیع ب قدام کل هذا جس بری م برہمہ سالہ  
و عنق لیسیر العیة عطفیة اوسمہ زمانہ یحیی فلاہ عن عیوب رحیمہ ب لیسیر

— لقد جئنا ثمان مائة وعشرين ألف فريك سويسري

وهذه سيارة بعد ان استراحت فيها من برق الحبر المرموق .. وقد استعملها في هذه

السوق ..

لديها أسواقاً لا تستطيع مثل هذه المحلات أن تصل إليها .. ثم اعتذرت في جلستها الأخيرة بالراحة بعد أعمالها وقالت :

— سأحدثك بصراحة .. في منتهى الصراحة فإني أريد أن أحفظ بفتك في التعامل مع .. فأنا أستطيع أن أبيع لكم هذه البانتيه اليوم .. فلو حققت

« نعم ، الثمن الذى تطلبونه فسبكون من حقى أن أحصل على عشرة فى المائة من الثمن .. ولكن لفرض أنى استطعت أن أبيع بمبلغ أكبر .. فهل يكون من حقى أن أعزذ بالزيادة التى حصلت عليها .. أى لو بعث بمائة ألف وعشرين فيكون لى عشرة فى المائة .. وإذا بعث بأكثر فيكون لى هذا المبلغ الأكثر مضافا إلى العشرة فى المائة ..

وهو حقى المدير وارتج لسانه كأنه يواجه عملية من نوع جديد لم يمر بها ثم قال منمنا :

— لا أظن أن هذا يمكن أن يكون حقا لك .. فالبيع ملك لنا ومن حقا أن نحصل على كل المبلغ الذى تباع به .. سواء كان أكثر أو أقل مما نتظر .. وقالت وهى تتسم كأنها تغلره :

— لا تنس أنى يمكن أن أبيع بهذه الزيادة دون أن أبلغكم بها .. وقال المدير كأنه يحدها :

— لا يمكن .. إن إصصال الثمن يجب أن يعتمد من المحل .. وأن نعرف اسم المشتري حتى لو احتفظنا به سرا .. إلا إذا كنت أنت التى تشتري ويصدر الإصصال باسمها بعد أن تدفع .. وبعد ذلك يكون من حقا أن تصير لى بالبيعة كالتريدين ..

وقالت فى هدوء عييث :

— إنى لا أريد أن أتعامل معكم كمشتري .. أريد أن أكسب فتتكم فى التعامل معكم بأن أبيع لكم لأن أشتري منكم .. ولكنى مقتعه بأن من حقى أن أحصل على أى زيادة فى المبلغ الذى أبيع به من المبلغ الذى تحدونه ..

وابتسم المدير ابتسامة حائرة ثم استأذن منها وخرج من غرفة مكتبه .. وبما ذهب لاستشارة رؤسائه الأعلى منه فى إدارة العمليات .. وجلست منتظرة فى هدوء وهى فى ثقة بنفسها وبمقيلتها التجارية التى عاشت بها كل هذه السنوات الطويلة .. إلى أن عاد إليها وقال فوراً وهو يأخذ مقعده :

— إننا نتق فى أمانتك وكفائتك .. وهى ثقة تؤكلها ما لدينا من معلومات عنك .. إننا نعرف أنك من مصر وأنتك حصلت على الجنسية البريطانية بزواجك من مستر مايكل ستوارت زنتجستون الذى كان يعمل فى محلات هارودز وافتحت معه « بوتيك فاتما » هنا فى جنيف .. ومعروف عنك أنك لى متقى التجاح ولم يعرض نشاطك أى شيء مما يؤخذ عليك .. وقاطعه سارة فى دهشة :

— كيف عرفهم كل هذا .. كأنك تلو أمانى تقريراً من المخابرات .. وقال المدير مبتسما فى زهو :

— إن كل شركة تجارية محترمة لها مخبرات تجمع كل أسرار السوق .. وقد جمعت المعلومات عنك منذ بدأت تتعاملين معنا بقطعة الزمردة التى اشتريتها منك .. وأحب أن أقول لك إنه رغم كل هذه الثقة فإن أى عملية يساهم فيها المحل معرضة للمخاطر التى يمكن أن تواجهنا .. ولربما تضطر لى مواجهة المخاطر حتى تحقق الأرباح التى نسمى إليها .. لذلك فلا يمكن أن تترك لك حرية بيع هذه القلادة ويكون لك الحق فى الانفراد بكل فائض الربح .. يجب أن يكون لنا نصيب نواجه به ما تعرض له من مخاطر .. لذلك قررنا أن نقوم تعاملنا على أساس أن يكون لك عشرة فى المائة من الثمن الذى يحدد المحل ويكون لك فى الوقت نفسه خمسةون فى المائة من المبلغ الذى يزيد على هذا الثمن .. أى سيكون لك معنا حسابان .. حساب على أساس المبلغ الذى نبدأ بتحديدته .. بحيث لا يقل عنه غنى البيع .. ثم حساب على أساس الزيادة التى تصلين إليها لى بيع هذه القلادة ..

وقالت سارة وهى تاتمة فى خواطرها :

— إنكم حريصون أكثر من اللازم .. ورغم ذلك فإنى أقبل شروطكم لأنى أريد أن أقيم تعاملاتنا معكم .. وقد تزدادون كرمنا مع ازدياد تفنكم فى .. والآن هل يمكن أن آخذ هذه القلادة معى لأعرضها على من أختار أن أبيعها لهم ..

وبصاح المدير صيحة إصرار :

— مستحيل .. لا يمكن أن نتركها لك لتختفي بها .. من يدري .. ربما تختطف منها .. أو تصيب .. أو ..

وقاطعت سارة ساخرة :

— أو أفر بها ..

وامتطرد المدير قائلا كأنه لم يسمعها :

— إن الإحراجات المتبعة .. هي أن تحددي موعدا معيناً ومكاناً معيناً لخياره

هذه القلادة عترة محادة مرسمة إليك مع مبدع خاص .. وتحددي موعد

إعادتها حتى يعود المصوب إليك ويتسلمها منك ..

و فرت سارة في زفق وهي تسمع كل هذه الإحراجات كأنها أمام بوليس

سبب في يد من عليها رقبة .. كسار ..

والله .. أتوى شعب كساد ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

أي أنه يريد أن تسجل إمضاءها أمامه حتى يحتفظ بصورته خوفاً من أن يزور

إمضاء آخر تعطيه للمندوب الذي سيحملها القلادة ..

إلى هذا الحد يفرضون إجراءات لحماية أنفسهم ..

ووقعت سارة على الإيصال بسرعة وترك المدير يسجل صورة توقيعها ثم

عطلت منه الإيصال كأنها تخشى أن يحتفظ به قبل أن تسلم القلادة .. وقررت

خارجة من أمامه وهو يودعها صائحا وراعيا :

— أمتنى لك الترفيق ..

ونطقت كلمة باللغة العربية ربما لم يسمعها :

— يارب ..

وكان كل ما يتعلق به سارة من آمال هو أن الشبهة رضوى ستزورها هذا

للساء في بيتها كما وعدتها .. وستحاول أن تباع لها هذه القلادة .. ولن تباعها بمائة

وعشرين ألف خروك كما يطالب أصحابها .. بل ستبيعها بمائتي ألف دولار ..

ستحدد الثمن بالدولار لا بالفرنك فإن كل العرب يتعاملون بالدولار .. ولا

يعرفون أى عملة أخرى .. حتى في البلاد التي لا تتعامل بالدولار وتتعامل

بالفرنك .. عملتها الخاصة .. كسويسرا .. وخواطرها تنطلق من ذكائها ولا

تتوقف عن تحديد كل حركة وكل كلمة ستلجأ إليها لتحقيق الصفقة ..

وفي الساعة السادسة وصل إليها مندوب محلات شايو يحمل العلبة الواصفة

التي تضم القلادة .. وفتحتها سارة وأطمأنت على ما فيها ثم أعطت المندوب

الإيصال المطلوب دون أن يتبادل معه كلمة .. ثم تركت العلبة على مائدة في

وسط البهو الذي تعودت أن تستقبل فيه الشبهة رضوى لتوفر لها الراحة والجنو

والذي تطلق فيه كل أحاسيسها دون أن تحس أنها في غربة .. ثم أخذت تعد نفسها

بكل ما تصوره إنه يجذب الشبهة رضوى أكثر إليها .. حتى أنها تركت شعر

رأسها مفرودا سائلا على كنفها ويغطي وجهها .. إنها لا تنكر إحساسا بأن

الشيخة رضوى تتعلق بها كجارية لها هذا اللون الأسمر الداكن .. ولكن حتى

.. ..

.. ..



الجوارى يجب أن يكون لمن ما يبر الأسياد .. سواء كانوا أسيادا من الرجال أو النساء ..  
ووصلت الشيخة رضوى ومعها جواريا .. أو السكرتيرات .. وبينى آ  
هى العادة دائما حارية لسانية .. وهلت سارة فى استقبالها .. واجلسها على  
الوسادة فى البهو العرف وأخذت تصب فجاجين القهوة وهى لا تكف عن رواية  
حكايها وأخبار .. والشيخة رضوى تستمع فى لفظة وتريد المزيد مما تستمع  
إليه .. وتعنى بكلمة أو قد تطلق صيحة .. وتعد يدها وتوسع برقع على شعر  
سارة المتسدل على وجتها .. إلى أن قالت سارة :

— لقد كدت أحن هذا الصباح .. فقد كنت أطوف بالإسواق وعرض على  
جواهر حى قلادة أدهنى وأحسست كأنى يمكن أن أظهر بها إلى السماء ..  
وعنت أن أشتريها .. حتى لو دفعت عمرى كله ثمنها .. ولكن كل عمرى لا  
يكفى لشراؤها .. فهى ثمن بئس عال .. عال على .. ورغم ذلك فإنى لم  
أستطع أن أتركها دون أن أعرضها عليك .. إنى لا أطيق أن أرى جمالا لا تريبه  
معى .. واستطعت أن أقنع صاحب المحل بأن يقرضى هذه القلادة ساعات حى  
تريب معى .

وقبرت سارة وفتحت العلبة الراحعة وأخرجت القلادة وفردتها بين يديها أمام  
عسى الشيخة رضوى التى نظرت فيها متبسمة فى هدوء وكأنها تعودت أن ترى  
كل أنواع التحف .. وقالت ضاحكة :

— إنها فعلا تكاد تطير بنا إلى السماء ..

وافترت سارة من الشيخة رضوى وأخذت تلف القلادة حول عنقها وهى  
تعمل ضاحكة :

— لا تطيرى وحدك .. خذينا معك ..

رعقلت القلادة حول عنق وصدر الشيخة ثم أسرع وحملت امرأة لثريها لها  
هى على صدرها .. وهى تهلل إعجابا وبغية الجوارى يردد كلمات الإعجاب  
الأسفار كأنهن يزغردن .. والشيخة رضوى نفسها تملو فى منتهى السعادة

والاعتزاز بما تزيت به .. ودار حديث طويل حول أسواق وأنواع المجوهرات  
التي مرت فى حياة كل منهن .. إلى أن همت سارة بأن ترفع القلادة عن عنق  
الشيخة رضوى قائلة وكأنها تنحصر :

— سأعنها إلى المحل ..

وقالت الشيخة رضوى فى بساطة :

— لا داعى .. أتركها لى .. كم ثمنها ..

وقالت سارة وهى تحس أنها تقترب من نهاية تحقيق العملية :

— إنهم يطالبون بمائتى ألف دولار .. ولكنى لم أحاول معهم تخفيض هــ

الـثمن ..

وقالت الشيخة رضوى فى هدوء :

— لا داعى .. سأشتريها ..

ثم نظرت إلى الجارية اللبنانية .. نظرة صامدة ولكنها تحمل أمرا .. وفتحت  
الجارية اللبنانية حقيبتها وأخرجت دفتر شيكات وأحدث تكتب به .. والتفتت  
إلى سارة وقالت فى لهجة حادة تكاد تشطب ابتسامتها .. كأن إحساسها بمسئولية  
العمل قد تغلب على كل ما يتغلبه لإرضاء الزبائن :

— باسم من مستكين هذا الشيك .. لا تكتبه باسمى .. اكتبه باسم محل

المجوهرات شايرو ..

ولعلها كانت تريد أن تثبت أيضا أنها لا تأخذ شيئا من هذا الثمن ..

ونظرت الجارية اللبنانية إلى الشيخة رضوى كأنها تريد رأيها فيما تقول

سيرة .. وقالت الشيخة رضوى :

— إننا لا تكتب الشيكات بأى اسم ..

وفعلا أعطت اللبنانية لسارة شيكا تبلغ مائتى ألف دولار وحق صرفه

لحامله .. أى بلا أسماء .. ونظرت سارة إلى اللبنانية وهى تتناول الشيك نظرة لا

تخلو من معنى وعدها بأنها سيكون لها نصيبا .. ولكنها نقلت عينا إلى الإمضاء



باعث له الجواهرات التي تركها لها .. وباعتها بأعلى مما طلبه منها أن يبيعها .. ثم قالت صاحبة :

— هل سيكون نصيبى من الثمن الذى بعث به .. أم من الثمن الذى حددته أنت ؟ ..

وقال وهو ينظر إليها فى دهشة كأنه يرى فيها شخصية أخرى غير التى تعرفها منها .. شخصية أقوى كأنها أصبحت فى نفس قوته .. كما تريد أن أنت ..

وقالت وهى تضغط على يده كأنها تطفئه :

— لا .. كما تريد أنت ..

ثم أخرجت من حقيبتها إيصالات بالمبالغ التى باعت بها وكانت قد وضعها كلها باسمه فى البنك الذى يحتفظ فيه برصيده .. وقالت وصف اللؤلؤ يقترب من شففيه وذراعاها تمدنان إلى أحضاناه :

— أنت أستاذى الذى فتح أمامى هذه السوق التى كنت بعيدة عنها .. سوى الجواهرات .. وأحب أن أقول لك إنك عندما تأخرت على استطاعت أن أتعامل فى السوق وحدى وقمت ببيع قطع لحساب جواهرجة من جنيف .. وابتعد عنها كأنه صدم وقال كأنه يؤنبها :

— لماذا تعاملين مع أى غريب .. إلى أستطيع أن أشتري ما شئت من أى جواهرجى وأعطيك ما أشتريه لتبيعه لحسابى أنا .. لا لحساب أى تاجر آخر .. إن هذا يحقق لنا ربحا أكبر .. فإنى من أهل السوق وأستطيع أن أشتري أرخص وأن تبينى أنت أعلى .. إن التاجر الذى يملك قطعة على أساس أن ثمنها عشرة آلاف أستطيع أن أشتريها منه أنا بخمسة آلاف .. فإذا بعثها أنت بعد ذلك تضاعف وربحنا منها ..

وقالت وهى تعود إلى أحضاناه :

— اشترى ما شئت وسأبيعه لك .. ولكن لا تحرمنى من حريزى فى التعامل مع أى تاجر آخر .. وأنت دائما صاحب الفضل على .. أستاذى .. وتعمدت أن تلتصق به أكثر وهو ما يزال مطبق الشفتين ساخطا .. وكانت هى التى أخذته هذه المرة ولم تنتظر حتى يأخذها .. عجيبة .. إنها لا تحس بالتلاشى فى معنيتها كما كانت تحس دائما معه .. وقد تركها فى اليوم التالى عائدا إلى القاهرة بعد أن ترك لها ثلاث قطع من اللؤلؤ الضوهره بفصوص الماس .. وهى تقلبها فى يديها ساخرة .. إنها قطع صغيرة ليست فى مستوى التحف الرائعة التى تحصل عليها من محلات شايو .. ورغم الثقل الذى كانت قد بدأت تعانیه .. والتى جعل منها إنسانه عضية تصعد أحيانا قرارات بائرة بالنسبة لصديقاتها وزبائنها كانت لا تحتاج إليها من قبل مهما تحملت .. رغم ذلك فهى لا تزال تعمل وتوسع نشاطها حتى يشمل المدينة كلها .. لقد استطاعت أن تتعامل مع كل باعة الجواهرات .. وتكتسب الجميع .. واستطاعت أن تضاعف من عدد صديقاتها وزبائنها من الثريات الغريات .. بل إنها كونت شبه شركة تجمع كثيرا من الجوارى والسكريرات يدفعن إليها أسيادهن لتبيع .. وتدفع للجوارى والسكريرات نسبة من نسبة أرباحها التى تصل إليها .. كأنها أصبحت زعيمة عصابة ..

وظلت كما هى تحتفظ بعمليات بيع الجواهرات لحسابها الخاص .. ولا تطلع زوجها مايكل على أى شيء .. إنما فى الوقت نفسه تطلعه وتحاسبه على مبيعات الفراء أو على مبيعات المظالم النسائية التى يهرضها بوتيك فاتيما .. بوتيك فاطمة .. ويتركه يسجل الحسابات كما يريد .. لا تراجع فى شيء .. ولا يبعها ما وصل إليها نصيبها ونصيبه ونصيب شريكهما الثالث السويسرى الذى من المفروض أنه يملك البوتيك .. إنها لم تفقد ثقتها أبدا فى زوجها مايكل .. إنه رغم كل شؤنه تؤمن به كعميرى من عباقرة السوق وستظل دائما فى حاجة إليه ..

كانت أجب : يوم عساه لها أصبحت لا تتم برعايته لنيل التي تتحمل لها  
شدة .. أعصها .. بعد تحمل ما تبدل من معادة لإعطائه .. وهو  
يسر .. مع يصعد على نفس شدة لأصدفائه التي جمعه في حيف .. ولكنه  
حسن به .. ومعه لا .. في لوئيك .. وقال : وشدهم سيح على شفته :

وقال : هي عمو حبه سيح

— .. .. .. .. ..  
شباب حذرين .. .. .. .. ..  
وقال : حذره رفيع دافع ..

— .. .. .. .. ..  
سجحت .. .. .. .. ..  
وقال : في دهشة ..

— كيف عرفت بأنني أصبحت مهمة بعمليات الجوهر .. ومدا تعرف  
يقا ..

وقال : هو .. .. .. .. ..

— لأمر لا تعيش طويلا في السوق .. وقد أصبحت أنت مشهورة  
شخصيت أكثر من شهرة بورتيك فاتيما ..  
وقالت في حدة :

— إلى لا أشغل نفسي منفردة بأي عملية تدخل في اختصاص البوتيك ..  
وقال ضاحكا ضحكة بلا معنى :

— ولكن لماذا لا تشركيني في عمليات الجوهر أو على الأقل تحتاجين لرأي  
فيها ؟

وقالت في إصرار كأنها تافكة عليه :

— سألقا إليك عندما أحتاج إليك .. وإلى الآن أجد من مصلحة العمل أن  
تبقى بعيدا عنه .. واتركني حرة ..

وقال كأنه طفل يرم بالبكاء :

— أنت حرة .. وأنا حر .. ولا أدرى إلى أين تنتهي هذه الحرية بكل منا ..

وحس في هذه الليلة لم تستطع أن تقدم على مصاحبة حتى تعطيه ما يربطه  
بالحاجة إليها .. إنها لم تعد تستطيع أن تعطيه .. ولم تعد تستطيع أن ترى ما  
سينتهيان إليه ..

التي تحققت لم تعد جديدة عليها حتى تفرح بها الفرحه التي تطير بها كما كانت تطير  
مع كل قرش يصل إليها عندما بدأت ..

ماذا عادت إليها به كل هذه الملايين .. إنها تعيش في بيوت فاخرة ..  
ولكنها أصبحت نحن إلى البيت المتواضع الذي عاشت فيه بإحدى حواري  
شارع الهرم عندما كانت في صباها .. وهي تستطيع أن تشير بأصبعها لتوضع  
أمامها أغلى وأرقى أطعمة العالم ولكنها لا تزال لا تجد المتعة إلا في طبق  
المصقعة الذي تطبخه بنفسها .. وهي تستطيع أن تصح في خدمتها سيارة  
رولز رويس أو بولك أو مرسيدس .. وقد اشترت فعلاً أكثر من سيارة .. ولكنها  
إلى اليوم لا تستريح ونها إلا إذا أوقفت في الشارع سيارة أجرة لتركها .. حتى  
عندما تنقل طائرة من بلد إلى بلد .. إنه من المفروض أن تجلس على أحد  
مقاعد الدرجة الأولى بين طبقة الأثرياء .. ولكنها لا تزال تفصل أن تجلس على  
أحد مقاعد الدرجة الثانية مع القوم العاديين .. إنها تحس براحتها أكثر بهم ..  
وتصل أكثر بتبع ما يجري وما تسمعه من حولها .. تحس أنها في دنياها  
وليست في دنيا تفتعلها وهي جالسة بين أفراد الطبقة الثرية .. وكانت تقول  
لنفسها أحياناً إنها ربما أصبحت تعاني هذا الثقل وهذا الرهق لأنها أصبحت  
عجوزاً تعدت شبابه .. والعجوز لا يعيش ما هو فيه ولكنه يعيش ذكريات أيام  
صباه وشبابه .. يعيش أيام الفقر حتى بعد أن يصبح من أصحاب الملايين ..  
وتقوم لتقف أمام المرأة ترى نفسها بعد أن أصبحت عجوزاً .. أبداً .. إنها  
وهي في الثامنة والثلاثين من عمرها لا تزال تحتفظ بكل ما كان لها وهي شابة  
في العشرين .. سمارها الداكن الذي يحمل لمعة تشد العيون إليه كأنه سمار  
قطعة من السحاب تطل من السماء والناس تنطلق إليها في شوق إلى أن تمطر عليه  
وشعرها الأسود الناعم الذي يتزلز في هدوء حتى كنفها وتحيط بخصلاته  
بوجنتها .. واللؤلؤ اللامع الذي تكشف عنه شفتاها كصف من المجوهرات

## الحلقة الخائفة

كم مضى ..

سبع سنوات ..

والسوق تنبع أمامها .. والملايين المتجمعة في رصيدها تتضاعف ..  
حتى إنها أصبحت محتفظة بها في أكثر من بنك .. داخل سويسرا .. وفي بنوك  
لندن .. وبنوك باريس .. وبنوك فرانكفورت في ألمانيا .. بل وفي القاهرة  
أيضاً .. وهو رصيد يجمع كل أنواع العملات .. لها رصيد بالدولار ..  
ورصيد بالسترلينج .. ورصيد بالفرنك .. ورصيد بالجنينيات المصرية ..  
بها تفهم الآن في سوق الأرصدة المالية .. وتعيش كل حياتها في أرقام ولكنها  
أصبحت تحس بنقل الحياة أكثر .. وتعاني من انهيار أعصابها انهياراً لم تعد  
تعرفه من قبل .. وكان كل رقم من هذه الأرقام التي تعيشها ديوس يشكها في  
عزوفها وبكاد يديها .. وقد أصبحت تقدم على أي عملية بلا اندفاع .. وحين  
أن تعيش الأمل في أن تكسب أو يسيطر عليها الحرس في ألا تخسر .. إنها تقوم  
بعمليات روتينية كأنها عمليات ميكانيكية تعودت عليها وأصبحت تتحرك  
تلقائياً حتى لم تعد في حاجة إلى عقلها ليحدد لها حركتها .. حتى الجهد الذي  
بفله لاكتساب الراتب بإطلاق خفة دماغها .. وتسلط قوة جمالها الأسمر  
الداكن الجذاب .. وصحركاتها الرابطة التي تكشف عن صف اللؤلؤ الصامع بين  
شفتيها .. والسهرة الخاصة التي تقيمها في بيتها لترك كل زبونة تنطلق حرة بنوع  
من الحريات لا تجدها إلا لديها .. كل ذلك أصبحت تحس بأنها تطلقه باقتبال ..  
إنها تفتعل الكلمة .. وتفتعل الضحكة .. وتفتعل الممتعة التي تحملها المضي  
الذي يريده .. لا شيء ينطلق من طبيعتها ويزودها بأي فرحة .. حتى المكاسب



بصر مما يباع محليا حتى لا تدفعهم إلى الغرور بأنفسهم .. ولكنها استوردت  
لفسها سيارة مرسيدس ظلت محتظة بها في القاهرة وعصصتها لها وحدها ..  
واشتريت لفسها أيضا قطعة أرض زراعية مس عشرين فدانا على ترعة  
المنصورة .. وهي لا تفهم في الزراعة ولم يخطر على بالها أى مشروع زراعى ..  
ولكنها كانت قد سمعت أن أراضي المنصورة قد أصبحت حتى كبار الأثرياء في  
مصر .. وكل منهم يبنى لنفسه قصرا على أرضه .. وتستشرى الأرض وتبنى  
القصر .. ولا يهمها أى ربح يعود إليها من هذه الأرض أو هذا القصر .. إنها لا  
تعتمد في جنى الأرباح إلا على الاتجار بالجوهرات والفراء وما يقدمه لها زوجها  
ما يكل من حسابات بوتيك فاتيما .. ثم إن ثقافتها الاقتصادية اقتنعت بأن شراء  
الأرض يوازي وضع النمن في بنك .. فالأرض لا تضيق أبدا وتغنى بارتفاع سرعة  
تقوى أرباح البنك .. فإذا اشترت أرضا فكأنها تدخر أموالها لمستقبل مطمئن ..  
إنها أحرص من أن تلقى أموالها لتضيع منها ..

وكانت مصممة على أن تحتفظ بالملايين في بنك أوروبا ولكنها استطاعت أن  
تحول جانبها من أرباحها إلى مصر .. حتى تنفق على نفسها وعلى عائلتها بكل هذا  
البدح .. ولم يكن يضيع منها شيء هذا التحويل إلى السوق المصرية .. فهي من  
الرعى الاقتصادى بحيث تحقق آخر ما تفصل إليه الأعياب السوق السوداء ولا  
تستسلم أبدا للتحويلات الرسمية. كانت تشتري الجنيه المصرى بربع دولار قبل أن  
يصل ثمن الدولار الرسمى إلى أكثر من مائتى قروش .. ولها أكثر من طريقة في  
الاحتفاظ بأموالها التى تحولها إلى مصر ولكنها كانت حريصة على أن تكون كل  
هذه الأموال ملكها وملك أمها في الوقت نفسه .. كل منهما له نفس الحق على  
هذه الأموال .. إنها لا تريد أن تترك أمها تحت رحمتها في مدى ما تجود به عليها ..  
إنها تحب أمها إلى حد لا تقلل أن تكون صاحبة الأمر عليها .. بل أن يكون كل ما  
لها في يد أمها ..

وقد اشتهرت سارة في القاهرة بأنها أصبحت مليونيرة .. والدعوات تلاحقها

كل اليوم إلى مجتمع أصحاب الملايين .. والطامعون في استغلالها لا يكفون عن  
متابعتها وعرض المشروعات التجارية عليها .. وهى تواجه الجميع بجرع ..  
ونادرا ما تقبل دعوة أو تظهر في مجتمع .. حتى عرف عنها أنها شخصية صعبة  
وليست سهلة .. أو شخصية مغرورة ثقيلة الدم .. هذه السمراء الداكنة  
أصبحت كأنها تضع نفسها فوق كل الناس ..

وهى تتعمد في كل مرة تصل فيها إلى القاهرة زيارة هدى هانم .. سواء في بيتها  
أو في البيت الذى تملكه .. وهدى تحس كأن سارة تتكرم عليها بهذه الزيارة ..  
لا تزال سارة متواضعة .. أو على الأقل لا تزال سارة معترقة بمجمل هدى عليها ..  
إن كل ما وصلت إليه بدأ على يد هدى .. وهدى تشكو دائما مما جرى في السوق  
التي أصبحت مزدحمة بمحال بيع المطالب النسائية .. وكل شيء أصبح يصنع في  
مصر وتساهم فيه شركات أجنبية .. لم يعد للاستيراد الكامل القوة التى كان عليها  
في السوق .. والحل الوحيد الذى تراه هدى هانم هو أن تقيم لنفسها مصنعا خاصا  
تجمع فيه بعض العلامات. وتستورد له أنواعا من الأقمشة .. بحيث تنتج هي  
أستافا أرق مما تعرضه المحلات الأخرى .. ولكن هدى هانم ليس لديها رأس مال  
كاف لإقامة هذا المصنع .. أو لعلها تريد فقط أن تغرى سارة بأن تشترك معها في  
إقامة مشروع جديد .. وبسرعة وبساطة استجابت سارة لمشروع هدى هانم  
وخصصت لها مبلغا ضخما يكون تحت أمرها .. ولم تبد أى اهتمام بتتبع هذا  
المشروع .. ولا تجادل فيما تطلبه من مصاريف وما حققته من أرباح .. إنها  
تكفى في كل مرة تأتي إلى القاهرة بأن تجلس مع هدى هانم جلسة هادئة كأنها  
تجلس مع أمها .. وتركها تقدم لها الحساب كما يقدم لها زوجها مايكل حساب  
بوتيك فاتيما في جنيف .. وتوافق وتقبل أى حساب .. إنها ليست في حاجة إلى  
هذه الأرباح حتى تنصب نفسها في مراجعتها ..

وكانت في كل مرة تصل فيها إلى القاهرة يجب أن تلتقى بعبد النور رأفت ..  
إنها لم تعد تحس بنفس قوة الرغبة في أن يأخذها ليمطيتها قبل أن تعطيه .. ولكنها

نفس مجرد التعود .. ونفس في الوقت نفسه بأنها لا يجب أن تتغلب عليه فقد كان صاحب العصل عليها و دفعها إلى سوق المحوهرات .. وكان لقاءهما الخاص بهم في الشقة الخاصة التي يملكها عبد الور .. إنها لم تتغير ولكنها لم تعد تتأثر بعقباتها .. أصبحت نفس بأنها أصبحت أرق من أن تتلقى به في هذه الشقة .. لا شئ أنه يبقى في كل امرأة يريد بها .. ولا أمل لها أن تكون امرأة تتميز بشئ عن الآخرين ولكنها كانت تستسلم وعبد الور نفسه نعم أصبحت نفس به نصف مما كانت نفس به وهي تحبه .. ربما كان حالها هو هو لها أن اللقاء مع كبير ثور عذراء في أو .. لقد جعله صديقا بالية لها وقد تعجب تحب بأنه يأخذ به .. له .. أصبحت نفس بأنها تعني بقدر ما أحب وقد حدث هذا .. تحب عبد الور .. انتهى اللقاء أن يصطبا فضعن أو ثلاثا .. ع .. في أو .. أصبح

بفرحتها وهي تسافر مع أختها الكبرى إلى جيف .. كل أفراد العائلة يجمعون بالسفر لعل أيا منهم يستطيع أن يجمع الملايين التي جمعتها أختهم الكبرى .. ولكن سارة كانت ضئيلة عليهم دائما بمصاحبتهم إلى الخارج .. كانت تؤمن بأن كلا منهم عليه أن يبنى نفسه ويحدد خطواته بنفسه دون أن يعتمد عليها .. إنها هي التي اختارت طريقها دون أن تعتمد على أحد .. إلى أن قررت أن تصحب أختها الصغرى لعلها تخفف من وحدتها ..

ومنذ اليوم الأول بدأت سارة تضيق بوجود أختها سيرة معها .. إن سيرة ليس لها أي هدف جاد .. ولا تحاول أن تتعلم ما تنبئ عليه مستقبلها .. ولا تستطيع أن تستوعب أسرار السوق وفن معاملة الزبائن .. حتى في السهرات التي تقيها سارة في بيتها للنساء المريات لم تكن سيرة تستطيع أن تختار الكلمة التي تقولها أو الحركة التي تقيم بها .. كانت منطلقة دائما كالجئونة تقول أي كلام وتتحرك بأي حركة .. ومن يعرفها قد يعتبرها فتاة ساذجة جاهلة يمكن استغلالها .. وقد يعتبرها البعض الآخر فتاة ثقيلة الدم لا تطاق .. وهي منطلقة دائما كأنها فتاة كانت جائعة وأصبحت تأكل أي شيء دون أن تختار ما تأكله ..

وربما كانت سارة تغالي في تقدير نواقص أختها وفي تبرير ضيقها منها .. ولعل من طبعها أنها لا تحاول أن يعيش أي أحد معها .. لقد تعودت على أن تكون دائما وحدها .. حتى بعد أن تزوجت استقلت عن زوجها وعاشت وحدها .. وبعد أن أحببت أيضا عبد النور رآقت ما لبثت أن استقلت عنه دون أن تدع الحب يعرض أي قيد عليها .. إنها لا تستطيع أن تكون مسؤولة عن أي إنسان آخر .. ولا تترك أي إنسان يتحمل مسؤوليتها .. ولذلك فقد تكون طبعها الشخصية هي التي لا تتحمل أن تشاركها أختها سيرة كل حياتها خصوصا أن تشاركها بمجل عملها الذي يحقق لها الملايين .. أو لعلها تغار منها .. حتى لو كانت متأكدة أنها أجهل وأشد اجتهادا عن أختها سيرة إلا أن سيرة لها حيوية الأصغر ويمكن أن تلعت الأنظار أكثر منها ..



ولم يكن قد مضى سوى ثلاثة شهور وهما في جنيف عندما قروت ساره أن تتخلص من وجود أختها معها .. وأعادتها إلى القاهرة بحجة حرصها على استكمال دراستها ثم رواجها من مصرى قبل أن تقع وقعها وتزوج أحد اخواتها .. ولم تجد دموع سيرة في إقناع أختها بأن تبقى معها .. حتى إنها فكرت أن تهرب منها وتعيش وحدها في جنيف أو في أي بلد من بلاد العالم .. ولكنها لم تستطع إلا الاسلام وعادت لتكمل حياتها في القاهرة ..

وعادت سارة إلى وحدتها .. إن صفقاتها التجارية لا تتوقف .. والملايين تترفع ونغمس بأموالها كأنها أصبحت تحمها وتسبها عسر عيسم .. ماذا يهود عليها من كل هذه الملايين .. لم يعد لدى ماذا تريد .. إلى أن بدأ خاطر جديد يسيطر عليها ..

إن كل ما يقصدها هو أن تكون أما ..

أى أن يكون لها أولاد ..

من مشترك كل هذه الملايين إن لم يكن لها أولاد يرثونها .. وقد كانت تعيش وكل من لها هو عائلتها التي تضم أمها وإخوتها .. وهي تحب كل أفراد عائلتها .. ولكن لا يمكن أن يكونوا هم وحدهم الذين يرثونها وتترك لهم كل هذا الثراء .. هناك دائما فرق كبير بين الإحساس بالأخت والإحساس بالابنة .. وبين الإحساس بالأخ والإحساس بالابن .. وهى لها أخت وأخ وليس لها ابنة أو ابن .. ولا يمكن أن يظل لها مكان في الحياة حتى بعد أن تموت إلا إذا كان لها أولاد .. وبلا أولاد تنتهى مآلها أولادها ..

وهى منذ تروحت مايكل لم يخطر على بالها أبدا أن تنجب منه .. وهو لم يعرضها أبدا لأن تعمل منه .. ربما لأنه عاشر عن الإعجاب .. ولكنها لا تستطيع أن تقضى بقية العمر دون أن تنجب ..

وبدأت تخطط لنفسها حياة أخرى .. فإذا قدر لها أن تنجب ابنا فيجب أن تنجبه مصرياً .. من أب مصري .. إنها لو أنجبت من أب أجنبى سيكون ابنها

نفسه أجنبيا عنها كما هى لا تزال غريبة عن زوجها مايكل رغم السنوات التي قضتها معه .. وحتى تستكمل لابنها الشخصية المصرية فيجب أن تعيش به في مصر .. لماذا لا ..

إنها ضاقت بمحبتها في أوروبا ولا تزال تشعر فيها بغربة .. فلقد أولا للإقامة في بلدها .. وقبل كل شيء يجب أولا أن تنسى زواجها بالإنجليزى مايكل .. وفاجأتها في إحدى الأمسيات بأن ذهبت معه إلى البيت الذى يقيم فيه .. وبدأت تعطيه بسحاء كأنها تعمد إليه ذكريات شبابها .. وهو قد عاد كما كان وكأنه لم يغب عنها كل هذه الأيام .. غائبا يتلوى بين ذراعيها في منتهى المتعة .. وقالت له وهى تعود وتليس ثوبها لتعود إلى بيتها :

— مايكل .. لقد قررت أن أنتقل لأقيم في القاهرة بصفة دائمة ..

وقال في دهشة وابتسامة تسيح بلعابه فوق شفثيه :

— ولكنى لا أستطيع أن أقيم في القاهرة ..

وقالت وهى تمسح بكنيتها على وجنتيه :

— لا حاجة لكى أقيم في القاهرة .. ستبقى مسؤولا عن البرتيك وترسل لى الحساب أو تنتظر لى أن أعود إليك ..

وقال وقد تجهج وجهه وهو يتلعق المفاجأة :

— ولكننا زوج وزوجة ..

وقامت ضاحكة وهى تميل عليه بصف اللؤلؤ وتقترب بشفتيها من شفثيه :

— إننا أكثر من زوج وزوجة .. إننا أصبحنا شخصا واحدا لا يمكن أن يفصل

أحدهما عن الآخر .. وسيتبقى دائما مسؤولا عما أملكه وأنا مسؤولة عما تملكه ..

حتى إننا لم نعد في حاجة إلى هذا الزواج ..

واحتل جالسا كأن صف اللؤلؤ لم يعد يستطيع أن يأسره :

— ماذا تقصدين ؟

ليس لى جيبى

قالت من خلال ابتسامتها :

— أفصد ألا يكون زوجا وزوجة .. ويكنى أتنى نصفك وأنت نصفى ..  
وقال كأنه في ملع ..  
— تقصدين أن نعلن طلاقنا ..  
وقالت في بساطة :

— لم لا .. يم الطلاق حتى بلا إعلان .. ليس كل الناس يعرفون أننا متزوجون ولا هم أن يعرفوا أننا طلقنا ..

وسكت مايكل فترة وجيزة معقد كأنه يبذل مجهودا في تحديد موقفه .. ومن طبيعة العقيلة الإنجليزية أنها تواجه الواقع دون أن تهرب منه ما دامت لا تستطيع أن تتحامل عليه .. وقال وعيناه بعيدتان عنها :

— كما تريد .. بشرط أن أبقى مسئولاً عن عمليات بوتيك فاتيما كما أنا ..  
وقالت في فرح :

— وسأعاونك وأنا في القاهرة بأكثر مما أقدمه للبوتيك وأنا فيه .. وسأرسل الزبائن لك من هناك .. وأنت كما أنت حر في إعداد الحسابات ..  
ومالت عليه قبله ..

وقال سائرا :

— كأنها قبة الوداع ..

وقالت من حلال فرحتها :

— لا وداع أبداً بيننا ..

ولم تمر أيام حتى كان الطلاق بين سارة ومايكل قد تم فعلا .. ورغم أنه كان رواجاً شاداً يقوم على شذوذ مايكل حتى إنه لا يجبل أى مظهر عائلي من مظاهر الراجح بين اثنين .. إلا أن سارة أحسّت بمجرد الطلاق أن كل الدنيا تغيرت وأنها هي نفسها قد أصبحت شخصية جديدة ..

وكأنك قد قررت أن تعود إلى القاهرة خلال أيام الأسبوع .. وقد حرصت على أن تجمع عناوين من عرفتم من زبائن عرب البترول .. وتعلم أنها قررت أن تقيم مكتباً في القاهرة .. ولقد كانت في قرارة نفسها تمنى أن تكف عن كل العمليات التجارية .. لا تريد أن تستمر في بيع المجوهرات والفراء ومطالب النساء .. تريد أن تكون ربة عائلة فحسب .. ولكن من يدري .. ربما احتاجت وهي في القاهرة أن تستمر في نفس العمليات .. خصوصاً وأن أبواب مصر قد ضمت لكل العرب ..

وفي الطائرة كانت تبصع بمنبها قطع السحاب وهي تفكر في التخلص من الرجل الآخر الذي ربطت نفسها به .. لقد تخلصت من زوجها وبقي عشيقها .. تريد أن تكون في منتهى الحرية والتجرد وهي تمد لبناء عائلتها الخاصة الجديدة ..

وقد سعت تلك اليوم الأول إلى لقاء عبد النور رأت في شقة الخاصة ..  
وقالت وهي ليست في لفة لأن يأخذها ولا هو في لفة لأن يعطيها :  
— أنا أريد أن أكون أما .. أن يكون لي أبناء ..

وقال ضاحكاً :

— بلأنا .. ماذا جاد عليك .. على كل حال اعتبريني ابنك حتى لو كنت أكبر منك سن .. ومتجدين أفي ابن مطيع ومثل أعلى بين الأبناء ..

وقالت جادة دون أن تضحكها التكة :

— إنني لم أضعك .. ولكني سأضع ابني .. سأضعه كما أريد حتى أطمئن على ضمير ما حققته حتى اليوم ..

وقال وقد عادت إليه شخصية الأستاذ في شئون الحياة :

— لا تتحمدي على الأولاد في تحقيق أى مصر .. انتظري إلى .. إلى أب لولدين كنت أتمنى أن يشاركني أحدهما في عمل .. وأزوه به وهو يحمل اسم قبلي ليس في قبلي

أكبر عائلة جواهرجية في مصر .. ولكن أحدهما سافر إلى أمريكا ولم يعد والثاني جمع الدنيا كلها على أوتار كانه ولا يحاول أن يكون أكثر من موسيقار ..

وقالت وهي تنهد مبتسة :

— المصير حظوظ .. وقد كنت محظوظة دائما .. وسأكون محظوظة بابني ؟. وقد قررت أن أبدأ بالزواج في أول فرصة .

وقال في دهشة :

— وزوجك الإنجليزي مايكل ..

وقالت ضاحكة :

— انتهت مهمته ..

وقال وهو يخلق في عينها كأنه يحاول أن يغوص في عقلها :

— هل هناك شخص آخر استطاع أن يفتحك للزواج ؟.

قالت في بساطة :

— أبدا .. ولكنني في انتظار هذا الشخص .. وربما أبحت عنه ولا أتركه

يبحث عني .. حتى أبدأ معه في إقامة عائلة كاملة .. وقد قررت مقدما أن أقيم في

القاهرة دائما .. سأزوج في سوق الأزواج بالقاهرة ..

وقال كأنه يعترض :

— ولكن كل أعمالك في سوق أوروبا ..

وقاطعتة قائلة :

— سيظل لي وجود في سوق أوروبا .. واطمن .. إلى سأستمر في الاتجار

بمصر غاتك هناك .. واستعاد عبد النور هدوءه كأنه اطمئن فعلا .. وقال وهو

يلفها بذراعه ويحتضنها :

— إن من حقلك فعلا أن تقيمي عائلة كاملة .. ومن الطيبي أن تكوني أما

ولك أولاد .. ومن حقنا أن تستفري معنا في القاهرة ..

وابتمت سارة ساخرة وهي مستسلمة لأحضانها .. لعله يظن أنها ستبقى له

حتى بعد أن تقيم عائلتها الجديدة وبعد أن تصبح أما .. مستحيل .. ستكون ربة

بيت وأما وزوجة مثالية .. ولن يكون له منها إلا صداقة بريئة .. مجرد واحد من

رجال المجتمع الجديد الذي تقيمه لنفسها .. المجتمع الذي ستعيش فيه شخصية

جديدة ..

وكانت قد أبلغت أمها وأخواتها بأنها قد طلقت مايكل وأنها قررت أن تستقر

معهن في القاهرة .. وأنها تريد أن تتزوج لتنجب .. كما قالت نفس الكلام

لصديقتها الكبرى هدى هاتم .. وبدأت تواجه عددا لا يتنى من عروض

الزواج .. بعضها يأتيها عن طريق أمها والبعض يأتيها عن طريق هدى هاتم أو

غيرها من الصديقات .. والبعض يأتي من تلقاء نفسه بعد أن سمع أنها تبحث عن

زوج .. كأن القاهرة كلها أصبحت تسمى للزواج بها .. لتزويجها .. والقاهرة

كلها تعلم أنها قد أصبحت مليونيرة .. وكل مظاهرها تعلن أنها مليونيرة ..

وبدأت تعاني من عقدة جديدة .. وبدأت تحس بأن كل من يتقدم لها أنه يريد

الزواج من أموالها لا منها .. لا أحد منهم يحاسبها على ماضيها .. لا أحد يهجم أن

يعرف كيف جمعت هذه الملايين .. إنهم فقط يريدون الزواج منها .. الزواج من

للملايين .. ووصلت عقبتها إلى حد بدأت تفقد تفاخرها بأنها امرأة جميلة تجذب

الرجال بلونها الأسمر الغامق وقوامها الطرى والصف اللؤلؤ يروق بين شفتيها ..

حتى إنها بدأت تكثر من الوقوف أمام المرأة والتردد على خيلاء التجميل حتى تظل

محفظة بتقني في قوة اجتذابها للرجال .. وكانت حائرة في تحديد الشخصية التي

تختارها لتكون شخصية زوجها .. هل تحرص على أن تختار رجلا ثريا أغنى منها

حتى لا يكون طامعا في أموالها .. أم تختار رجلا يفتتح بأنه صاحب مشروعات

إنجاء يبحث لها عن رأس مال حتى تنمده برأس مالها وهي واثقة أنه يعيش في

مشروعاته لا في رأس مالها ..

إلى أن تقدم لها شريف رمزي .. إنه يحمل كل روعة الشباب .. لم يصل بعد إلى الأربعين من عمره ... وهو وسم وسامة فتاة .. وفي منتهى الحيوية حتى كأنه ينثر الحياة من حوله .. ولم يكن له أى موهبة تميزه في المجتمع بجانب وسامته وحيويته .. إنه ضابط في الجيش .. وإن كان دائما مستقرا في مركز عسكري لا يبعده عن مجتمع القاهرة ..

ولا تدري كيف وصل إليها .. إن إحدى الصديقات قدمته إليها .. ولا شك أنها المجذبت إليه واستطاع أن يشغلها بنفسه .. إنه دائما في كل حفل تقيمه .. ودائما في زيارتها في القصر الذي بنته على الأرض الزراعية التي اشترتها على أرض المنصورة داخل مجتمع كبار الأغنياء .. ووجدت نفسها بسرعة تنقاد إليه حتى إنها استسلمت له وهو يحتضنها ثم وهو يقلبها .. ولكنها لن تعطيه أكثر إلا بعد الزواج .. وهو قد عرض عليها الزواج .. وتركها تفكر قبل أن تقبل كما طلبت منه .. تركها وهو واثق أنها لا شك ستسلم للزواج به .. ولكنه كثير الطلبات .. لقد أصبح يدعو أصدقاءه إلى قصرها ويقوم فيه المآدب والسهرة وهي وإن كانت معه إلا أنه دائما يتصرف كأنه صاحب كل شيء .. وهو يريد أن يتم الزواج بسرعة لأنه يريد أن يسافر بها إلى أوروبا .. وللى أمريكا .. وهو في أى وقت يطلب أن تترك له سيارتها المرسيس .. وتحذر بأن السائق ليس موجودا .. إنه لا يريد السائق .. يريد السيارة .. ويغيب بها لا تدري إلى أين ويتركها بعد أن أصبح يحفظ مفتاح لها ..

وبدأت تسمع عنه كلاما كثيرا .. سمعت أنه سبق له أن تزوج مرتين .. وتزوج في كل مرة ابنة أحد رؤساء البلد .. لا شك أنه كان يعيش كرم هؤلاء الرؤساء .. بل لعله كان يفضلهم يحفظ بقيمته داخل منصبه ومركزه وهو لم ينكر عندما سألته عما سمعته .. ولكنه لم يكن البادية بالإبلاغها .. واعتذر بأنه يعتبر هذه الزيجات ماضيا قد انتهى دون أن يترك في نفسه شيئا .. ولا يقيده بأى

مسؤوليات لأنه لم يتجنب من أى زواج .. وكان يعتقد أنها تعرف كل شيء عن ماضيه .. إنه مشهور وليس في حاجة لأن يقدم كشفا بتاريخ حياته .. وقد ترك كل زوجة .. هو الذي كان يترك وليست الزوجة هي التي تتركه .. وكان يتركها لأنها تريد أن تعيش حياة فارغة تكفى فيها بأنها .. ولا تدفعه لبناء مستقبله الخاص .. لعله كان يكذب عليها .. ولعل زوجته كل منهما هي التي تركته وهربت منه بعد أن شبت من وسامته وحيويته ولم يعد فيه ما يدفعها لتعيش له ..

وكل ما تسمعه عن شريف ينثر حورثا أكثر وبدأت تحس كأن كل ما يربطها به هو ضعفها بالنسبة له .. إنه يأخذها كما كان يأخذها عبد النور رأفت .. وإن كان لم يأخذ كل شيء بعد .. إلى أن اقرب منها أحد أصدقاء شريف وهو ضمن الشلة التي كان قد دعاها إلى أرض المنصورة .. وقال لها :

— لماذا تزجلين زواجك من شريف ..

وقالت ضاحكة :

— ومن أدراك ألى سأ تزوجه ..

وقال الصديق في دهشة :

— لقد كنا نتجول الآن في الأرض وقال لنا شريف إن هذه الأرض أرضه .. وكل منا يستطيع أن يأخذ ما يريد منها .. بل إن كلا منا يستطيع أن يختار غرفة في القصر لتكون له .. فهو سيحول القصر إلى فندق مجاني .. وقال إن متعة الأملاك هي متعة التوزيع والإنفاق .. وهو سيملك قريبا كل شيء ..

وحذمت ...

إنه يتزوج ما تملكه لا لشخصها ..

وهو يعيش أحلام السيد الأمر مفتصب الحق حتى قبل أن يتزوج .. ولوروث التخلص منه .. وطردته فعلا بعد أن استعادت منه مفتاح سيارتها المرسيس ..

وعادت إلى وحدتها تعاني الحيرة .. وتمايى الاقتناع بشخص تزوجه بإقامة  
السهرات لصديقاتها العربيات اللاتي كانت تعرفهن في أوروبا وأصبحت  
تدعوهن إلى القاهرة .. ولا تكف عن عمليات بيع المجوهرات والنفاء ومطالاب  
المساء .. والضياف نساء الطبقة الثرية العربية حولها جعل القاهرة تتحدث عنها  
وعن ملايتها أكثر ..

إلى أن جاء يوم استخدمت فيه سائقا لسيارتها .. إنه شاب رائع القوام ..  
هادئ السمات .. ولونه أغمر داكن كلونها .. وبدأت تحس بالراحة وهي  
بجانبيه .. إنها تركب السيارة دائما في المقعد الأمامي وهو يقود السيارة .. ونحس  
كأن كليهما من طبقة واحدة .. ليست هي الغنية وهو الفقير .. ليست هي  
السيدة وهو الخادم .. تحس بهدونه وهو أمام عجلة القيادة يشغلها ويمسها بهدوء  
كانت محرومة منه دائما .. وهو مهذب دائما حتى كانت تضيق بهذا الاحترام  
المهذب وتمنى أن يتجرأ عليها .. ولو بنظرة .. ولو بكلمة .. وبدأت تسأل  
نفسها .. لماذا لا تتزوج الأسطي عثمان .. لقد ولدت وعاشت في نفس الطبقة  
الاجتماعية التي يعيشها هو اليوم قبل أن تجمع ملايتها .. إنها تحس بأنها لو تزوجه  
فستعود إلى أصلها .. وهو أسمر غامق السمار كأبيها .. وهي تريد أن يكون ابنها  
أو ابنتها داكنة السمار .. إن هذا اللون أقوى اجتذايا للبيض واستطاعت به أن  
تحقق كل هذا النجاح وكل هذه الملايين ..

ولكنه قد يطمع هو الآخر في ملايتها .. قد يزوجها فقط ليعيش هذه الملايين  
كما حاول كل الرجال الذين تقدموا إليها .. إنها تعودت كلما نظر إليها رجل وهو  
يمنى نفسه بها أن تسأل نفسها .. هل يريد لها ليضعها في قلبه أم ليضع ملايتها في  
جيبه .. هل يحبها أم يحب الفلوس التي معها .. وكانت تنتهي دائما إلى أن الرجل  
لا يريد لها هي ولكن يريد ثراؤها .. ولن يحاول أن يضعها في قلبه ولكنه يحاول أن  
يضعها في جيبه .. والحبوب تنتصر دائما على القلوب .. وستكون ضحية في

جيب رجل .. وإن كان عثمان لم يدمه حتى اليوم أنه يريد لها سواء لقلبه أم  
لجيبه ..

وأحست بالثورة على نفسها .. لماذا تلقى نفسها في العذاب وهي تبحث عن  
رجل .. لماذا لا تعرف بالواقع الذي أصبح يجمع بينها وبين أموالها في إطار  
واحد .. إنها لا تستطيع أن تتجرد من أنها امرأة ثرية .. ولا تستطيع أن تكون  
مرجلا إلا ومعها ثراؤها .. ولن تستطيع أبدا أن تفرق بين أطماع رجل في ملايتها  
وأطماعه في حبها .. ثم إن كل امرأة تشتري الرجل الذي تعيش معه .. قد تشتريه  
بخدمته .. أو تشتريه بالإعجاب له .. أو تشتريه حتى بمجرد توفير المتعة له .. وهي  
مشتري الرجل بثرائها .. تشتريه بالقرش فوق القرش .. وكل ما هنالك أنها  
يجب أن تكون قادرة على حماية ملايتها من الأطماع مع الاحتفاظ بالرجل الذي  
اشتريته .. ولا شك أنها قادرة على الاحتفاظ بسيادتها على نفسها لو تزوجت  
الأسطي عثمان .. إنه مهذب هادئ وإذا كان لم يتجرأ عليها حتى اليوم رغم كل  
ما تحته به على المرأة فهو أيضا لا يتجرأ على أملاكها ..

ومدت يدها إليه وهو يقود السيارة وقالت في كلمات ترن بين صف اللؤلؤ  
الذي يرق بين شفتيها :  
— علمني القيادة ..

ورفع ذراعه فوق كتفها لتقرب منه وتمسك بعجلة القيادة .. وتعمدت أن  
يمس بها ملتصقة به .. كأنها في أحضانها .. ولكنها عندما عادت إلى البيت وألقت  
بنفسها على فراشها وجدت نفسها لا تزال حائرة ..  
وهفت وجهها في الوسادة وبدأت تكي وكأنها تبكي نفسها ..  
ودموعها لا ترحح حيرتها ..

إنها ليست في حيرة بين الرجال باحثة عن من يحبها لشخصها لا للملايين التي  
أصبحت لها .. إنها في حيرة مع نفسها هي فإنها هي التي لا تستطيع أن تسيبها

أصبحت ثرية .. وأن بين يديها الملايين .. وكل عواطفها أصبحت داخل البنوك  
التي تضم أرصدها .. أصبحت عواطفها مجرد أرقام .. تخاف أن يحتذى رجل  
عليها ويلخبط لها الحساب .. حتى لو دفعها إلى هذا الرجل ما يسمى بالحب ..  
إنها لا تحب إلا أرصدها في البنوك . لا تحب إلا العمر الطويل الذي قضته تسمى  
إلى جمع كل هذه الملايين .. إنها هي التي لا تستطيع أن تتشغل نفسها من جيبها  
لتعيش مع قلبها .. كأنه لم يعد لها قلب ..

تمت